د. نبيل فاروق

العقرب

رواية





الكتاب الثاني

سبارك للنشر والتوزيع



العقرب

البداية كانت فى نهاية الثمانينيات، وبداية التسعينات، من القرن العشرين...

الفساد كان قد بدأ يضرب جذوره فى المجتمع بعمق...

والقانون كان يقف عاجزاً عن مواجهته، فى الكثير من الاحيان...

ومن هنا، ابتكرت شخصية (العقرب) ...

شخصية أسطورية، تحمل خلف قناع صاحبها بحثاً عن جواب لسؤال محيّر...

أيهما أكثر أهمية؟!... القانون؟!.... أم العدالة؟!...

وكانت أوّل سلسلة تهاجم الفساد، من خلال رمز واحد... رمز (العقرب)...

وعندما جاءت فكرة جمعها فى كتابين كبيرين، وجدت أن أسلوب بداياتها يمكن

تعديله، أو إعادة صياغته لغوياً، دون الإخلال بالمعنى والهدف والمضمون...

ولكننى استقريت، على أنه من الأفضل أن يتم تقديمها كما هى...

كما تمت كتابتها، منذ أكثر من عقدين من الزمن...

وهكذا ظهرت إلى الوجود...

فـ (العقرب) ليس مجّرد سلسلة ... إنه تاريخ...

والتاريخ لا يصح تعديله، أو حتى تحسينه...

ولست أدرى ما إذا كان قرارى صائباً أم لا ...

احكموا أنتم.

د. نبيل فاروق

العقــــرب

الكتاب الثانى

العقـــــرب

•

رواية من الأدب البوليسي

•

إن جميع ما تقدمه (سبارك) هو مصنفات عربية مائة في المائة لا تشوبه شبه الترجمة أو الاقتباس أو النقل عن أي قصص أوروبية أو أمريكية.

•

إشراف
م. سند راشد
د. تامر إبراهيم

•

تصميم الغلاف
أحمد مراد

•

الإخراج الفني
م. أحمد محمد أحمد

•

مراجعة لغوية
أبو عبد الرحمن الخولي

•

بقلم
د. نبيل فاروق

•

سبارك للنشر والتوزيع

•

جميع الحقوق محفوظة للناشر سواء النشر الورقي أو الإلكتروني وكل اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع دون الحصول على إذن خطي من الناشر يعرض للمساءلة القانونية.

•

رقم الإيداع/ 20804/2012



www.spark-books.com

د. نبيل فاروق

العقـــرب

الكتاب الثاني



عندما يعجز القانون البشري عن القصاص..
عندما تحيط العدالة عينيها بعصابة سميكة..
حينما يرتفع ذلك الحاجز بين العدالة والقانون..
عندئذ يهب هو للقتال، حاملاً ذلك الاسم، الذي
يثير الرجفة في قلوب أعتى المجرمين..
اسم (العقرب).

الروايـة الأولى

مملكة الشـر

مملكة الشر

1- المتهم..

لم تستطع (غادة) منع نفسها من الابتسام، عندما شاهدت (نديم فوزي)، وهو يخطو داخل قاعة المحكمة، مرتديًا روب المحاماة، ووجهه يحمل كل علامات الرصانة والوقار، فقالت ضاحكة:

- تصور أنها أول مرة أراك فيها في هذا الزي!

أجابها في هدوء:

- هذا لأنك نادرًا ما تأتين إلى هنا، على الرغم من ترخيص مزاولة مهنة المحاماة الذي تحملينه.

ضحكت مرة أخرى، وقالت:

- وما ذنبي أنا؟ إنك تطالبني دائمًا بأعمال أخرى، لا تمت للمحاماة بصلة.

ثم مالت على أذنه، مستطردة في مرح:

- بل إلى العقارب.

لم يبتسم لدعابتها، وهو يقول:

- لا بأس.. هذا وذاك يسعيان إلى تحقيق العدالة.

أدركت أن محاولتها دفعه إلى الابتسام ستبوء بالفشل، فتنهدت وقالت:

- حسنًا يا (نديم)، أخبرني: ما نوع مرافعتك اليوم؟

هز كتفيه، وقال:

- إنها قضية تموينية كبيرة، و...

حدقت في وجهه بدهشة، على نحو دفعه إلى بتر عبارته، وهو يقول:

- ماذا في هذا؟!

فوجئ بها تنفجر ضاحكة، وهي تقول:

- قضية تموين؟! هل ستترافع في قضية تموين؟

عقد حاجبيه قائلاً:

- ولمَ لا؟ أنسيت أنني محامٍ عام؟ وأنني..؟

قاطعته مستنكرة:

- ولكن هذا لا يناسبك.. لا يمكنني أن أتصورك في هذا الموقف.

قال في حدة:

- لماذا؟

أتاه الجواب من خلفه، بصوت خشن، يقول:

- لأن القضايا العادية لا تليق بـ (العقرب).

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي (غادة)، وهي تتطلع إلى صاحب العبارة، في حين التفت إليه (نديم) في هدوء، وقال وكأنه لم يسمع كلمة واحدة:

- صباح الخير يا (مجدي).. كيف حالك؟ أي رياح طيبة ألقت بك هنا؟

نظر إليه العقيد (مجدي) في تحدٍ، وهو يقول:

- يخيل إليَّ أنك تحاول تجاهل عبارتي تمامًا أيها (العقرب).

ربت (نديم) على كتفه، وهو يقول:

- بل أنت الذي يصر على مخاطبتي بهذا اللقب.

عقد (مجدي) حاجبيه في توتر، وهو يقول:

- اسمع يا (نديم).. إنك تتصور نفسك ذكيًا، ولكنني سأوقع بك يومًا ما، وسأثبت أنك (العقرب)، الذي...

قاطعته (غادة) هذه المرة، وهي تقول في سخرية:

- عجبًا! ألا يبدو هذا الحديث مكررًا؟ يلوح لي أنني قد سمعته في برنامج قديم.

رفع (مجدي) عينيه إليها في حركة حادة، وازداد انعقاد حاجبيه، وهو يقول:

- اسمعي أيتها الـ...

اعترض (نديم) استمرار العبارة، وهو يقول بغتة:

- إنك لم تخبرني لماذا أنت هنا يا (مجدي).

بدا لحظة أن هذه المقاطعة قد أحنقت (مجدي) وأنه سينفجر في وجه (نديم)، إلا أن كل هذا لم يلبث أن تلاشى بغتة، وقال (مجدي):

إنني شاهد رئيسي، في قضية مخدرات كبيرة.

قال (نديم) في رصانة:

- أتقصد قضية (إبراهيم علوان)؟

لوح (مجدي) بسبابته، قائلاً:

- هو ما تقول.

ثم اندفع فجأة مبتعدًا، وهو يستطرد:

- إلى اللقاء.

ابتسمت (غادة)، وهي تراقب ابتعاده، وقالت:

يا له من لحوح!

غمغم (نديم):

- إنه يؤدي عمله.

التفتت إليه، تسأله في فضول:

- من (إبراهيم علوان) هذا؟

أجابها (نديم)، وهو يسير إلى جوارها، نحو قاعة الجلسات:

- إنه عقيد في إدارة مكافحة المخدرات، تم ضبطه في كمين، ويحمل في حقيبة سيارته كيلوجرامين من الهروين النقي، المسروق من إدارة مكافحة المخدرات نفسها، بعد ضبطية قضائية كبيرة.

توقفت تهتف مستنكرة:

- يا إلهي! أتعني أن العقيد (إبراهيم علوان) هذا كان يلقي القبض على مروجي المخدرات، ويصادر بضاعتهم، ثم يسرقها لنفسه؟

أومأ برأسه إيجابًا، وهو يقول:

- هذا صحيح، طبقًا لأوراق القضية.

عقدت حاجبيها لحظات مفكرة، ثم قالت:

- هناك أمر لا يروق لي في هذه القضية.

سألها في اهتمام:

- ما هو؟

أجابته في حماس:

- لماذا يسرق العقيد (إبراهيم) الهيروين، بعد تسليمه إلى إدارة مكافحة المخدرات، وبعد أن يتم وزنه وتحريزه؟ أليس من الأسهل والأقل خطورة أن يسرقه عند ضبطه مباشرة؟

بدا له سؤالها منطقيًا للغاية، وأثار في أعماقه حماسًا يمتزج بشيء من القلق، جعله يقول:

- نعم.. لماذا؟

ثم اعتدل مستطردًا برصانته المعهودة:

- من حسن حظنا أن قضية (إبراهيم علوان) ستنظر في نفس القاعة، التي ستشهد قضيتنا، وهذا يجعل من السهل علينا أن نتابعها أيضًا.

سألته في شغف:

- هل أثار الأمر اهتمام (نديم فوزي)؟ أم (العقرب)؟

خيل إليها أن عينيه قد ابتسمتا، وهو يقول:

- من يدري يا عزيزتي؟ من يدري؟

واتجه إلى قاعة الجلسات..

• • •

كانت محاكمة (إبراهيم علوان) مثيرة بحق، فلقد لخص وكيل النيابة القضية، قائلاً: إن الشرطة قد تلقت بلاغًا من مجهول، يقول فيه: إن العقيد (إبراهيم علوان) يسرق الهيروين من ضبطيات الإدارة، وأنه يحمل في حقيبة سيارته الآن كيلوجرامين منه، وهنا أسرع رجال إدارة مكافحة المخدرات يعدون كمينًا للعقيد (إبراهيم)، وعثروا في سيارته على كيلوجرامين، وبمعاودة فحص ووزن كمية الهيروين المضبوطة في الإدارة، وجد أنها تنقص هذين الكيلوجرامين، وبمراجعة أوراق الأمن، وأقوال العاملين في الإدارة، ثبت أن العقيد (إبراهيم) هو الشخص الوحيد، الذي يمكنه مغادرة حجرة الضبطيات دون تفتيش؛ مما يجعله الوحيد القادر على الخروج بالهيروين المسروق، ومن هنا تم تحويل الأمر إلى القضاء.

وحاول محامي العقيد (إبراهيم) الدفاع عن موكله، وبسرد تاريخه المشرف في إدارة مكافحة المخدرات، وبسؤال عدد من زملائه، الذين أجمعوا على كونه رجلاً شريفًا، وضابطًا عظيمًا طيلة عمله، وإن لم يجزم أحدهم باستحالة قيامه بسرقة الهيروين؛ نظرًا لأن الأدلة المادية كلها تدينه.

وكانت شهادة (مجدي) إحدى هذه الشهادات، ولقد دافع عن زميله العقيد (إبراهيم) في حماس، ولكن هذه الشهادات لم ترقَ أبدًا إلى قوة أدلة الإدانة، وحتى لو أضفنا إليها إصرار المتهم الشديد على براءته من هذه التهمة المخزية..

ومالت (غادة) على أذن (نديم)، تسأله:

- ما رأيك؟

صمت لحظات، قبل أن يجيبها في هدوء:

- لا أحد يمكنه الجزم بحقيقة الأمر، فقد يكون هذا الرجل بريئًا، أو أن العكس هو الصحيح، فشهادة زملائه على حسن سلوكه قد لا تعني براءته، بل ذكاءه في إخفاء حقيقة أمره.. ولقد شاهدنا مثل هذه الصورة كثيرًا.

قالت في حزم:

- ولكنه بريء.

سألها في هدوء:

- كيف يمكنك الجزم بهذا؟

ترددت لحظة، ثم قالت في عناد:

- غريزة الأنثى.

لم تكد تنطقها حتى حمدت الله (سبحانه وتعالى) في أعماقها؛ لأن (نديم) لا يميل إلى السخرية، وإلا لانفجر ضاحكًا، وأراحها أن استقبل قولها بجدية، وهز رأسه، قائلاً:

- معذرة يا عزيزتي، ولكن لا يمكنني الاعتماد على هذا وحده.. أحتاج إلى دليل واحد.

همست في أذنه:

- وهل يحتاج (العقرب) إلى الأدلة للدفاع عن العدالة؟

أجابها في حزم:

- إنه أيضًا لا يندفع لاقتحام قضية ما، ما لم يطمئن إلى سلامة موقفه.

انتهى القاضي — في هذه اللحظة — من مناقشة مستشاريه، فاعتدل في مقعده، وقال في مهابة ووقار:

- تؤجل الجلسة إلى الثاني من الشهر القادم؛ للنطق بالحكم.

لم يكد القاضي ينطقها، حتى أدار (نديم) عينيه إلى حيث العقيد (إبراهيم)، وكأنما يرغب في دراسة رد فعل الرجل، وبدا له (إبراهيم) منهارًا، مفعمًا بالمرارة، يتطلع إلى الجميع في أسى، وكأنما يبحث بينهم عمن يتشبث به..

وفجأة اتسعت عينا (إبراهيم)، وتألقتا ببريق عجيب، وكأنما أضيء عقله بغتة، وهتف:

- اقبضوا على هذا الرجل.

قالها وأشار بسبابته إلى باب القاعة، حيث بدأ بعض الحاضرين في الانصراف، فأدار (نديم) و(غادة) عيونهما بسرعة إلى حيث يشير، في حين استطرد (إبراهيم) في ثورة مباغتة:

- إنه المجرم الحقيقي.. ألقوا القبض عليه.. ألقوا القبض عليه.

تركزت عينا (نديم) على وجه الشاب النحيل، الذي أشار إليه (إبراهيم)، وخيل إليه أنه قد عثر على الدليل الذي ينشده، بين ملامح هذا الشاب..

وكان الدليل مجرد ابتسامة..

ابتسامة ساخرة.



مملكة الشر

2- وجه العدالة.. .

تطلع العقد (إبراهيم)، في يأس وحيرة، إلى وجه (نديم فوزي)، داخل حجرة مدير السجن، وقال:

- أأنت محام؟! ولكن لماذا؟ هناك محام يتولى مهمة الدفاع عني بالفعل، ولست أدري لماذا تجشمت كل هذا العناء؛ لتستخرج تصريحًا بمقابلتي، وأنت تعلم هذا.

جلس (نديم) أمامه، وقال في بساطة:

- لقد حضرت آخر جلسات قضيتك، وقررت الدفاع عنك.

قال (إبراهيم) في مرارة:

- أشكر لك هذا، ولكنني لا أستطيع الاستعانة باثنين من المحامين.. أعني أن قدراتي المالية لا تسمح بذلك.. أنت تعلم ضعف الراتب.. أليس كذلك؟

أومأ (نديم) برأسه متفهمًا، وقال:

- سأعتبر هذا دليلاً آخر على براءتك يا سيدي.

ثم أضاف وهو يميل نحوه برأسه:

- الواقع أنني لن أتقاضى قرشًا واحدًا للدفاع عنك.. بل ولن تحتاج إلى توكيلي رسميًا.

حدق (إبراهيم) في وجهه بدهشة، ثم لم يلبث أن هتف:

- يا إلهي! إنني أعرفك.. لقد عملنا معًا مرة، منذ خمس سنوات.. أنت (نديم فوزي).. أليس كذلك؟

أجابه (نديم)، محاولاً تجاهل هذه النقطة:

بلى.. والآن أخبرني، من ذلك الشاب الذي أشرت إليه في نهاية الجلسة وناشدت الجميع إلقاء القبض عليه؟

ارتسم الغضب على وجه (إبراهيم)، وهتف:

- إنه أمين مخزن المضبوطات.. هو الوحيد الذي كان يمكنه سرقة الهيروين، و...

انهارت ملامحه بغتة، مع انهيار صوته، وهو يستطرد:

- ولكن لماذا أخبرك؟ لن يصدقني أحد.. إنهم حتى لم يحاولوا إلقاء القبض عليه.

قال (نديم)، محاولاً تهدئته:

- لم يكن هناك ما يستوجب هذا؛ على الرغم من اتهامك له، فلقد استجوبه وكيل النيابة من قبل، وثبت أنه لم يكن يحمل الهيروين عند انصرافه، فقد تم تفتيشه كالمعتاد، ثم إنه لم يكن هناك مبرر لوضع ما سرقه في حقيبة سيارتك أنت.

صاح (إبراهيم):

- من المؤكد أنه يعمل لحسابهم.. لقد فعلوا هذا للانتقام مني.

اعتدل (نديم)، وسأله في اهتمام:

- من هم هؤلاء يا سيادة العقيد؟

اندفع يقول في حدة:

- تجار الموت.. بائعو السموم.. أولئك الأوغاد الأشرار، الذين قضيت حياتي أحاربهم.. لقد ابتاعوا ضميره للانتقام مني.. إنهم...

أشار إليه (نديم) أن يلتزم الصمت، وهو يقول:

- رويدك يا سيادة العقيد.. حاول أن تسيطر على انفعالاتك، وتخبرني بأسماء هؤلاء.

عض (إبراهيم) شفته السفلى في حنق، وهو يقول:

- ليتني أعلمها.. ليتني أعرف من هم.

تراجع (نديم) في مقعده، وغمغم:

- إذن فلست تعلم من هم!

ثم نهض بحركة مفاجئة، وهو يستطرد في حسم:

- دع أمرهم لي إذن.

سأله (إبراهيم) في حيرة:

وماذا يمكنك أن تفعل؟ لن تجد دليلاً واحدًا لإدانتهم. ولن يمكنك أبدًا أن..

قاطعه (نديم) في هدوء:

- ومن قال إنني سأبحث عن أدلة؟

سأله في دهشة:

- ماذا ستفعل إذن؟

ألقى (نديم) نظرة طويلة، عبر نافذة حجرة مأمور السجن، قبل أن يجيب:

سأسعى لتطبيق العدالة يا صديقي.

وبدا وكأن كلماته تحمل طنًا من الحزم والصرامة، وهو يضيف:

بوسيلتي الخاصة.

وفي أعماقه ابتسم (العقرب)..

• • •

أطلق (درويش)، أمين مخزن المضبوطات، صفيرًا منغومًا من فمه، وهو يصعد درجات سلم منزله، واتسعت ابتسامته في زهو وسعادة، لتلتهم وجهه النحيل كله، وهو يدندن بكلمات أغنية حديثة، ويسدد مفتاحه في ثقب باب شقته، ثم يديره قائلاً في مرح:

- انتهت أيام الفقر يا (درويش).. الثراء والحياة الرغدة ينتظرانك.

دلف إلى منزله، وأغلق بابه خلفه، وهو يستطرد:

- وداعًا للفقر.

انتفض جسده انتفاضة عنيفة، كادت تنتزع قلبه من بين ضلوعه، عندما سمع من خلفه صوتًا يضيف:

- وللشرف.

استدار (درويش) في سرعة إلى مصدر الصوت، وانتفض جسده انتفاضة ثانية أكثر قوة وعنفًا، عندما وقع بصره على صاحب الصوت، الذي يختفي خلف قناع أسود، وقميص وسروال وقفازين وحذاء من اللون نفسه..

والتصق ظهر (درويش) بباب شقته، وهو يهتف في رعب:

- من أنت؟

اقترب منه (العقرب) في برود، وهو يقول في صرامة مخيفة:

- أنا من سيقتص منك أيها المجرم.

قال (درويش) في انهيار:

- لم أفعل شيئًا.

أجابه (العقرب):

- حقًا؟! وماذا عن الهيروين، الذي سرقته من مخزن المضبوطات؟ هل تحب أن أخبرك كيف فعلت هذا؟ لقد أخذت الكيلوجرامين، وأذبتهما في الحوض، مع المياه الجارية، ثم غادرت المخزن، وخضعت للتفتيش في ثقة؛ لأنك لا تحمل شيئًا، في حين كان مجرم آخر يضع وزنًا مساويًا من الهيروين، في حقيبة سيارة العقيد (إبراهيم)، وثالث يبلغ الشرطة.. كانت خطة بسيطة وذكية، أليس كذلك؟

انكمش (درويش) في مكانه، وحمل صوته شيئًا من الحدة، وهو يقول:

- ماذا تريد مني بالضبط؟

أرجفته نظرة صارمة من عين (العقرب)، الذي أجاب في صوت ترتجف له الدماء في العروق:

أريد اعترافًا.. اعترافًا كاملاً.

ران عليهما الصمت لحظات، قبل أن يخفض (درويش) عينيه، ويقول في خفوت:

- مستحيل.

نطقها واستجمع شجاعته كلها بغتة، ودفع (العقرب) في صدره، هاتفًا:

- لن أقدم نفسي للموت هكذا.

تراجع (العقرب) إثر الدفعة، في نفس الوقت الذي دار فيه (درويش) على عقبيه، وفتح باب شقته، وهم بالعدو خارجه، ولكن..

أمسكت قبضة قوية بعنقه، وأعادته إلى الشقة، مصحوبة بصوت (العقرب)، وهو يقول في صرامة:

- محاولة فاشلة يا رجل.

استدار (درويش) في حدة، وطوح قبضته في وجه (العقرب)، ولكن هذا الأخير تفادى اللكمة في مرونة، وقال:

- محاولة ثانية فاشلة.

ثم انقبضت قبضته كالقنبلة، في وجه (درويش)، الذي أطلق صرخة ألم عالية، وهتف وهو يلوح بيده، ويحاول منع نزيف أنفه باليد الأخرى:

- الرحمة!! الرحمة!

انتزعه (العقرب) من مكانه بقبضتين فولاذيتين، وألصقه بالحائط في عنف، وتطلع إلى عينيه مباشرة، وهو يقول:

- هيا يا رجل.. أريد اعترافا كاملاً، وبسرعة.

هتف (درويش) في مرارة:

- لا يمكنني هذا.. إنهم سيقتلونني لو فعلت.

قال (العقرب) في صرامة مخيفة:

- يبدو أنك سيئ الحظ كثيرًا، فسأقتلك أنا لو لم تفعل.

كان من الواضح أن عبارته قد تركت تأثيرها في قلب (درويش)، فقد ارتجف الرجل ارتجافة واضحة، وأطل الخوف من عينيه، وانفرجت شفتاه على نحو يوحي بأنه سيدلي

باعتراف رجل منهار، لولا أن ارتفع من خلف (العقرب) فجأة صوت يموج بالظفر والتشفي، يقول:

يا للقدر!! يبدوأنني أحيا أفضل ليلة في عمري كله.. إنني محظوظ بحق.

أدرك (العقرب) من صاحب هذا الصوت، قبل حتى أن يلتفت إليه..

كان (مجدي)..

العقيد (مجدي)..

• • •

من المؤكد أن (غادة) كانت ملفتة للنظر في شدة، وهي تجتاز الشارع الرئيسي في حي (الباطنية)، الذي يحوز شهرة واسعة، في عالم المخدرات، مرتدية ذلك الثوب البالغ الأناقة، الذي جعلها تبدو كأميرة تتفقد الأحياء الفقيرة في مملكتها..

وبقدر ما أثار جمالها وأناقتها الإعجاب، أثار وجودها في ذلك الحي الحيرة والشك، حتى إن (قاسم عبيد)، أكبر الرءوس في المنطقة، قد مال على أذن مساعده (جميل)، وسأله:

- ماذا تفعل فتاة مثلها هنا؟

ألقى (جميل) نظرة لا مبالية على (غادة)، وقال:

ربما أتت لشراء جرام أو جرامين من المسحوق الأبيض.

عقد (قاسم) حاجبيه، وهو يقول في شك:

- لا.. لست أظن هذا.. إنها لا تبدومثل..

قاطعه (جميل) في استهتار:

- لا تجعل جمالها وأناقتها يخدعانك يا زعيمي.. إننا ناجحون في عملنا، إلى الحد الذي أفسد حتى أبناء الأسر الراقية، فأدمنوا استنشاق هذا المسحوق.. أراهنك أن جمالها هذا ليس سوى..

كان دور زعيمه ليقاطعه هذه المرة، وهو يمسك كتفه في قوة، ويقول في حدة:

- اصمت.. إنها تتجه إلينا مباشرة.

حدق (جميل) في (غادة)، وهو يهتف في دهشة:

- إلينا؟!

بلغت كلمته مسامع (غادة)، فارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة، زادت من قلق (قاسم) وشكوكه، وخاصة عندما مدت (غادة) يدها لتصافحه في هدوء، وتقول:

- (قاسم عبيد)، أكبر تجار المنطقة.. أليس كذلك؟

صافحها (قاسم)، وهو يقول في حذر:

بلى.. أنا أكبر تاجر أعلاف في الـ..

قاطعته ساخرة:

- ومن ذكر أمر الأعلاف؟

ثم مالت نحوه، واستدركت في حزم:

- إنني أقصد المخدرات.

لم يكن ذلك سرًا..

صحيح أن الشرطة لم تنجح حتى الآن في التقاط دليل قوي، يصلح لإلقاء (قاسم عبيد) خلف القضبان، إلا أن كل شرطي في إدارة مكافحة المخدرات يعلم أنه الأكبر، بين كل تجار هذه السموم البيضاء..

وعلى الرغم من ذلك ارتجف (قاسم)..

لم يكن يتوقع أبدًا أن تواجهه (غادة) بكل هذا الوضوح والصراحة..

لم يكن يتوقع هذا الهجوم اللفظي المباغت؛ ولهذا ظل يحدق في وجه (غادة) لحظات في ذهول حتى سألها (جميل) في خشونة:

- من أنت؟ وماذا تريدين؟

التفتت إليه (غادة)، وقالت في صرامة:

- لا شأن لك بهذا، ولا تنسَ أبدًا أنك مجرد تابع.

احتقن وجه (جميل)، وهتف في حنق:

أيتها الـ...

استوقفه زعيمه في حزم، وهو يقول بلهجة آمرة:

اصمت.

ثم أدار عينيه إلى (غادة)، وقال وقد استعاد هدوءه:

- لن يصلح الحديث في مثل هذه الأمور هنا.. هيا إلى مكتبي.

ابتسمت (غادة) في ثقة، وقالت في بساطة:

- لا بأس.. هيا بنا.

تبعته إلى حجرة مكتبه، الملحقة بمتجره، ولم تكد تدخل إلى المكتب حتى أغلق (جميل) الباب خلفهما، فأشارت إليه (غادة)، وقالت ساخرة:

- أمن الضروري أن يجلس هذا الشيء معنا؟

ابتسم (قاسم) ابتسامة غامضة، وهو يجيب:

- نعم.. إن وجوده ضروري للغاية.

لم يكد يتم عبارته، حتى سمعت (غادة) صوت (جميل) من خلفها، يقول في شراسة:

- وستعرفين لماذا.

ثم مس نصل مدية حادة عنقها، مع صوته يستطرد:

بعد فوات الأوان.

عندئذ أدركت لماذا..

• • •

مملكة الشـر

3- اللعبــة..

كان الموقف دقيقًا بحق..

لقد حقق (مجدي) حلمه، وضبط (العقرب) متلبسًا..

وعلى الرغم من ذلك، استدار (العقرب) في هدوء يواجه (مجدي)، الذي حملت شفتاه ابتسامة ظفر واسعة، وأمسكت قبضته مسدسًا حكوميًا كبيرًا، يصوبه إلى صدر (العقرب) في تحفز واضح..

وران صمت رهيب على المكان، قطعه (درويش) فجأة، عندما تعرف (مجدي)، فهتف في لهفة:

- ألقِ القبض عليه يا سيادة العقيد.. إنه يهددني بالقتل.

فوجئ بـ (مجدي) يقول في خشونة:

- اصمت يا رجل.

تراجع (درويش) في دهشة وقلق، وراح ينقل بصره في خوف، بين وجهي (مجدي) و(العقرب)، حتى قال هذا الأخير في هدوء، محاولاً تغيير صوته:

- هل الحظ وحده هو الذي جاء بك إلى هنا؟

أجابه (مجدي) في زهو:

- بل عقلي هو الذي فعل، فلقد شاهدت مثلك ما فعله (درويش)، في قاعة المحاكمة، وأدركت أن له صلة بالأمر، ورأيت الانفعال الذي ارتسم على وجهك حينذاك، وعلمت أنك ستسعى حتمًا خلف (درويش)، فانتظرت هنا، حتى سمعت صرخة هذا الأخير، فأسرعت إلى شقته، ووجدت بابها مفتوحًا – لحسن الحظ – وهأنذا.

قال (العقرب) في برود:

- تدهشني الوسيلة، التي بلغت بها هذا المكان، على الرغم من خطأ الاستنتاج، فأنا لم أذهب إلى أي قاعة محاكمات هذا الصباح.

أطلق (مجدي) ضحكة ساخرة عالية، وقال:

- هكذا؟! لا يا صديقي.. لن يمكنك اللعب على هذا الوتر، على الرغم من هذا القناع، ومحاولة تبديل صوتك.. ألم تنتبه إلى الخطأ الذي وقعت فيه؟ كيف علمت أنني أقصد هذا الصباح، على الرغم من أنني لم أذكر هذا.

أجابه (العقرب) في بساطة:

- لأنني أعلم أن محاكمة (إبراهيم علوان) ستتم هذا الصباح، وهناك فارق كبير بين معرفتي بالأمر، وحضوري المحاكمة.

لم يرقَ هذا لـ (مجدي)، ولم يعجبه أن حطم (العقرب) قرينته بهذه السهولة، فعقد حاجبيه في صرامة، وقال في حدة، وهو يرفع مسدسه إلى وجه (العقرب):

- فليكن أيها المغرور، سنقطع الشك باليقين.

وحملت كلماته كل غضب وحزم الدنيا، وهو يستطرد:

- هيا.. انزع قناعك.

ولم يكن هناك مجال للفرار..

• • •

شعرت (غادة) بنصل المدية الحاد على عنقها، وأدركت على الفور أن (جميل) هذا من ذلك النوع، الذي لم يحظ بقدر كافٍ من التهذيب، بحيث لا يتردد أمام قتل أي مخلوق حي..

ولكنها لم تخف..

لقد كانتْ تتوقع مثل هذا الموقف، منذ وضعت قدميها في هذه المملكة الإجرامية الرهيبة..

مملكة الشر..

وعندما وضع (جميل) نصل مديته على عنقها، أدركت أن لحظة العمل قد حانت..

وبدأت قتالها..

وبلا تردد..

فجأة قفزت يدها تمسك معصم (جميل)، ثم انزلقت من ذراعه في مهارة ورشاقة، ودارت على كعبها في مرونة، ودفعت أظفارها في عنق الرجل، ثم قفزت تركل معدته بكعب حذائها الدقيق، وطارت قدمها الأخرى تضرب المدية في الوقت ذاته..

وانثنى (جميل)، وهو يمسك معدته في ألم، في حين قفزت (غادة) تلتقط المدية، ووضعتها على عنقه هو، قائلة في سخرية:

- معذرة.. لم أنتبه إلى حديثك السابق.. ماذا كنت تقول؟

شحب وجه (جميل) في خوف، ثم لم يلبث أن احتقن في غضب، في حين قال (قاسم) وهو يتراجع إلى حيث مكتبه في عصبية:

- ما معنى هذا؟

فوجئ بـ (غادة) تخرج من ثوبها مسدسا صغيرا، وتصوبه إليه، قائلة:

- معناه أنك ستتلقى رصاصة في منتصف جبهتك تمامًا، لو أنك انتزعت مسدسك من

درج مكتبك، كما تنوي أن تفعل.

اتسعت عينا (قاسم) في دهشة وذعر، واحتبست كلماته في حلقه، في حين سعل (جميل) في توتر، وقال:

- إنها مجنونة ولا شك.. كيف تجرؤ على مهاجمتنا هنا؟

أعادت (غادة) مسدسها إلى جيب سري في ثوبها، وهي تقول:

أين كنت تحب أن أفعل؟ في حديقة الحيوان؟

حبس كلماته في حلقه، وهو يتطلع إليها في غضب، في حين سألها (قاسم)، وقد تضاعفت عصبيته:

- مرة أخرى أسألك، ما معنى هذا؟

اتخذت لنفسها مقعدًا، ووضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى، وهي تجيب:

معناه أنكم لا تحسنون التعامل مع الضيوف.

غمغم في دهشة:

- الضيوف؟!

أضافت في هدوء:

- ورجال الأعمال.

حدق فيها لحظات في صمت وحيرة، ثم تبادل مع (جميل) نظرة تساؤل، واتجه إلى مكتبه، وجلس على المقعد الوثير خلفه، قبل أن يسألها في حذر:

- أي نوع من الأعمال؟

أجابته في هدوء شديد:

- التوريد.. توريد الهيروين النقي.

عقد حاجبيه في شدة، ولاحظ العصبية الشديدة، التي انتابت مساعده (جميل)، فراح يفرك كفيه في حدة، وقال في حذر:

- ولكن التعامل مع هذا المسحوق محظور، بأية صورة من الصور، و...

قاطعته في لهجة توحي بالضجر:

- اسمع يا رجل.. لست أهوى لعبة القط والفأر هذه، ولست مستعدة لإضاعة نصف عمري فيها، فلقد أجريت تحريات واسعة هذا الصباح، وعلمت منها أنك زعيم تجار هذا المسحوق، وأعلم الآن أنك تخشى أن أكون واحدة من فتيات الشرطة وضباطها، ولكنني لست كذلك.

ظل يتطلع إليها في شك وحذر، عاجزًا عن استيعاب أسلوبها المباشر، فاستطردت في سخرية:

- ولكنني شرطية سابقة.

اتسعت عيناه في دهشة، وهتف:

- شرطية؟!

ابتسمت متهكمة، وهي تجيب:

- نعم.. شرطية سابقة، ولا تجعل ذلك يرعبك إلى هذا الحد، فلقد استقلت من صفوف الشرطة منذ عام كامل، وأعمل الآن محامية، وأمثل شرطيًا سابقًا أيضًا، يعمل محاميًا كذلك، ولكن في الظاهر فقط، في حين يرغب في إدارة مشروع آخر في الباطن.

سألها في حذر:

- ما اسم هذا المحامي؟

أجابته في بساطة:

(نديم).. (نديم فوزي).. ولكن هذا لا يهم الآن، المهم أن رئيسي هذا قد نجح في إدخال كمية كبيرة من الهيروين النقي إلى البلاد، ويحتفظ بها في مكان آمن للغية، ويبحث عن موزع مضمون، أو مشتر جيد، يمكنه أن ينقده ثمن الكمية كلها فورًا، دون تسويف أو مماطلة، فما رأيك؟

ساد الصمت التام في حجرة مكتب (قاسم)، الذي راح يتطلع إلى (غادة) في إمعان، وكأنما يحاول أن يستشف من ملامحها ما تخفيه أعماقها، إلا أن وجهها بدا له جامدًا، على الرغم من الابتسامة الواثقة، التي تعلو شفتيها، والتي جعلته يقول في النهاية:

- الواقع أنني لست...

قاطعته، وهي تنهض في هدوء:

- أظنك تحتاج إلى وقت للتفكير.. أليس كذلك؟

ثم اتجهت نحو الباب، دون أن تنتظر جوابه، مستطردة:

- سآتي لمقابلتك في الصباح.. إلى اللقاء.

غادرت المكان، وأغلقت الباب خلفها في لا مبالاة، فحدق (جميل) في الباب المغلق في دهشة واستنكار، ثم التفت إلى زعيمه، هاتفًا:

هل ستتركها تنصرف هكذا؟

تطلع إليه زعيمه لحظات في صمت، ثم لوح بكفه، قائلاً:

- بالتأكيد.

هتف (جميل):

- ولكنها هاجمتني، وهددتك بمسدسها، و...

قاطعه في حدة:

- أنت غبي.

حدق (جميل) في وجهه في دهشة، وقال:

- أنا؟!

أجابه (قاسم) في حدة:

- نعم.. أنت غبي، وعصبي، وعنيف، وكلها صفات ستوقع بك في قبضة الشرطة يومًا ما، ما لم تتغلب عليها.. ألم تستوعب الأمر بعد؟ إننا أمام فتاة تقدم لنا عرضًا، وهذا العرض لا يحتمل سوى احتمالين، لا ثالث لهما، فإما أنها خدعة من رجال الشرطة للإيقاع بنا، أو هو بالفعل تاجر جديد، يرغب في دخول عالمنا، وفي الحالتين يكون من الخطأ أن نهاجم هذه الفتاة، أو نقتلها، فسيصبح هذا دليلاً لإدانتنا في الحالة الأولى، وخطأ يفقدنا صفقة طيبة في الحالة الثانية.

عقد (جميل) حاجبيه يدرس الأمر، ثم غمغم:

- هذا صحيح.

تراجع (قاسم) في مقعده، وهو يقول:

- وأنا لا أحب أن أخسر لعبة مع الشرطة، أو صفقة مع تاجر جديد؛ ولهذا ينبغي أن ألعب اللعبة بطريقتي أنا.

مال (جميل) نحوه، يسأله في اهتمام:

- كيف؟

أشعل (قاسم) سيجارته، ونفث دخانها في بطء، وهو يجيب:

- تمامًا كما سيفعلها رجال الشرطة، لو كانوا في نفس موضعنا.

وابتسم مستطردًا في سخرية:

- سنتحرى الأمر أولاً.

وحملت ابتسامته شيئًا جديدًا..

ومخيفًا..

• • •

مملكة الشر

4- وسقط الحاجز..

لم يكن من السهل – بالتأكيد – أن ينزع (العقرب) قناعه، ويهدد حياته وعمله ومستقبله بهذه السهولة..

ولكن الموقف لم يكن أيضًا سهلاً أو هينًا..

لقد كان (العقرب) يواجه خصمًا لدودًا، لا يتمنى في حياته أكثر من فضح شخصيته، ولم يكن يحمل سلاحًا، في حين كان خصمه يصوب إليه واحدًا..

وكان الموقف يحتج إلى لعبة ذكية..

أو إلى خدعة محكمة..

وفي هدوء، عقد (العقرب) ساعديه أمام صدره، وقال:

– يخيل إلي أنك تمزح أيها العقيد.

جذب (مجدي) إبرة مسدسه في حزم، وهو يقول في حدة:

– هل تراهن؟

هز (العقرب) كتفيه، على نحو يوحي باللامبالاة، وهو يقول:

– لست أميل إلى المراهنات، فهي تخالف الشريعة الدينية، أو الفطرة السليمة، ولكنك تعلم حتمًا أنني لن أنزع قناعي أبدًا.

قال (مجدي) في صرامة غاضبة:

– ستنزعه، وإلا أطلقت عليك النار.

هز (العقرب) رأسه في هدوء، وقال:

– لن تفعل أيها العقيد.. لن يمكنك أن تفعل؛ لأنك تلتزم بالقانون، الذي يمنعك من إطلاق النار على شخص، لم يحاول حتى مهاجمتك.

تطلع إليه (مجدي) في صمت وحذر وغضب، ثم قال في عصبية:

– أعلم ما ترمي إليه يا (نديم).. إنك تحاول دفعي إلى الاقتراب منك؛ لنزع قناعك بنفسي، عسى أن يمنحك هذا فرصة تجريدي من مسدسي، والفرار من هنا، قبل أن أكشف شخصيتك، ولكنك واهم، فهذا القناع، الذي تخفي به وجهك، هو الحاجز الذي يحول بيني وبين إدانتك دائمًا، فهو يثير الشك حول حقيقة شخصيتك، والشك يميل دائمًا إلى كفة المتهم، ولكنني مصر على إسقاط الحاجز هذه المرة، ونزع قناعك.

ثم التفت إلى (درويش)، واستطرد في لهجة آمرة:

– انتزع أنت قناعه يا رجل.

هتف (درويش) في ذعر:

- أنا؟!

أجابه (مجدي) في حدة:

- نعم.. أنت.. لا ترتجف هكذا.. إنه مجرد رجل عادي، على الرغم من مظهره المخيف الذي سيتلاشى فور نزعك قناعه الأسود هذا.. هيا.. انزعه.

تردد (درويش) لحظة أخرى، إلا أنه لم يلبث أن وجد الفكرة مغرية بحق، فذلك المقنع وحده هو الذي يمثل خطرًا عليه، ونزعه القناع سيعني وقوع المقنع في قبضة العقيد (مجدي) ونجاته هو بالتبعية.. ومنحته الفكرة الشجاعة اللازمة، فدار حول (نديم)، الذي ظل يعقد ساعديه أمام صدره، ومد (درويش) يده نحو القناع، وهو يقول:

- سأنزعه.

وفجأة حل (نديم) ساعديه في حركة سريعة، وأمسك ذراعي (درويش) في قوة، وجعل من الرجل درعًا، يقيه رصاصات مسدس (مجدي)، وهو يقول:

- أحسنت يا رجل.

ثم اندفع بجسد (درويش) نحو (مجدي)..

وارتبك (مجدي) بحق..

لم يكن يتوقع هذا من (العقرب)..

ولم يكن مستعدًا له..

ثم إنه لا يستطيع إطلاق النار على (درويش)..

ومع لحظات ارتباكه هذه، بلغه (العقرب)، ودفع (درويش) إلى صدره، وهو يقول:

- اعذرني على هذه الهدية السخيفة يا عزيزي (مجدي).

ثم قفزت قدمه تركل المسدس من يد (مجدي)، مستطردًا:

- ولكنك أجبرتني على منحك إياه.

تفجر الغيظ من نفس (مجدي)، عندما فقد سلاحه وفرصته على هذا النحو، فأزاح (درويش) جانبًا في حدة، وهو يصرخ:

- لا.

ثم انقض على (العقرب) مستطردًا:

- لن تخدعني مرة أخرى.

هوى بقبضته على فك (نديم) في قوة، ولكن بطلنا تلقى اللكمة على ساعده، وهو يقول:

- مهلاً يا (مجدي).

زمجر (مجدي)، وأطلق قبضته الثانية في وجه (العقرب)، الذي استطرد في حزم:

- إنك ترتكب خطأ جسيمًا بشجارك معي.

ثم انحنى متفاديا لكمة (مجدي)، الذي اختل توازنه، فدار جسده حول نفسه، و(العقرب) يتابع:

- في حين أننا نسعى خلف هدف واحد.

ودفع ساعديه تحت ذراعي (مجدي)، ثم رفع كفيه لتتشابك أصابعهما، خلف عنق هذا الأخير، وهو يضيف:

- ومن الأفضل أن نتحد هذه المرة.

شلت هذه الوسيلة حركة (مجدي) تمامًا، فراح يطوّح ذراعيه في الهواء، ويتلوى بجسده، محاولاً تخليص نفسه، وهو يصرخ في غضب:

- لن تهزمني إلى الأبد.. لن تفعل.

قال (نديم) في صرامة:

- كفى يا رجل.. من المؤكد أنك تهتم بإثبات براءة زميلك (إبراهيم)، وأنا أسعى خلف الهدف نفسه، ودليل البراءة يقف أمامنا على قدميه، ويشاهد شجارنا شامتًا.. أليست هذه سخافة منقطعة النظير؟ أليس من الأفضل أن نتحد لنفوز في هذه المعركة على الأقل؟

توقف (مجدي) عن المقاومة، وهو يغمغم:

- نتحد؟!

كان من العسير عليه أن ينطق الكلمة، وأن يتصور محاولة تحويلها إلى حقيقة..

هناك حاجز رهيب، يحول بينه وبين (نديم)..

حاجز من الغضب والعناد..

حاجز مهيب عنيف..

ولم يكن من السهل أبدًا أن يتصور سقوط هذا الحاجز..

بل من المستحيل أن يفعل..

ولكن كلمات (نديم) كانت منطقية للغاية..

إنهما يقاتلان من أجل هدف مشترك..

ومن المحتم أن يتحدا هذه المرة..

ولمَ لا؟

سيتحد مع (نديم) هذه المرة..

سيعاونه حتى ينجحا في إثبات براءة (إبراهيم)..

وبعدها يعاود قتاله معه..

وفي أعماقه سقط هذا الحاجز، ووجد نفسه يقول:

- نعم.. لن يضيرنا أن نتحد، ولو لمرة واحدة..

وهنا انتقل الشعور بالخطر إلى قلب (درويش)..

إن اتحادهما يعني المزيد من القوة لكليهما..

ويعني سقوطه هو ..

ولم يكن ليحتمل السقوط..

والتفتت عيناه بسرعة إلى مسدس (مجدي)، الذي أسقطه (العقرب)، فقفز يلتقطه في حدة، ورفعه نحو (مجدي) و(نديم)، وهو يهتف في عصبية:

وفي هذه الحالة يختلف الأمر كثيرًا..

وبلا تردد، أطلق النار..

• • •

تألقت عينا (قاسم)، وشفت خلجاته عن ارتياح بالغ، وهو يضع سماعة الهاتف على أذنه، ويستمع إلى شخص ما في انتباه شديد، قبل أن يقول:

- هذا عظيم.. عظيم جداً.

وأعاد السماعة إلى موضعها، وهو يبتسم ابتسامة واسعة، جعلت مساعده (جميل) يسأله في لهفة:

- أهي أخبار سارة؟

أجابه (قاسم) في انفعال:

- بالتأكيد.

ثم اعتدل في مقعده، وسيطر على أعصابه الثائرة، وهو يستطرد:

- لقد اتصلت برجل يعمل لحسابنا، في مديرية الأمن، وسألته عن الرائد (نديم فوزي)

هذا، فأخبرني أنه كان ضابطًا برتبة رائد، في صفوف الشرطة، ثم فصله وزير الداخلية السابق، منذ ما يقرب من العام؛ بسبب عنفه، وإصراره على تخطي القوانين والإجراءات القانونية في ضبط المتهمين، ولكن حاول (نديم) فتح مكتب خاص للتحريات، ولكنهم رفضوا طلبه، وسحبوا منه رخصة السلاح، فما كان منه إلا أن افتتح مكتبًا للمحاماة، وانضمت إليه زميلته (غادة)، بعد أن استقالت بدورها.

سأله (جميل) في اهتمام:

- إذن فلقد كانت الفتاة صادقة.

أومأ (قاسم) برأسه إيجابًا، وقال:

- هذا ما يبدو منطقيًا، فنحن أمام رجل يحمل كل المقت والكراهية لرجال الشرطة، بعد فصله من الخدمة، ومنعه من مزاولة عمل متميز، ومن الطبيعي أن يسعى مثل هذا الرجل إلى ما يمنحه القوة، ولذة محاربة الشرطة في آن واحد، ومن الطبيعي أن يقوده هذا إلى عالمنا.

سأله (جميل) في شك:

- ولكن من أين له بالمال الكافي للاتجار في الهيروين النقي؟

اتسعت ابتسامة (قاسم)، وهو يقول:

- والده واحد من أكبر مليونيرات (مصر).

أومأ (جميل) برأسه، وقال:

إذن فقد ربحنا موردًا جديدًا.

مط (قاسم) شفتيه، وقال:

- أو قتيلاً جديدًا..

وانطلقت من بين شفتيه ضحكة..

ضحكة شيطانية..

• • •

مملكة الش

5- اللقـــاء...

في الاتحاد قوة..

لم يؤمن (مجدي) في حياته كلها بهذه العبارة، مثلما يؤمن بها الآن، بعد ما حدث..

كان (درويش) يصوب إليه مسدسه، ويضغط الزناد..

ثم تحرك هو و(العقرب)..

انحنى الاثنان في حركة واحدة، جعلت الرصاصة تعبر فوق رأسيهما، ثم قفزت قدم (مجدي) تركل مسدس (درويش)، واندفع (العقرب) في الوقت ذاته نحو المجرم، وكال له لكمة كالقنبلة، طارت لها اثنتان من أسنان (درويش)، قبل أن يرتطم هو بالحائط، ثم يرتد ساقطًا على وجهه..

وبحركة سريعة، التقط (العقرب) المسدس، وأمسك (درويش) من شعره، وجذبه في قوة، حتى أجبره على الوقوف، وهو يقول في صرامة:

- ستدفع ثمن هذا.

كانت الدماء تملأ فم (درويش)، والرعب يملأ قلبه، فهتف بمزيج منهما، وهو يلوح بيده مذعورًا:

- الرحمة!! الرحمة!!

أمسك (مجدي) عنق (درويش) في قوة، وقال في غضب:

- أية رحمة تنشدها، بعد محاولتك قتلنا يا رجل؟

انهار (درويش)، هاتفًا في ضراعة:

- لم أكن أقصد هذا.. لم أكن أقصده.

أمسك (العقرب) يد (مجدي)، وهو يقول في هدوء:

انتظر يا صديقي.. لقد أدرك هذا الوغد خطأه، وسيكفر عنه باعتراف بسيط.

رمقه (مجدي) بنظرة نارية، إلا أنه غمغم:

- أتظنه سيفعل؟

قال (العقرب) في هدوء:

- بالتأكيد.

ثم التفت إلى (درويش)، وقال في صرامة:

- هيا يا رجل.. إننا ننتظر اعترافًا مكتوبًا.

زاغت عينا (درويش)، وهو يقول في ارتياع:

- لن أستطيع.. أقسم، إنني لا أستطيع هذا.. سيقتلونني لو فعلت.

كاد (مجدي) ينفجر غاضبًا، ويهيل طنًا من السخط والسباب على رأس (درويش)، ولكنه لم يكد يفتح فمه لينطق، حتى فوجئ بـ (العقرب) يعقد ساعديه أمام صدره، ويقول في هدوء:

- يبدو أنك قد أخطأت فهم الغرض الحقيقي من اعترافك يا رجل.

تطلع إليه (درويش) في شك وحيرة، فأكمل بنفس الهدوء:

- لسنا نحتاج إلى هذا الاعتراف لمعرفة الجاني الحقيقي، فنحن نعلم أنه (قاسم عبيد).

شحب وجه (درويش) في شدة، وتطلع (مجدي) إلى وجه (العقرب) في دهشة، وهذا الأخير يتابع:

- إننا نعلم هذا، ولدينا ما يدين (قاسم)، ولكنه سيلقي بالتبعية كلها عليك، وسيثبت هذا بالدليل الذي لديه.. وأنت تدرك هذا الدليل.

انهار (درويش) تمامًا، عند هذه النقطة، وقال:

- أقسم أنني لم أقصد الإساءة إلى العقيد (إبراهيم).. لقد أفهمني (جميل)، مساعد (قاسم) أنهم يحاولون إحراجه، وتهديده فحسب.. لم أكن أعلم أنهم يخططون لإلقائه في السجن.

قال (العقرب) في صرامة:

- أريد هذا الاعتراف مكتوبًا.. هل ستفعل؟

أجاب (درويش)، وقد بلغ انهياره ذروته:

- سأفعل.. سأفعل كل ما تطلبونه.

وأدلى باعتراف تفصيلي..

• • •

قرأ (مجدي) اعتراف (درويش) - للمرة الثانية - في انفعال بالغ، ثم طواه ووضعه في جيبه في حرص، وهو يهتف:

- لقد حصلنا عليه.. حصلنا على الاعتراف.. لقد حققنا انتصارًا رائعًا، وسريعًا للغاية.

أجابه (العقرب) في هدوء:

- ليس بعد يا صديقي.

تطلع إليه (مجدي) في حنق، وهتف:

- ماذا تعني بليس بعد هذه؟

بدا وكأنما تذكر بغتة غرابة الموقف، فاستطرد في حدة:

- ثم لماذا لم تعد إليّ مسدسي ما دمت تدعي أننا سنتعاون هذه المرة؟

أجابه (العقرب) في بساطة:

- ربما لأنني لا أثق في حسن تعاونك يا صديقي.

صاح (مجدي) في غضب:

- أي قول هذا؟ أنسيت أنني أمثل القانون؟ وأنني...؟

قاطعه في حزم:

- ربما كان هذا هو السبب.

مرت لحظة ثقيلة من الصمت، و(مجدي) يتطلع إلى عيني (العقرب) في تحد، قبل أن يقول في عصبية:

- اسمع يا (نديم).. لقد سمحت لنفسي بالجلوس معك، وأنت تخفي وجهك بهذا القناع السخيف، ولكن هذا لا يعني أبدا أن..

قاطعه (العقرب) مرة أخرى في حزم:

- هل سنضيع الوقت في هذه السخافات؟

تفجر الغضب في وجه (مجدي)، وبدا وأنه سينفجر بغتة كالقنبلة، لولا أن استطرد (العقرب) دون توقف:

- هذا الاعتراف، الذي حصلنا عليه من (درويش) لا يكفي لتبرئة (إبراهيم)، فمن الممكن أن يتراجع (درويش) عن اعترافه – بكل بساطة – أمام وكيل النيابة، بحجة أننا قد أجبرناه عليه، وفي هذه الحالة سيصبح موقف (إبراهيم) أكثر ضعفًا.

ابتلعت هذه الكلمات غضب (مجدي) وثورته، فسأل في اهتمام:

- ماذا يمكننا أن نفعل إذن؟

أجابه (العقرب):

- لابد لنا من الحصول على دليل إدانة قوي.

سأله بنفس الاهتمام:

- كيف؟

جلس (العقرب) على أول مقعد صادفه في هدوء، وهو يقول:

- سأخبرك كيف..

وراح يروي خطته..



لم يكد (نديم) يخطو داخل مكتبه، في الصباح التالي، حتى استقبله عم (أحمد)، عامل المكتب، وهو يقول في قلق:

- هناك رجل ينتظرك في مكتبك يا أستاذ (نديم).

سأله (نديم) في هدوء:

- ولماذا تنطقها بكل هذا القلق يا عم (أحمد)؟

هز (أحمد) كتفيه في حيرة، وقال:

- لست أدري يا أستاذ (نديم)، ولكن هيئة هذا الرجل لا تبدو مطمئنة أبدًا.

ربت (نديم) على كتفه، قائلاً:

- لا تجعل هذا يقلقك.

اتجه إلى حجرته بكل هدوء، وألقى نظرة على الرجل الذي يجلس داخلها، والذي نهض يستقبله، ومد يده يصافحه، وهو يقول:

- صباح الخير يا (نديم) بك.. أنا (جميل).. سكرتير (قاسم بك عبيد).

فحصه (نديم) بنظرة سريعة، ثم اتجه خلف مكتبه، وسأله:

- لماذا لم يأتِ (قاسم عبيد) بنفسه؟

ابتسم (جميل) ابتسامة خبيثة، وقال:

- الكبار لا يبدءون الخطوات الأولى يا (نديم) بك.

شبك (نديم) أصابع كفيه أمام وجهه، وراح يتطلع إلى (جميل) في برود، ثم سأله بغتة:

- ما رأي رئيسك في عرضي؟

ظلت نفس الابتسامة الخبيثة على شفتي (جميل)، وهو يجيب:

- لو أنك تقصد فكرة توريد البضاعة إلينا، فالفكرة مقبولة، ولكن..

صمت لحظات، فسأله (نديم):

- ولكن ماذا؟ أينبغي أن أسجل اسمي في سجل الموردين؟

قهقه (جميل) ضاحكًا، وقال:

- دعابة طريفة يا (نديم) بك.

ثم تلاشى مرحه بغتة، وأضاف في جديه:

- ولكن مثل هذه الأمور تعتمد على عدة نقاط.

سأله (نديم):

- مثل ماذا؟

استعاد (جميل) تلك الابتسامة الخبيثة، وهو يقول:

- مثل سعر البضاعة، ونوعيتها، وطريقة السداد.

مرت لحظة من الصمت، وكأنما يزن (نديم) الأمر في رأسه، ثم سأل (جميل):

- هل زعيمك رجل شريف؟

أجابه (جميل) في حماس:

- إنه رجل شريف للغاية.

بدا الجواب ساخرًا مضحكًا، بالنسبة لـ (نديم)، إلا أنه لم يبتسم، وهو يلقي سؤاله التالي:

- أتعني أنه رجل مضمون؟

أجابه (جميل) بنفس الحماس:

- نعم.. مضمون تمامًا.

مضت لحظة أخرى من الصمت، ثم قال (نديم):

- اسمع يا (جميل).. أبلغ رئيسك أنني أرغب في إتمام هذه الصفقة في خلال يومين فحسب؛ لأنني سأغادر البلاد بعدها، وأريد إتمام كل الإجراءات المطلوبة في هذه الفترة.

ثم فتح درج مكتبه، والتقط منه كيسًا صغيرًا، يمتلئ بالمسحوق الأبيض، وألقاه نحو (جميل)، مستطردًا:

- هذه هي العينة المطلوبة، أما السعر فها هو ذا.

خط الرقم على ورقة صغيرة، ودفعها أمام عيني (جميل)، وهو يضيف في حزم:

- وهذا يعني أن الصفقة كلها تساوي مليونين من الجنيهات، يتم دفعها نقدًا وعدًا، عند تسلم البضاعة.

رفع (جميل) حاجبيه في دهشة، وهو يطالع الرقم، الذي خطه (نديم) على الورقة، ثم لم يلبث أن أخفى دهشته، ودس الورقة في جيبه، وابتسم قائلاً:

- لا بأس يا (نديم) بك.. انتظر رد الزعيم الليلة.

أجابه (نديم) في صرامة:

- بل بعد ساعتين لا أكثر.

تطلع إليه (جميل) في دهشة، فتراجع (نديم) في مقعده، وسأله:

- هل تعتبر هذا نوعًا من الضغط؟

ابتسم (جميل)، وقال في هدوء:

- لا.. لا توجد أية ضغوط.

ثم نهض مستطردًا:

- لا بأس يا (نديم) بك.. سيأتيك الجواب بعد ساعتين.

وصافحه في قوة ثم انصرف..

وعلى الرغم من أن وجه (نديم) ظل جامدًا، إلا أن عينيه قد حملتا ابتسامة واسعة، وهو ينهض من خلف مكتبه، ويتجه إلى حجرة (غادة) المجاورة..

وابتسمت (غادة)، عندما رأته يدلف إلى حجرتها، وقالت:

- كان حديثك معه رائعًا.

أومأ برأسه في حركة هادئة، وسألها:

- هل سجلت المحادثة كلها؟

ابتسمت قائلة:

- كل حرف منها.

ثم أضافت مشيرة إلى جهاز الكمبيوتر:

- وسيقوم الكمبيوتر بالباقي وحده.

هز كتفيه، وقال:

- إنه عصر التكنولوجيا بالتأكيد.

وشرد بصره، وهو يضيف:

- وسنرى من سيربح المعركة هذه المرة.. التكنولوجيا أم تلك المملكة.. مملكة الشر..

• • •

مملكة الشر

6- وبدأتْ اللعبة..

التقطت عينا مراقب المنطقة، الذي يعمل لحساب تجار المخدرات في (الباطنية)، سيارة الشرطة، التي دخلت إلى الحي فأطلق صفيرًا مميزًا، نقله مراقب ثانٍ إلى ثالث، وأطلقه الثالث في قلب الحي، معلنًا وصول سيارة الشرطة، فتحرك الجميع في سرعة، واختفت آثار المخدرات في دقائق، قبل أن تقتحم السيارة قلب السوق، وتتوقف أمام متجر (قاسم عبيد) مباشرة..

لم يكن داخل السيارة سوى رجل واحد، هو العقيد (مجدي)، الذي غادر السيارة في حركة حادة، وأدار عينيه في أهل الحي في صرامة، قبل أن يركزهما على وجه (قاسم)، ويقول في خشونة:

- أنت (قاسم عبيد).. أليس كذلك؟

التقط (قاسم) نفسًا عميقًا، من مبسم نرجيلته الطويل، ونفثه في الهواء، قبل أن يقول في استهتار:

- بلى.. أنا (قاسم عبيد).. هل من خدمة يمكنني تقديمها؟

أمسكه (مجدي) من قميصه بغتة، وأجبره على النهوض في عنف، وهو يقول في غضب صارم:

- انهض عندما تتحدث إليَّ.

تحفز (جميل) لحظة، ثم لم يلبث أن تذكر أن هذا الذي يهين زعيمه رجل شرطة، فتراجع في توتر، في حين قال (قاسم) في هدوء:

- لقد نهضت بالفعل.. ماذا تريد مني بالضبط أيها العقيد؟

حدق (مجدي) في عينيه مباشرة، وهو يقول:

- أريد أن أرى كبير تجار السموم في هذه المنطقة؟

ابتسم (قاسم) في سخرية، وقال:

- وما شأني أنا بهذا؟

جذبه إليه (مجدي) مرة ثانية في عنف، وقال:

- اسمع يا رجل.. اسمعني جيدًا.. إنني أبغض تجار المخدرات، وأعلم أنه ما من دليل لإدانتك حتى الآن، ولكنني سأعثر على الدليل يومًا.

قال (قاسم)، دون أن يفارقه هدوءه:

- يلوح لي أنك قد أخطأت هدفك أيها العقيد.

أجابه (مجدي) في حدة:

- لا

ثم دفعه في حدة، وأعاده إلى مقعده، واستدار يهم بالانصراف، إلا أنه لم يلبث أن التفت إليه في حدة:

- قل لي يا رجل: لقد بلغني أن شحنة من الهيروين النقي، تبلغ عشرة كيلوجرامات قد دخلت البلاد منذ أيام.. ما معلوماتك عنها؟

قال (قاسم) في برود:

- لست أعلم عنها شيئًا.

رمقه (مجدي) بنظرة نارية، ثم قفز داخل سيارة الشرطة، وانطلق بها مبتعدًا، وهنا هتف (جميل) في حدة:

- إنه ضابط مغرور.

ابتسم (قاسم) وقال:

- ولكنه أفادنا كثيرًا.

تطلع إليه (جميل) في دهشة، وقال:

- كيف؟

أجابه (قاسم) مبتسمًا:

لقد أخبرنا بأمر الكيلوجرامات العشرة التي أدخلها (نديم فوزي) إلى البلاد، وهذا يعني أن الصفقة موجودة بالفعل.

ثم مد يده على (جميل)، مستطردًا:

- أرني العينة.

ناوله (جميل) كيس المسحوق الصغير، فمزق (قاسم) طرفه، وسكب القليل منه على سبابته، ثم تذوق بطرف لسانه في حذر، وابتسم قائلاً:

- إنه نوع نقي رائع.

ثم أعاد الكيس إلى (جميل)، مستطردًا:

- والسعر جيد جدًا.

هتف (جميل):

- بل هو ممتاز.. لقد أدهشني للغاية.

ثم انعقد حاجباه دون سبب واضح، وهو يضيف:

في رأيي أنها صفقة رائعة يا زعيمي.. سنربح منها مليون جنيه على الأقل.

أومأ (قاسم) برأسه موافقًا، وقال:

- هذا صحيح.

ثم اعتدل قائلاً في حسم:

- سنتم الصفقة الليلة.

هتف (جميل) في دهشة:

- الليلة؟!

التقط (قاسم) نفسًا من مبسم نرجيلته، وقال:

- نعم.. الليلة.. ألم تقل إن (نديم) هذا يرغب في إتمام الصفقة بسرعة؟

غمغم (جميل) في تردد:

- نعم.. ولكن..

قاطعه (قاسم) في حزم:

- لا يوجد لكن.. إنها صفقة رائعة، ولن أضيع الوقت، خشية أن يجد (نديم) هذا مشتريًا آخر.

هز (جميل) كتفيه مستسلمًا، وقال:

- كما تأمر يا زعيمي.

ابتسم (قاسم) في سعاد، لهذه الصفقة الجيدة، ونفث دخان النرجيلة في الهواء، ثم قال:

- اذهب إلى (نديم) هذا، وأخبره أنني أوافق على إتمام الصفقة الليلة.

نهض (جميل) قائلاً:

سأفعل يا زعيمي.

لم يدرك لحظتها أنه يلعب نفس اللعبة..

لعبة (العقرب)..

• • •

أطلقت (غادة) زفرة قوية، من أعماق صدرها، وهي تدلف إلى مكتب (نديم)، وهتفت وهي تلقى إليه حقيبة صغيرة:

- ها هو ذا.

التقط (نديم) الحقيبة، في حين ألقت هي جسدها على أول مقعد صادفها، وهي تقول في حدة:

- لم أشعر بمثل هذا التوتر في حياتي كلها.

فتح (نديم) الحقيبة، وتطلع إلى أكياس المسحوق الأبيض داخلها، وقال في اهتمام:

- أهو هيروين نقي؟

أجابته في حدة:

- نعم.. من أنقى أنواع الهيروين، ولكنني لم أتصور نفسي أبدًا في مثل هذا الموقف.. تصور أن أذهب إلى تاجر مخدرات، وأبتاع نصف كيلوجرام من الهيروين!! ماذا كان يمكن أن يحدث لو ألقي القبض عليَّ وأنا أحمل هذه الحقيبة؟

لم يجب على الفور، وإنما أعاد إغلاق الحقيبة في إحكام، وقال:

- من حسن الحظ أن هذا لم يحدث.

هتفت معترضة:

- أهذا كل ما أمكنك قوله؟

لمحت على شفتيه شبح ابتسامة، لم يلبث أن تلاشى بسرعة، فأطلقت زفرة أخرى، وغمغمت في سخط:

- من أسوأ الأمور أن تعمل امرأة مع رجل، لا يشعر أنها كذلك.

ثم اعتدلت وسألته:

- أين ستحتفظ بهذه الحقيبة؟

أجابها في بساطة:

- هنا.

هتفت في دهشة:

- هنا؟! ماذا لو استغل (مجدي) الموقف ليوقع بك؟ أليس من المحتمل أن تجده يقتحم المكتب الآن على رأس وحدة كاملة من وحدات إدارة مكافحة المخدرات ويضبط الهيروين و...؟

قاطعها في هدوء:

- لن يفعل.

صاحت:

- عجباً!! هل تثق فيه إلى هذا الحد؟

تطلع إليها لحظة في صمت، وقال:

- (مجدي) رجل شريف، وهو لن يوقع بي بتهمة زائفة.

قالت في حدة:

- ولكنه مستعد لدفع نصف عمره للإيقاع بك.

اعتدل في مقعده، وقال في هدوء:

- لأنه يتصور عملي في شخصية (العقرب) يخالف القانون.

حدقت فيه بدهشة، ثم لم تلبث أن لوحت بكفها، وقالت في حدة:

- فليكن.. إنك تمنح (مجدي) ثقة لا يستحقها في رأيي، فأنا لا أثق فيه قط.

تراجع (نديم)، وقال في بساطة:

- ولكنه لا يعلم بأمر وجود الهيروين هنا.

هتفت في دهشة:

- ألم تخبرني أنه يعلم بكل تفاصيل الخطة؟

لوح بكفه قائلاً:

- ليس كلها.

ابتسمت ابتسامة كبيرة، لم تلبث أن تحولت إلى ضحكة عالية، وهي تقول:

- هذا هو السبب الحقيقي إذن.

لم تكد تتم عبارتها حتى سمع الاثنان دقات هادئة على الباب، فوضع (نديم) الحقيبة جانبه، وقال:

- ادخل يا عم (أحمد).

دخل عم (أحمد) إلى الحجرة، وقال في ضيق:

- لقد عاد ذلك الرجل يا أستاذ (نديم)، وهو يطلب مقابلتك.

قال (نديم) في هدوء:

- دعه يدخل.

تراجع عم (أحمد)، وأفسح الطريق لـ (جميل)، الذي اندفع داخل الحجرة، ومد يده عن آخرها ليصافح (نديم)، وهو يقول:

- صباح الخير مرة أخرى يا (نديم) بك.. إنني..

بتر عبارته في حدة، عندما وقع بصره على (غادة)، التي ابتسمت في سخرية، فانعقد حاجباه، وارتسمت على ملامحه البغضاء، وقال (نديم) في هدوء:

- لا تقلق.. إنها زميلتي الآنسة (غادة).

غمغم (جميل) في حنق:

- لقد سبق أن التقينا.

ضمت (غادة) قبضتها، وقالت في سخرية:

- وكان لقاء عنيفًا.

انقبضت قبضتا (جميل) في تحفز، وتقافز الغضب من عينيه، فأسرع (نديم) يسأله:

- هل تحمل رد رئيسك؟

التفت إليه (جميل)، ولانت ملامحه بغتة، وتراخت قبضتاه، وأجاب:

- نعم.

أشار إليه (نديم) بالجلوس، وهو يقول في بساطة:

- وما رده؟

جلس (جميل)، وأجاب في تعالٍ:

لقد وافق على إتمام الصفقة الليلة، وسيدفع المبلغ نقدًا، في الساعة الـ...

قاطعه (نديم) في هدوء:

- اترك لنا تحديد هذا.

انعقد حاجبا (جميل)، وهو يقول في حدة:

- لن يسمح الزعيم بهذا.. إنه لن يثق فيكما مثلي، و...

قاطعه (نديم) مرة أخرى في هدوء:

- اطمئن.. أنت نفسك ستخبر الزعيم بالترتيبات.

ولكن (جميل) لم يشعر بالارتياح، وهو يتطلع إلى عيني (نديم)..

كان هناك نظرة غامضة مخيفة في عيني (نديم)..

نظرة عقرب..

• • •

مملكة الشر

7- الخدعة..

ارتفع رنين الهاتف، في متجر (قاسم عبيد)، فالتقط (قاسم) سماعة الهاتف، ووضعها على أذنه، قائلاً في لهفة:

- من المتحدث؟

أتاه صوت هادئ رصين، يقول:

- أنا (نديم).. (نديم فوزي).

ارتبك (قاسم) لحظة أمام المفاجأة، ثم قال:

- وماذا تريد يا (نديم) بك؟

أجابه (نديم) في هدوء:

- إنني أتحدث إليك بشأن صفقتنا الـ...

قاطعه (قاسم) في حدة:

- انتظرّ يا (نديم) بك.

ساد الصمت تمامًا، على الجانب الآخر للهاتف، فاستطرد في لهفة قلقة:

- ضع سماعة الهاتف يا (نديم) بك، وسأتصل بك أنا.

سمع صوت سماعة الهاتف توضع، ثم أعقب هذا صوت الأزيز المتصل للهاتف، فأعاد سماعته إلى موضعها بدوره، وهو يغمغم:

- شديد الالتزام هو (نديم) هذا.

واتجه إلى حجرة مكتبه، وفتح درج المكتب، والتقط منه سماعة هاتف سري، وضغط أزرار رقم مكتب (نديم)، وهو يتابع:

- من حسن الحظ أنني حصلت على رقم هاتف ذلك المحامي.

سمع صوت رفع سماعة الهاتف من الطرف الآخر، فقال:

- مرحبًا يا (نديم) بك.. معذرة.. خشيت أن يكون هذا الهاتف مراقبًا؛ ولهذا أتحدث إليك من هاتف آخر.

قال (نديم) بهدوئه المعهود:

- أأنت واثق من أن الهاتف الآخر غير مراقب؟

ابتسم (قاسم) وقال:

- بالتأكيد.. إنه خط خاص، ولقد دفعت ثروة، من أجل الحصول عليه.

ثم تلاشت ابتسامته، وذابت مع جديته وقلقه، وهو يستطرد:

- ولكن ماذا تريد بشأن الصفقة يا (نديم) بك؟ ألم يصلك (جميل) بعد؟

أجابه (نديم):

- لقد وصل، ولكنني أريد إتمام الصفقة في مكان آخر وبحضورك شخصيًا.

عقد (قاسم) حاجبيه، وامتلأت نفسه بالشك وهو يجيب في حذر:

- ولماذا حضوري شخصيًا؟

أجابه (نديم) في برود، لا يخلو من الصرامة:

- لأنني أعتبر نفسي زعيمًا، ولست أحب التعامل شخصيًا إلا مع الزعماء.. ثم إننا لم نلتقِ من قبل، والمفروض أن يتعارف من يتعاملون معًا، في مثل هذا النوع من البضائع.

بدت كلماته مقنعة إلى حد ما، فغمغم (قاسم):

- أنت على حق.

ثم عادت الريبة تملأ نفسه، فاستطرد بنفس الحذر:

- ولكن أين هذا المكان الذي تريد أن نلتقي فيه؟

أجابه (نديم):

- فيلتي في (الهرم).

ردد قاسم في دهشة وشك:

- فيلتك؟!

قال (نديم) في بساطة:

- نعم.. إنها مكان مأمون، وهي ليست مسجلة باسمي، ثم إن لها قبوًا سريًا، يصلح للاختباء، إذا ما داهمتنا الشرطة، كما يصلح لإخفاء البضاعة وقت اللزوم.

قال (قاسم) في حذر:

- ومن أدراك أنها ليست مراقبة؟

سأله (نديم):

- أخبرني أنت: لماذا لم تفترض أن هاتفي مراقب؟

أجابه (قاسم):

- لأنك وجه جديد على الساحة، ولا يوجد مبرر لمراقبة هاتفك.

أتاه صوت (نديم) باردًا كالثلج، وهو يقول:

- وهذا هو الجواب نفسه، بالنسبة لمراقبة الفيلا.

حملت أسلاك الهاتف صمتًا طويلاً، استغرق دقيقة كاملة من الطرفين، قبل أن يقول (قاسم) في قلق:

- لو أن (جميل) استطاع رؤية الفيلا أولاً، فـ...

قاطعه (نديم):

- لقد رآها، وها هو ذا يجلس معي، فأنا أتحدث في وجوده.

تمتم (قاسم) في دهشة:

- في وجوده؟!

ثم أضاف في دهاء:

- دعني أتحدث إليه إذن.

سمع صوت (نديم)، وهو يقول في بساطة:

- إنه يريد أن يتحدث إليك يا (جميل).

مضت لحظة من الصمت، ثم سمع صوت (جميل) يقول:

- أنا (جميل).

ميز صوته في وضوح، فسأله في همس:

قل لي: هل يجبرك هذا الرجل على التحدث إليّ أو قول شيء يخالف الحقيقة؟

أتاه صوت (جميل)، يقول في هدوء:

- لا.. لا توجد أية ضغوط.

كانت اللهجة التي يتحدث بها مطمئنة حقًا؛ مما بعث الكثير من الارتياح في نفس (قاسم)، فاعتدل في مقعده، وسأل مساعده في اهتمام:

- أخبرني يا (جميل)، هل تظن أن (نديم فوزي) هذا أهل للثقة؟

سمع صوت (جميل)، يقول في حماس:

- إنه رجل شريف للغاية.

سأله:

- وماذا عن الفيلا؟ هل يبدو لك المكان آمنًا؟

وبنفس الحماس، سمع (جميل) يقول:

- نعم.. مضمون تمامًا.

تنهد (قاسم) في ارتياح، وقال:

- فليكن.. دعني أتحدث مع (نديم) بك.

مضت لحظة أخرى من الصمت، ثم سمع صوت (نديم) يقول:

- حسنًا.. هل اتخذت قرارك؟

سأله (قاسم):

- متى تحب إتمام الصفقة يا (نديم) بك؟

أجابه (نديم):

- في السابعة مساء.. مع غروب الشمس.. سأخبرك عنوان الفيلا.

استمع إليه (قاسم) في اهتمام، ثم قال:

- فليكن يا (نديم) بك.. سأحضر في الموعد تمامًا ومعي المبلغ.

أنهى الاتصال، وصمت لحظات، وهو يحك ذقنه بسبابته، ثم لم يلبث أن فتح درجًا آخر في مكتبه، والتقط منه مسدسًا من نوع (البيرتا)، وجذب مشطه؛ ليتأكد من حشوه، ثم دسه في جيبه، متمتمًا:

- الحذر واجب، في مثل هذه الأمور.

وتحسس المسدس الراقد في جيب سترته، وكأنما يحاول أن يستمد منه شعورًا بالأمان، إلا أن شيئًا ما في أعماقه كان يشعر بالقلق..

وبالخوف..

• • •

استنشقت (غادة) الهواء في عمق، في شرفة فيلا (الهرم)، وأغلقت عينيها في استمتاع، ثم التفتت إلى (نديم) تقول:

- ما أمتع الهواء هنا!! ألا يبدو لك المشهد والجو رائعين؟

قال في هدوء:

- إلى حد ما.

هتفت مستنكرة:

- إلى حد ما؟! ألم تعد تستمتع بالجمال؟ انظر مرة أخرى يا رجل، وحاول أن...

قاطعها في ضجر:

- الوقت والظروف لا يناسبان هذا.

مطت شفتيها، قائلة:

- ربما.

ثم زفرت في ضيق، وسألته:

- كم بقى من الوقت قبل وصول (قاسم)؟

تطلع إلى ساعته، وأجاب:

- خمس دقائق فقط.. هذا لو أنه ممن يلتزمون بمواعيدهم.

تطلعت إلى الطريق، وقالت:

- يبدو أنه كذلك.. ها هو ذا.

نظر إلى حيث تتطلع هي، ورأى سيارة (قاسم) تقترب بسرعة، فقال في اقتضاب، حمل شيئًا من الحماس الذي يملأ عروقه:

- عظيم.

وأضافت (غادة)، وهي تسبل جفنيها في تراخ:

- كل شيء يسير على ما يرام.

توقفت سيارة (قاسم) (المرسيدس) الحمراء أمام الفيلا، وهبط هو منها في حذر، وتلفت حوله، قبل أن يلتقط حقيبته، ويتجه نحو الفيلا، حيث استقبله (نديم)، وصافحه في هدوء، قائلاً:

- أهلاً بك في الفيلا يا سيد (قاسم).

ابتسم (قاسم) في خبث، وهو يقول:

- أهلاً بك أنت في عالمنا يا (نديم) بك.

قاده (نديم) إلى ردهة الفيلا، وجلس الاثنان على مقعدين متقابلين، وأشعل (قاسم) سيجارته، وهو يقول:

- هل البضاعة جاهزة؟

أشار (نديم) إلى حقيبة كبيرة، وقال:

- ها هي ذي.

هم (قاسم) بالنهوض من مقعده؛ لإحضار الحقيبة، ولكن (نديم) سأله في حزم:

- وماذا عن المال؟

دفع (قاسم) حقيبته إلى (نديم)، وقال:

- ها هو ذا.

التقط (نديم) الحقيبة، وفتحها، وتطلع في لا مبالاة إلى أوراق النقد المكدسة داخلها، ثم قال لـ (قاسم):

- يمكنك أخذ الحقيبة.

نهض (قاسم) من مقعده، وجذب إليه حقيبة (نديم)، ثم انعقد حاجباه، وقال في حدة:

- هذه الحقيبة خفيفة الوزن.. من المستحيل أن تحوي الكمية كلها.

هز (نديم) كتفيه، وقال:

- بالتأكيد.. الكمية مقسمة على عدد من الحقائب، وكل واحدة تحوي نصف كيلوجرام من المسحوق، وستتبعك عربة تحمل الحقائب كلهاّ.. هذه عينة فحسب.

قال (قاسم) في حدة:

- لماذا لا أحصل على الكمية كلها؟

تراجع (نديم) في مقعده، وقال:

- لأنك مراقب، كما سبق أن أخبرتني يا (قاسم)، ومن الخطر أن تحمل معك جرامًا واحدًا من الهيروين.

ثم أشار إليه، مستطردًا في لهجة آمرة:

- افحص الحقيبة التي تحملها يا رجل.. اطمئن إلى جودة البضاعة.

فتح (قاسم) الحقيبة، وألقى نظرة سريعة على المسحوق، ثم أغلقها، وابتسم قائلاً:

- أنا أثق فيك يا (نديم) بك.. وأهنئك على حذرك الزائد هذا، فهو أفضل جواز للمرور والبقاء في عالمنا.

أومأ (نديم) برأسه في وقار، ثم سأله في هدوء:

- الآن أصبح الهيروين ملكك.. أليس كذلك؟

ابتسم (قاسم) ابتسامة واسعة، وهو يقول:

- بلى.. كل الهيروين ملكي.

لم يكد يتم كلمته، حتى برز (مجدي) من الحجرة المجاورة وصوب إليه مسدسه، وهو يقول في شماتة ظافرة:

- سأعتبر هذا اعترافًا.

واتسعت عينا (قاسم) في رعب..

• • •

مملكة الشر

8- العقارب..

تجمدت أطراف (قاسم)، واتسعت عيناه في ذهول، وتفجر بركان من الغضب والسخط في أعماقه، وهو يحدق في وجه (مجدي) ومسدسه، وكاد يصرخ في وجه (نديم)، ويتهمه بخيانته وخداعه، إلا أنه فوجئ بـ (نديم) يهب من مقعده، ويهتف في غضب:

- لقد خدعتني يا (قاسم).. أنت أوقعتني في قبضة الشرطة.

التفت إليه (قاسم) في ذهول، وهو يهتف:

خدعتك؟! أنا؟!

ولكن (مجدي) ابتسم في سخرية، وقال:

- بل خدعه هاتفه السري يا (نديم).. لقد تصور أنه آمن من المراقبة، في حين كنت أنا أراقبه، وعلمت منه موعد ومكان صفقتكما.

صاح (نديم) في وجه (قاسم):

- أرأيت أيها الغبي.. أرأيت ما فعله بنا غرورك.

غمغم (قاسم) في ذهول:

- أنا.. أنا..

إلا أنه لم يلبث أن دفع حقيبة الهيروين بعيدًا عن صدره، وهو يستطرد في ارتياع:

- لا صلة لي بهذه الحقيبة أو محتوياتها.. إنها حقيبته.

قال (مجدي) في صرامة:

- البصمات فوقها ستحدد صاحبها يا (قاسم).

اتسعت عينا (قاسم) في رعب، وفرد راحتيه أمام وجهه، وراح يحدق فيهما في حنق، ثم لم يلبث أن أخفى بهما وجهه، وهو يهتف في مرارة:

- اللعنة!

مزق صوت (مجدي) البقية الباقية من أعصابه، وهو يقول في شماتة:

- لقد وقعت يا (قاسم).. انتهيت.. ستقضي ما تبقى من عمرك خلف القضبان.. أو يلتف حبل المشنقة حول عنقك.

تحسس (قاسم) عنقه في رعب هائل، في حين قال (نديم) في حدة، لا تتفق أبدًا وشخصيته الهادئة الرصينة:

- لن أسمح بهذا أبدًا.

التفت إليه (مجدي)، وقال:

- لقد انتهيت أنت أيضًا يا (نديم).. لماذا اخترت هذا الطريق الشائك؟ كان من الممكن أن تحمل الآن رتبة المقدم في صفوف الشرطة، لولا..

قاطعه (نديم) فجأة في حزم:

- كم تطلب يا (مجدي)؟

سأله (مجدي) في دهشة:

- ماذا تعني؟!

أجابه في حدة:

- أنت تعلم أن والدي واحد من أكبر مليونيرات (مصر)، وهو لن يسمح أبدًا بأن يلقى ابنه الوحيد في غياهب السجون، وأنا واثق أنه سيمنحك ثروة ضخمة، لو أنك تعاميت عما رأيته الآن.. ما رأيك؟

بدا التردد على وجه (مجدي)، فانتعش أمل محتضر في أعماق (قاسم)، وقال في لهفة:

- أنا أيضًا مستعد لمنحك ما تطلب، مقابل هذا.. ما رأيك في ربع مليون؟ نصف مليون.. ماذا تطلب بالضبط؟

أمسك (مجدي) ذقنه بسبابته وإبهامه، وبدا وكأنه يفكر جديًا في العرض، إلا أنه لم يلبث أن هز رأسه في شدة، واستعاد صرامته، وهو يقول:

- لا.. لا يمكنني قبول مثل هذه العروض.

قال (نديم):

- لماذا؟ إنك لن تربح من عملك في الشرطة، حتى نهاية عمرك، ربع هذا المبلغ.

ثم أضاف في صرامة:

- ثم إننا نستطيع تدمير مستقبلك، حتى ونحن داخل السجن.

بدا القلق والتردد على وجه (مجدي)، وقال:

- تدمير مستقبلي؟! ما من تاجر مخدرات يمكنه تدمير مستقبل رجل شرطة.

وتضاعف القلق في ملامحه، وهو يستطرد:

- أليس كذلك؟

لاح في قلقه بادرة أمل لـ (قاسم)، فاندفع يقول:

- من قال هذا؟ بالتأكيد يمكننا تدمير مستقبل أي ضابط شرطة.

هز (مجدي) رأسه في قلق، وقال:

- لم يحدث هذا من قبل.

هتف (قاسم):

- بل حدث.. أنت تعرف قضية (إبراهيم علوان).. لقد كنت أحد شهودها.. فلتعلم إذن أننا نحن لفقنا له هذه التهمة.

خفض (مجدي) مسدسه، وهو يهتف:

- أنتم؟!

أجابه (قاسم) في حدة:

- نعم.. نحن.. لقد رشونا أمين مخازن المضبوطات، وجعلناه يوقع بالعقيد (إبراهيم).

وبدا (مجدي) حائرًا متوترًا بضع لحظات، ثم لم يلبث أن رفع مسدسه مرة أخرى في وجه (قاسم)، وقال:

- لا.. لست أصدق هذا.

شعر (قاسم) أن فرصته الوحيدة في النجاة هي إرهاب (مجدي)، فقال في حزم:

- إن لديَّ الدليل.

عقد (مجدي) حاجبيه في شدة، وقال:

- أنت كاذب.

وهنا أشار (نديم) إلى (قاسم) في حزم، وقال لـ (مجدي):

- ماذا ستفعل إذن لو رأيت الدليل، على أن (قاسم) استطاع تدمير مستقبل (إبراهيم علوان) هذا؟ هل تكتفي بالمال وتتركنا نذهب إلى حال سبيلنا؟

أجابه (مجدي) في حسم:

- لن يكون أمامي سوى هذا.

تهللت أسارير (قاسم)، وهتف:

- لا بأس.

ثم دس يده في جيب سرواله، وأخرج منه شريطًا صغيرًا، ناوله إلى (مجدي) قائلاً:

- ها هو ذا الدليل.

التقط (مجدي) الشريط، وقلبه بين أصابعه، قائلاً:

- ما هذا بالضبط؟

أجابه (قاسم):

- شريط فيديو من مقياس ثمانية مليمترات الجديد، ستجد فوقه تسجيلاً بالصوت والصورة لـ (درويش)، أمين مخازن المضبوطات، بمديرية أمن (القاهرة)، وهو يروي ما فعله بالهيروين، والوسيلة التي ألصق بها التهمة بالعقيد (إبراهيم)، ثم وهو يتسلم الجزء الثاني من الرشوة.. لقد كنت أحتفظ بهذا الشريط؛ لضمان صمت (درويش)، ولكنه حقق فائدة أخرى.

ابتسم (مجدي)، وقال وهو يدس الشريط في جيبه:

- بالتأكيد يا (قاسم).. لقد حقق فائدة لن تتصورها أبدًا.

ثم التفت إلى (نديم)، وقال:

- أليس كذلك يا صديقي؟

تفجر الذهول في أعماق (قاسم)، مختلطًا بغضب لا حدود له، عندما استعاد (نديم) كل هدوئه، وجلس في بساطة، قائلاً:

- بالتأكيد يا عزيزي (مجدي).. لقد نجحت اللعبة.

ردد (قاسم) في ذهول:

- اللعبة؟!

ثم انهار على مقعده، مستطردًا:

- إذن فكل هذا مجرد لعبة؟! خدعة للحصول على الشريط؟

أجابه (نديم) في بساطة:

- هذا صحيح.

راح (قاسم) ينقل بصره بين وجهي (نديم) و(مجدي) في ذهول، ثم هتف:

- ولكن كيف؟ لقد تحريت عنك جيدا!!

أجابه (مجدي):

- كل المعلومات التي حصلت عليها، بشأن (نديم)، سليمة.. فلقد فصل من خدمة الشرطة بالفعل.

لم يستطع (قاسم) استيعاب هذه النقطة في سهولة، فهتف:

- ولكن ماذا عن (جميل)؟ لقد أخبرني بنفسه أن الفيلا آمنة، وهو شديد الدقة في مثل هذه الأمور، و...

قاطعه (نديم) في هدوء:

- هذا لو أنه فعل.. الواقع أننا قد أفقدنا مساعدك (جميل) وعيه، عندما جاء لزيارتنا، في المرة الثانية، وتم نقله مباشرة إلى زنزانة خاصة، في قبو مديرية الأمن، مع (درويش).

هتف (قاسم):

- مستحيل! لقد تحدثت إليه بنفسي هاتفياً.

هز (نديم) كتفيه، وقال:

- هنا يأتي دور التكنولوجيا يا رجل، فعندما جاء (جميل) إلى مكتبي، في المرة الأولى، سجلت زميلتي (غادة) كل حديثي معه، وبعدها أضافت التسجيل إلى الكمبيوتر، ولقنته المعلومات الخاصة بما تنتوي فعله، وعندما تحدثت أنت، وطلبت التحدث مع (جميل)، أوصلت (غادة) الهاتف بالكمبيوتر، الذي انتقى من عبارات (جميل) المسجلة ما يتوافق مع خطتنا، ونقله إليك، فتصورت أنت أنك تتحدث إلى مساعدك، واطمأن قلبك بشأن الحضور إلى هنا، فوقعت في الفخ كالغر الساذج.

غمغم (قاسم) في مرارة:

- نعم.. كالغر الساذج.

وفجأة وثبت يده إلى سترته، وانتزعت مسدسه، وهو يقول في غضب:

ولكن هذا لن يدوم طويلاً.

وأطلق النار..

• • •

مملكة الشر

9- الختـــام..!

من المؤكد أن (قاسم) لم يحصل على لقب زعيم تجار المخدرات عبثًا، فلقد انتزع مسدسه في سرعة، وأطلق منه النار نحو (مجدي)، قبل أن يتخذ هذا الأخير ما يلزم لصد الهجوم.. وأصابت رصاصة (قاسم) ذراع (مجدي)، الذي أطلق صرخة ألم مكتومة، لم تلبث أن تحولت إلى سباب ساخط، عندما سقط مسدسه من يده..

وبحركة حادة سريعة، قفز (قاسم) إلى الخلف، وصوب مسدسه إلى (نديم) و(مجدي)، وهو يهتف:

- انتهت اللعبة يا سادة.. ولغير صالحكما.

لم يبد الخوف على وجه (نديم)، الذي ظل هادئًا، وهو يجلس على مقعده، قائلاً:

- أتتصور هذا حقًا؟

أجابه (قاسم) في شراسة:

- نعم.. أتصوره.. لقد خدعتماني للحصول على الشريط، ولكنني سأستعيده من بين أشلائكما، قبل أن أنصرف من هنا.

قال (نديم) في بساطة:

- أتظن أننا وحدنا هنا؟

أطلق (قاسم) ضحكة ساخرة، وقال:

- نعم.. نعم أظن هذا، فمن الواضح أنكما قد فعلتما كل هذا وحدكما، دون أوراق قانونية، أو خطة مدروسة.

عض (مجدي) شفتيه؛ ليكتم آلام جرحه، وهو يقول:

- خطأ أيها الوغد.. إننا هنا بإذن خاص من النائب العام.. وكل ما حدث هنا مسجل، بالصوت والصورة، تسجيلاً قانونيًا سليمًا، سيلقي بك خلف القضبان إلى الأبد.

تلفت (قاسم) حوله في انزعاج، وهتف:

- أنت كاذب.

ثم جذب إبرة مسدسه في شراسة، وهو يصوبه إلى (مجدي)، صارخًا:

- أنتما وحدكما هنا.. أعلم أنكما كذلك.

انبعث من خلفه فجأة صوتًا أنثويًا ساخرًا، يقول:

- إذن فلست من أنصار المساواة، بين الرجل والمرأة يا صاح.

استدار (قاسم) إلى مصدر الصوت في حركة حادة، ولكن قدم (غادة) استقبلته وأطاحت

بمسدسه، ثم تبعتها قبضتها التي غاصت في معدته، وبطلتنا تقول ساخرة:

- ما رأيك يا زعيم أهل السم؟ هل تؤلمك قبضتي؟

انثنى (قاسم) من قوة الضربة، وسقط أرضًا، وانزلق جسده فوق الأرض الناعمة لمترين كاملين، في حين اعتدلت (غادة)، وقالت:

- لم أسمع جوابك بعد.

ولكن (قاسم) كان قد سقط إلى جوار مسدسه، فأسرع يلتقطه هاتفًا في غضب هادر، وثورة عارمة:

- ها هو ذا أيتها المغرورة.

وانطلقت رصاصة..

• • •

كل شيء حدث في سرعة مدهشة..

التقط (قاسم) مسدسه، وصوبه إلى (غادة)..

وضغطت يده الزناد..

ولكن هناك سطر مفقود، بين السطرين السابقين..

وحدث مفقود..

فما بين تصويبه للمسدس، وضغطه للزناد، تحرك (نديم)..

كانت قفزته رشيقة، مرنة، انزلق فيها جسده بدوره على الأرض الناعمة، حتى بلغ مسدس (مجدي)، فالتقطه، وأطلق منه النار في سرعة مذهلة، نحو (قاسم)..

وأصابت الرصاصة (قاسم) في كتفه..

وانطلقت من أعماقه صرخة ألم..

ومع صرخته، انطلقت الرصاصة، ولكنها أخطأت طريقها..

ولم تصب (غادة)..

وبحركة سريعة، قفزت (غادة) نحو (قاسم)، وركلته بحذائها في وجهه، وهي تقول:

- إنك وغد بحق.

وارتطم رأس (قاسم) بالحائط خلفه، وكانت الضربة قوية، حتى إن عينيه قد دارتا في محجريهما..

ثم سقط فاقد الوعي..

ونهض (نديم)، وهو يسرع نحو (مجدي)، قائلاً:

- أأنت بخير؟

مط (مجدي) شفتيه، وقال:

- إنه لا يحسن التصويب.

ثم أضاف في حدة:

- أتعلم أنني أستطيع إلقاء القبض عليك لإطلاقك النار من مسدس وأنت لا تحمل رخصة حمل سلاح؟

أطلقت (غادة) ضحكة عالية، وقالت:

- يا إلهي!! (مجدي) هو (مجدي).. لا يتغير أبدًا.

اعتدل (مجدي) جالسًا، وهو يمسك جرحه، قائلاً:

- لست أميل إلى التغيير.

ثم تطلع إلى (نديم)، وأضاف:

- ولكن خطتك كانت عبقرية بالفعل يا (نديم).

جلس (نديم) إلى جواره، وقال في بساطة:

- إنها خطة (العقرب).. لا خطتي أنا، وإن كان قد استعان بي لتنفيذها.

عقد (مجدي) حاجبيه في ضيق، وقال:

- أمازلت تصر على مواصلة هذه اللعبة؟

قال (نديم) في هدوء:

- أية لعبة تقصد يا عزيزي؟

هتف (مجدي) في حدة:

- اللعنة!

ثم لوح بسبابته في وجه (نديم)، مستطردًا:

- اسمع يا (نديم).. صحيح أنني قد قبلت العمل مع (العقرب) هذه المرة، ولكن هذا لا يعني أنني أوافق على أسلوبه، ولتعلم أنني..

قاطعته (غادة):

- ستوقع به يومًا متلبسًا.. أليس كذلك؟ لقد سئمت سماع هذه العبارة يا عزيزي (مجدي).. ألا تميل إلى التغيير فيها أيضًا؟

عقد (مجدي) حاجبيه في غضب، وأشاح بوجهه، قائلاً في سخط:

- سيأتي ذلك اليوم حتما.. أعلم أنه سيأتي..

• • •

انصرف كل رجال الشرطة من فيلا (الهرم)، بعد أن أتموا استجواباتهم، وضمدوا جراح (مجدي)، فتنهدت (غادة)، وقالت وهي تلقي جسدها فوق مقعد وثير في شرفة الفيلا:

- يا إلهي! لقد انتهت هذه القضية بسرعة.

غمغم (نديم) في هدوء:

- هذا صحيح.

استنشقت الهواء في عمق، ثم التفتت إليه، تسأله بغتة:

- ولكن أخبرني.. كيف علمت أن (قاسم) هو من وراء كل هذا؟ وكيف أدركت أنه يحتفظ بدليل يدين (درويش)؟

أجابها في استرخاء:

- معرفتي أن (قاسم) وراء كل هذا كان مجرد رمية من غير رام، وفقني إليها المولى (عز وجل)، فلقد علمت من التحريات أنه زعيم تجار السموم، وقدرت أنه من الطبيعي أن يكون الزعيم نفسه وراء مثل هذا العمل.. أما بالنسبة لوجود الدليل، فخبرتي في التعامل مع هؤلاء المجرمين علمتني أن الكبار منهم يحبون أن يحتفظوا بالخيوط في أيديهم دائمًا، ولما كان من المحتمل أن ينقلب (درويش) على (قاسم) ويفضح سره، فمن الطبيعي أن يحتفظ بدليل يدينه، ويلزمه بالصمت.

ابتسمت وهي تقول:

- أنت داهية.

غمغم:

- شكرًا لك.

ران عليهما الصمت لحظة أخرى، ثم سألته:

- هذه الفيلا ملك لوالدك.. أليس كذلك؟

تمتم في تراخ:

- بلى.

قالت:

- هل وجودها هنا يرتبط بـ...

قاطعها في حزم:

- اصمتي يا (غادة).

هتفت في دهشة:

- أصمت؟!

لوح بكفه أمامه، وقال:

- ألا تلاحظين المشهد الرائع؟! إنه يصنع مع الجو مزيجًا مدهشًا.

هتفت في دهشة:

- أأنت الذي يلاحظ هذا بعد كل ما حدث؟ و..

قاطعها:

- هل فقدت القدرة على الاستمتاع بالجمال؟!

صاحت مستنكرة:

- أنا؟!

ثم أشاحت بوجهها، وعقدت حاجبيها وساعديها، مستطردة في حنق:

- يا للرجال!

تطلع إليها من بين جفنيه المسبلين، وارتسمت على وجهه ابتسامة ارتياح، لم تلبث أن ذابت على شفتيه، وهو يتنهد في ارتياح..

لقد نجح في تحطيم واحد من زعماء تلك المملكة، التي يحلم بالقضاء عليها تمامًا..

مملكة السموم البيضاء..

مملكة الشر..

• • •

تمت بحمد الله

الروايـة الثانية

العصابـــة

العصابـــة

1- جنــون..

رفع اللواء (حلمي) يده بالتحية العسكرية، ردًا على التحية العسكرية، التي أداها له رجال شرطة الحراسة، عند بوابة مديرية أمن (القاهرة)، ثم اتجه بخطواته السريعة المعتادة نحو السلم، الذي يقود إلى الطابق الثالث، حيث مكتبه الخاص، إلا أن خطواته لم تلبث أن أبطأت، عندما وقعت عيناه على شاب نحيل، يقف منكمشًا في ركن قريب، يتطلع إليه بنظرة عجيبة..

نظرة تجمع ما بين اللهفة، والخوف، والقلق، والتردد..

نظرة شعر معها اللواء (حلمي) بنداء استغاثة..

نداء موجه إليه بالتحديد..

وراوده شعور خفي أن هذا الشاب هنا من أجله هو ..

لم يدر لماذا راوده هذا الشعور بالذات؟

أهي خبرة عشرات السنين في العمل بالشرطة؟

أم هي حاسة تنمو مع الأيام؟

المهم أن خطواته انتقلت بغتة إلى خانة الوقوف، وهو يلتفت إلى الشاب، ويرسم على شفتيه ابتسامة أبوية حانية، وهو يقول في هدوء:

- هل كنت تنتظرني؟

-اتسعت عينا الشاب، وتراجع في حركة حادة، وكأنما بوغت بتلك المبادرة غير المتوقعة، وارتبك وهو يقول:

- نعم.. هذا صحيح في الواقع.. إنني.. إنني..

قاطعه اللواء (حلمي) في هدوء:

- أليس من الأفضل أن نتحدث في مكتبي؟

تردد الشاب لحظات أخرى، وتلفت حوله في قلق، ثم همس:

- بلى.. هذا أفضل بالتأكيد.

أشار إليه اللواء (حلمي)، وقال:

- هيا بنا إذن.

لم يتبادلا كلمة واحدة، حتى استقر بهما المقام في حجرة مكتب اللواء (حلمي)، الذي تراجع في مقعده، وسأل الشاب، الذي يجلس على المقعد المقابل للمكتب:

- والآن ماذا لديك؟

بدا التوتر الشديد على وجه الشاب، الذي ازدرد لعابه في توتر واضح، وتصبب عرق غزير على وجهه، على الرغم من مكيف الهو اء بالحجرة، في حين راح اللواء (حلمي) يراقبه في

صمت، دون أن ينبس ببنت شفة، وكأنما يمنحه الفرصة الكافية للسيطرة على أعصابه، حتى هدأ الشاب قليلاً، ومال نحو حافة المكتب، وهو يهمس:

- اسمي (فهمي)، وأنا مهندس جيولوجي، في واحدة من شركات البترول المصرية، و..

بتر عبارته بغتة، وراح يجفف عرقه في توتر، قبل أن يندفع فجأة، قائلاً:

- هناك اختلاسات رهيبة بالشركة.. اختلاسات تقدر بملايين الجنيهات.

رفع اللواء (حلمي) حاجبيه في دهشة، وقال:

- اختلاسات؟! ولكنك هنا في المباحث الجنائية، وقسم مكافحة المخدرات يا بني، والاختلاسات من اختصاص مباحث الأموال العامة و..

قاطعه (فهمي) في مرارة:

- لن يمكنهم فعل شيء.

سأله (حلمي) في حيرة:

- لماذا؟

عض (فهمي) شفته السفلى، وهو يقول في غيظ:

- لأنهم لن يجدوا دليلاً واحدًا.

رفع اللواء (حلمي) حاجبيه في دهشة مرة أخرى، ثم عاد يعقدهما، وهو يقول في حزم:

- مستحيل يا ولدي.. لا يمكن لمجرم مهما بلغت براعته، أن يختلس ملايين الجنيهات - كما تقول - دون أن يترك خلفه دليلاً واحدًا.

قال (فهمي) في توتر:

- هذا لو أنه مجرم واحد.

ثم عاد يميل نحو المكتب، مستطردًا في قلق عجيب:

- إنهم عصابة.. الجميع يكونون عصابة واحدة.. كل الشركة عصابة واحدة.

تراجع اللواء (حلمي) بمقعده، وعاد يتطلع إلى الشاب بنظرة جديدة..

إنه إذن من ذلك النوع، المصاب بجنون الاضطهاد النفسي، بحيث يتصور أن جميع من حوله قتلة ولصوص، وأنهم جميعًا يتربصون به..

كل شيء في هذا الشاب يثبت هذا..

نظراته الزائغة..

خوفه الشديد..

توتره الزائد..

إنه مصاب بعقدة الاضطهاد حتمًا..

ارتاح عقل اللواء (حلمي) لهذا التفسير، فشبك أصابع كفيه أمام وجهه، وقال في هدوء:

- إذن فالشركة كلها لصوص.

أومأ الشاب برأسه إيجابًا، ثم استدرك بسرعة:

- ليس الجميع بالطبع، بل المديرون.. فقط مديرو الأقسام.. كلهم حتى رئيس مجلس الإدارة..

غمغم اللواء (حلمي) مشفقًا:

- حقًا؟!

اندفع (فهمي) يقول في حماس، وكأنما تحرر أخيرًا من خوفه:

- نعم يا سيدي.. إنهم يبيعون البترول لحسابهم الخاص.. الجميع يشتركون في هذا العمل القذر.. لقد كشفت أمرهم بمحض الصدفة، و..

عاوده خوفه، على هيئة رعب مباغت، وهو يستطرد بصوت مرتجف:

- ويسعون للتخلص مني حتمًا.

غمغم اللواء (حلمي):

- ليس بهذه البساطة.

هتف (فهمي)، وهو يتشبث بحافة المكتب:

- إنهم يستطيعون قتلي بالتأكيد.. ألم أقل لك إنهم عصابة رهيبة؟

مال اللواء (حلمي) نحوه، وقال في حنان مشفق:

- أفضل وسيلة إذن هي أن تهرب منهم.

هز (فهمي) رأسه في أسى، وقال:

- سيعثرون عليّ بالتأكيد.

ابتسم اللواء (حلمي) متعاطفًا، وقال:

- لا تسبح في هذه الفكرة طويلاً، وإلا غرقت في أعماقها للأبد.

بدا (فهمي)، وكأنه سينفجر باكيًا، وهو يقول:

- لا يمكنني السباحة في أي شيء، فأنا أجهل السباحة تمامًا.

ثم رفع عينيه إلى اللواء (حلمي)، واستطرد مستنجدًا:

- ولكنني أحتاج إلى حماية.. حماية خاصة من رجال الشرطة.

كان مطلبًا مباغتًا، جعل اللواء (حلمي) يرتبك لحظة، وهو يردد:

- حماية؟!

ثم لم يلبث أن تمالك نفسه، فاستطرد في سرعة:

- بالتأكيد.. ستحصل على حماية الشرطة.

وغمز بعينه، مردفًا:

- وبشكل سري تمامًا.

تهللت أسارير الشاب، وهو يقول:

- حقًا؟!

تراجع اللواء (حلمي) في مقعده، هاتفًا في حماس مفتعل:

- بالتأكيد.

تنهد الشاب في ارتياح، ونهض يصافح اللواء (حلمي)، قائلاً:

- أشكرك كثيرًا يا سيدي.. كنت أعلم أنك ستقف إلى جانبي.. لقد قرأت عنك الكثير.. ثم عاد يسأله في اهتمام:

- ومتى ستبدأ هذه الحراسة؟

بدأ الضجر يتسلل إلى نفس (حلمي)، وهو يقول:

- الآن.. سأصدر أوامري ببدء حراستك، فور انصرافك من مكتبي.

تهللت اسارير (فهمي) مرة أخرى، وشد على يد اللواء (حلمي) في حرارة، قائلاً:

- أشكرك يا سيدي.. أشكرك على كل شيء، وأعدك بأن أبذل أقصى جهدي؛ لجمع أدلة إدانة، توقع بالجميع في أيدي العدالة.

صافحه اللواء (حلمي)، وهو يقول:

- بالتأكيد.. سأنتظر ما تأتي به.

ولم يكد الشاب يغادر حجرة المكتب، حتى تنفس اللواء (حلمي) الصعداء، وهو يتصور أن مشكلته قد انتهت..

ولكنه كان مخطئًا..

لقد بدأت..

• • •

العصابـــة

2- الجريمــة..

عبرت (غادة) باب مكتب (نديم فوزي) للمحاماة، في خطوات سريعة مندفعة كعادتها، وهتفت بعامل المكتب في مرح:

- صباح الخير يا عم (أحمد).. هل وصل (نديم)؟

ابتسم العامل الكهل ابتسامة حانية، تفيض بالأبوة، وهو يقول:

- في تمام الثامنة كالمعتاد يا بنيتي.

هتفت ضاحكة، وهي تدفع باب مكتب (نديم) الخاص:

- كان ينبغي أن أتوقع هذا، فعزيزنا (نديم) ينافس الساعات السويسرية في الدقة والانـ..

بترت عبارتها بغتة، عندما وقع بصرها على اللواء (حلمي)، الذي يجلس على المقعد المقابل لمكتب (نديم)، وهتفت:

- صباح الخير يا سيادة اللواء.. كم يسعدني أن أراك هنا.

بدا لها شديد الحزن، وهو يغمغم:

أشكرك يا بنيتي.. أشكرك.

اقتربت منه في دهشة، ثم رفعت عينيها إلى (نديم)، الذي بدا هادئًا رصينًا كعادته، وسألته:

- ماذا هناك؟

أشار إليها (نديم) بالجلوس، وهو يقول:

- لقد وصلت، وأنا ألقي السؤال نفسه على سيادة اللواء (حلمي)، فلقد وصل قبل وصولك بلحظات.

جلست وهي تسأل اللواء (حلمي) في قلق:

- حسنًا يا سيدي.. ماذا هناك؟

وضع اللواء (حلمي) صحيفة مطوية أمام (نديم)، وأشار إلى جزء منها، قائلاً في لهجة تحمل كل مرارة الدنيا:

- اقرأ هذا الخبر.

بدا الفضول الشديد على وجه (غادة)، فقرأ (نديم) بصوت مسموع:

- غرق جيولوجي شاب في البحر الأحمر.. تفاصيل الخبر تقول: أغرت حرارة الطقس جيولوجيًا شابًا، وهو المهندس (فهمي صابر)، على السباحة بعض الوقت، في مياه البحر الأحمر، بعد غروب الشمس، ولكن التيارات البحرية جذبته إلى الأعماق، فلقي مصرعه غرقًا.

صمت (نديم) لحظة، بعد انتهائه من قراءة الخبر، وكأنما يحاول ربط الحادث باللواء (حلمي)، وبالحزن الذي يملأ ملامحه، ثم لم يلبث أن قال:

- حادث مؤسف.

رفع اللواء (حلمي) رأسه في حركة حادة، وقال:

- بل جريمة قتل بشعة.

شحذ القول حواس (نديم) و(غادة) في شدة، وهتفت (غادة):

- جريمة قتل؟ ما الذي يدعوك إلى مثل هذا القول يا سيادة اللواء؟

أجابها اللواء (حلمي) في مرارة:

- الجريمة نفسها يا (غادة).. لقد خطط هؤلاء القتلة لارتكاب جريمتهم، ولكنهم لم ينتبهوا إلى نقطة بالغة الأهمية.

وأشار إلى الخبر بسبابته، مستطردًا في حدة:

- فهذا المهندس الشاب لا يعرف السباحة.

عقد (نديم) حاجبيه، على نحو يوحي باهتمامه الشديد بالأمر، في حين تابع اللواء (حلمي):

- هل رأيتما رجلاً يجهل السباحة، وتغريه حرارة الطقس بالنزول إلى البحر، بعد غروب الشمس؟

تمتمت (غادة) في اهتمام:

- ولا حتى بعد شروقها.

أما (نديم)، فقد انحنى نحو اللواء (حلمي)، وسأله:

- ولكن كيف عرفت هذا يا سيدي؟

أومأ اللواء (حلمي) برأسه، وهو يقول في أسى:

- سأخبرك يا ولدي.. سأخبرك بكل شيء.

انطلق يروي لهما كل ما حدث منذ ثلاثة أيام، ومنذ أن رأى (فهمي) في بهو مديرية الأمن، حتى انصرف هذا الأخير من مكتبه، ثم أضاف في حزن:

- لم أصدقه في البداية، تصورت أنه مصاب بعقدة اضطهاد نفسية، والآن أعتبر نفسي مسئولاً عن مقتله، فلو كنت قد وفرت له الحماية اللازمة، لما..

قاطعه (نديم):

- لا تقل (لو) هذه يا سيدي، فهي تعمل عمل الشيطان، وحتى لو كنت قد أحطت (فهمي) هذا بسياج من الحراسة، للقي مصرعه بنفس الوسيلة، وفي نفس الموعد؛ لأن هذا قدره.

ثم نهض من خلف مكتبه، وبدا كما لو أنه يتحدث إلى نفسه، وهو يستطرد:

- ولكن مصرعه هذا قد يشير إلى صحة أقواله، أو إلى..

قاطعته (غادة) في سرعة:

- أو إلى أنه قد انتحر.

التفت إليها (نديم) واللواء (حلمي)، وهتف هذا الأخير في دهشة:

- انتحر؟!

قالت في هدوء:

- هذا احتمال وارد بالطبع، فالشخص المصاب بعقدة الاضطهاد قد تتضاعف مخاوفه، حتى يخيل إليه أن الأعداء يتربصون به من كلّ جانب؛ مما يحطم أعصابه تدريجيًا، إلى الحد الذي يدفعه إلى الانتحار، كمحاولة للفرار من هذا العذاب، الذي صنعه لنفسه.

صمتت لحظة، ورأت (نديم) واللواء (حلمي) يتطلعان إليها في شك فأضافت في غضب:

- لقد قرأت هذا في مقال عن الطب النفسي.

ران الصمت على المكان لحظة أخرى، ثم قال (نديم) في هدوء:

- هذا احتمال وارد بالطبع.

ولكن اللواء (حلمي) قال في صرامة:

- بل لقد قتل الشاب.

ثم استطرد بكلمات سريعة:

- هذه الصحيفة، التي قرأتما فيها الخبر، هي صحيفة أمس الأول، ولقد قرأت أنا الخبر في حينه، فاسرعت أجمع بعض التحريات عن مديري هذه الشركة.

سأله (نديم) في اهتمام بالغ:

- وما الذي أسفرت عنه هذه التحريات؟

لوح اللواء (حلمي) بكفه، قائلاً:

- أسفرت عن أطنان من الشك، دون دليل مادي واحد، فلهذه الشركة أربعة مديرين (عماد)، مدير الإنتاج والمتابعة، و(رضوان)، مدير المخازن، والدكتور (جمال)، المدير العلمي والفني، ورئيس المعامل، والمهندس (أشرف)، المدير التنفيذي، وعلى رأس هؤلاء الأربعة

رئيس مجلس الإدارة (كامل شكري).. ورواتب هؤلاء الخمسة تعد من الرواتب الضخمة، بالنسبة لمتوسط راتب أي مدير شركة عادية، وعلى الرغم من هذا؛ فالخمسة يعيشون في رغد زائد، بل ويحيون حياة المليونيرات؛ مما يثير أكثر من علامة شك حولهم.

قال (نديم):

- من الممكن استجوابهم عن هذا، فمازال قانون (من أين لك هذا؟) ساريًا، والجهاز المركزي للمحاسبات يمكنه مراجعة حسابات الشركة و...

قاطعه اللواء (حلمي) في مرارة:

- لقد استجوبتهم الرقابة الإدارية بالفعل، وكان لدى كل منهم تفسير قانوني لثرائه، فمنهم من تزوج من سيدة ثرية، ومن يعمل مستشارًا لدى شركات خاصة، والثالث له مكتب هندسي ضخم، والرابع يمتلك مستشفى خاصًا، في قلب (القاهرة)، على الرغم من أنه ليس طبيبًا بشريًا، والخامس ورث عن ابن عمه ثروة طائلة، تركها ابن العم الراحل في بنك أمريكي.

عقد (نديم) حاجبيه، وقال:

- وهل يعقل أن تجتمع كل هذه المصادفات في شركة واحدة؟

قلب اللواء (حلمي) كفيه، وقال:

- المهم هو الدليل يا ولدي، وبدونه لا يملك رجال الرقابة الإدارية سوى إغلاق ملف الاتهام، وتبرئة المتهمين، خاصة وأن الجهاز المركزي للمحاسبات لم يجد أدنى خطأ، عند مراجعته حسابات وملفات الشركة، بكل دقة.

لم يحر (نديم) جوابًا، وإنما اكتسى وجهه بعلامات التفكير العميق، في حين تطلعت إليه (غادة) في تساؤل صامت، قبل أن تلتفت إلى اللواء (حلمي)، قائلة:

- ما الذي يمكن فعله إذن يا سيدي؟

تنهد اللواء (حلمي)، وقال:

- لا شيء يا بنيتي.. لا شيء.

ثم استدرك بسرعة:

- من الناحية القانونية.

ظل وجه (نديم) جامدًا هادئًا، لا يشف عما يعتمل في أعماقه، في حين نقلت (غادة) بصرها، من وجهه إلى وجه اللواء (حلمي)، قبل أن تسأل هذا الأخير في حذر:

- وهل هناك وسائل أخرى؟

أجابها اللواء (حلمي) دون تردد:

- حتمًا.

ثم تراجع في مقعده، وتحاشى النظر إلى وجه (نديم)، وهو يقول:

- أتعلمين أي اسم يقفز إلى ذهني في مثل هذه الظروف؟

سألته وهي تعرف الجواب تقريبا:

- أي اسم؟

صمت لحظة، اختلس خلالها نظرة، إلى وجه (نديم) الجامد، ثم أجاب:

- (العقرب).

ابتسمت (غادة)، وهي ترمق (نديم) بنظرة جانبية، قائلة:

- حقًا؟!

اندفع اللواء (حلمي) يقول:

- ومن غيره؟ إنه الشخص المناسب تمامًا، في مثل هذا الموقف، فهو — كرجال الشرطة — يسعى لتحقيق العدالة، ولكنه — على عكسهم — غير مقيد باللوائح والقوانين، وضرورة اتباع وسائل أمنية خاصة.

قال (نديم) في هدوء:

- ولكن حتى (العقرب) على ما أعتقد، يحتاج إلى دليل إدانة، ولو لم يكن دليلاً ماديًا، فهو يكره مهاجمة الأبرياء لمجرد الشك.

هز اللواء (حلمي) كتفيه، وقال:

- لو أنه يسعى لتحقيق العدالة فمن واجبه أن يسعى للحصول على الدليل.

ثم نهض، مستطردًا:

- والواقع أنني لم أتمنَ رؤيته، في حياتي كلها، مثلما أتمنى الآن.

سألته (غادة):

- لماذا يا سيدي؟

أجابها في صوت يحمل نبرة خاصة:

- لأطلب منه أن يفعل هذا.

ثم اختلج صوته، وهو يضيف:

- من أجلي.

أجابه (نديم) في حزم:

- وهو لن يتردد يا سيدي.

ثم أضاف في صوت قوي حاسم:

- من أجلك.

لحظتها أدرك اللواء (حلمي) أن (العقرب) قد قبل المهمة..

من أجله..

ومن أجل العدالة..

• • •

العصابـــة

3- الدليـــل..

تطلع (كامل شكري)، رئيس مجلس إدارة شركة البترول، إلى البطاقة، التي حملها إليه مدير مكتبه، وردد في حيرة:

- (أحمد عبد الغفار)، صحفي بجريدة (أخبار اليوم)؟! وماذا يريد مني هذا الصحفي؟

أجابه مدير مكتبه في بساطة:

- ربما يرغب في إجراء تحقيق صحفي، حول نشاطات الشركة، ومنجزاتها في التنقيب عن البترول، وزيادة الثروة القومية و...

قاطعه (كامل) في ضجر:

- حسنًا.. حسنًا.. دعه يدخل.

ابتسم مدير المكتب، وهو يقول:

- بالتأكيد يا سيدي، فنحن نرحب دائمًا برجال الصحافة والإعلام.

أسرع يغادر المكتب، في حين عدل (كامل) رباط عنقه، وابتسم قائلاً:

- لا بأس من بعض الدعاية.

رأى شابًا وسيمًا يدلف إلى مكتبه، وهو يعدل من وضع منظاره الطبي فوق عينيه، فنهض يستقبله بابتسامة دبلوماسية، وهو يقول:

- أهلاً بك في شركتنا يا أستاذ (أحمد)..

صافحه (نديم)، الذي ينتحل شخصية الصحفي، وهو يقول في هدوء:

- شكرًا يا سيد (كامل).

أشار إليه (كامل) بالجلوس، وهو يقول:

- إنني أرحب دائمًا برجال الصحافة، فشركتنا صاحبة إنجازات عظيمة، وواحدة من الـ...

قاطعه (نديم) في هدوء:

- معذرة يا سيدي، ولكنني لست هنا لغرض صحفي.. هذه المرة على الأقل.

قفز الشك إلى نفس (كامل)، فجلس على مقعده في بطء، وسأل (نديم) في حذر:

- لست هنا لغرض صحفي؟! لماذا أنت هنا إذن؟

عدل (نديم) من وضع المنظار الزائف فوق أنفه مرة أخرى، وقال:

- الواقع أنه هناك صديق لي..

قاطعه (كامل):

- وتريد تعيينه هنا؟

هز (نديم) رأسه نفيًا، وقال:

- لا.. لا يمكنني طلب هذا.. ولا يمكنكم في الوقت نفسه تعيينه في أي مكان؛ لأنه بكل بساطة..

حمل صوته صرامة مباغتة، وهو يستطرد:

- مات.

عقد (كامل) حاجبيه، وتراجع في دهشة، مغمغمًا:

- مات؟!

قال (نديم) في حزم:

- لو أردنا استخدام التعبير، المناسب تمامًا لما حدث، فهو لم يمت، وإنما قتل.

ارتفع حاجبا (كامل)، وهو يهتف:

- قتل.

ثم سأل (كامل) في حدة:

- ما الذي تريده بالضبط أيها الصحفي؟

مال (نديم) نحوه، وقال:

- أظنك تعرف صديقي هذا جيدًا يا سيدي، فلقد كان يعمل هنا، في شركتك.. واسمه هو (فهمي).. المهندس (فهمي صابر).

سرت ارتجافة واضحة في جسد (كامل)، وهو يقول:

- (فهمي صابر)؟!

ثم اندفع يستطرد:

- ولكن المهندس (فهمي) لم يقتل - كما تدعي - لقد مات غرقا و..

قاطعه (نديم):

- الواقع أن (فهمي) قد أخبرني عن أشياء عجيبة، قبل مصرعه.

اتسعت عينا (كامل) في ذعر، لم يستغرق أكثر من ثوان معدودة، عادت بعدها ملامحه تكتسي بالصرامة، وهو يقول:

- ما الذي أخبرك به؟

هز (نديم) كتفيه وقال:

- أخبرني عن أسلوب جهنمي، لسرقة البترول، وعن تورط عدد من كبار قيادات الشركة في هذا و...

قاطعته صيحة هادرة من (كامل):

- كاذب.

ثم هب رئيس مجلس الإدارة من مقعده، مستطردًا في ثورة:

لست أسمح لك بترديد مثل هذه الأكاذيب هنا.

نهض (نديم) في هدوء، وقال:

- لا بأس.. فلتقرأها على صفحات الجرائد إذن.

وغادر المكتب في سرعة، تاركًا (كامل) خلفه، وقد احتقن وجهه في شدة، قبل أن يلقي جسده على مقعده، مغمغمًا:

- اللعنة!

ثم اختطف سماعة هاتفه، وأدار رقمًا داخليًا في توتر، ولم يكد يسمع صوت محدثه، حتى قال في عصبية:

- احضر إلى مكتبي على الفور يا (عماد)، واصطحب معك (رضوان)، والدكتور (جمال)، و(أشرف).. هناك أمر بالغ الخطورة، لابد أن نناقشه معًا.

ثم أنهى الاتصال، وحل رباط عنقه قليلاً، وهو يقول:

- كنت أعلم أن الأمر لن ينتهي بهذه البساطة.. كنت أعلم هذا.

غادر (نديم) مبنى الشركة في هدوء، وفتح باب سيارة (غادة) الأيمن، وجلس في المقعد المجاور لمقعد القيادة، الذي تحتله (غادة)، التي أدارت محرك السيارة فور دخوله، وسألته:

- ماذا فعل رئيس مجلس الإدارة عندما واجهته بالأمر؟

أجابها في هدوء، وهي تنطلق بالسيارة:

- ثار وهاج وماج، وكاد يطردني من مكتبه.

ثم أضاف، وهو يسترخي في مقعده:

- ولكن ملامحه شفت عن الكثير مما يدينه.

مطت شفتيها، وقالت:

- وهل تعتبر هذا دليلاً؟

هز رأسه نفيًا، وقال:

- كلا بالطبع، ولكن لا تنسى أن بطاقة الصحفي مازالت هناك، على مكتب (كامل)، وعليها عنوان تلك الشقة، التي استأجرتها باسم (أحمد عبد الغفار).

سألته في اهتمام:

- وهل سيمنحك هذا الدليل الكافي؟

أجابها في بساطة:

- بالتأكيد سيمنحني الدليل على هيئة محاولة.

وارتسمت في عينيه ابتسامة كبيرة، وهو يستطرد:

- محاولة قتل.

• • •

" يعرف كل شيء؟! ".

نطق المهندس (أشرف) هذه العبارة في هلع، قبل أن يعجز عن الوقوف، ويسقط فوق أقرب مقعد إليه، واتسعت عينا الدكتور (جمال) في ذهول، وهو يحدق في وجه (كامل)، وكأنما لا يصدق ما قاله هذا الأخير، وعقد (عماد) حاجبيه في شدة، في حين قال (رضوان) في عصبية:

- ماذا تعني بأنه يعرف كل شيء؟

أجابه (كامل) في توتر:

- لقد أخبرني أنه صديق لذلك المهندس الغبي، الذي كشف الأمر كله، واضطررنا للتخلص منه، وقال: إن المهندس قد أخبره بكل شيء قبل أن يلقى مصرعه.

شحب وجه الدكتور (جمال)، وهو يقول في رعب:

- مستحيل!!

أما (رضوان)، فقال في حدة:

- مهلاً.. لا تجعلوا هذا يحطم أعصابكم.. لا أحد يمكنه كشف ما نفعله، فأنتم تعلمون جميعًا كم يسير كل شيء بمنتهى الدقة، حتى إن الرقابة الإدارية، والجهاز المركزي للمحاسبات قد عجزا عن كشف الأمر.

ثم التفت إلى (كامل)، يسأله:

- هل تعرف عنوان ذلك الصحفي؟

ناوله (كامل) البطاقة، التي حملها إليه مدير مكتبه، وهو يقول:

- لقد ترك بطاقته هنا.

التقطها (رضوان)، وهو يقول في اهتمام:

- عظيم.

سأله الدكتور (جمال) في عصبية:

- ماذا تنوي أن تفعل؟

أجابه رضوان في صرامة:

- ماذا تقترح؟ إننا لا نملك الاختيار يا رجل، فمادام هذا الصحفي صديقًا للمهندس (فهمي)، فليلحق به في العالم الآخر.

هتف (أشرف):

- كنت أعلم هذا.. كنت أعلم أن الأمر لن ينتهي بالتخلص من هذا المهندس، وأننا سنتحول إلى قتلة و...

قاطعه (كامل) في صرامة:

- اصمت.

ابتلع (أشرف) كلماته في خوف، في حين التفت (كامل) إلى (رضوان)، وقال في حزم:

- أريد منك أن تنهي هذه العملية في سرعة، كما فعلت في العملية السابقة.

ارتسمت ابتسامة عجيبة على شفتي (رضوان)، وهو يلتقط سماعة الهاتف قائلاً:

- اطمئن يا سيدي.. ستكون عملية نظيفة.. وسريعة.

وعندما أدار قرص الهاتف، كان هذا يعني أن المقصلة قد أفلتت من عقالها، وستهوي على عنق ضحيتها..

على عنق (نديم)..

• • •

العصابــــة

4- الشبـــح..

كانت عقارب الساعة قد تجاوزت الواحدة والنصف صباحًا ببضع ثوان، عندما توقفت سيارة صغيرة أمام منزل من أربعة طوابق، واعتدل قائدها أمام عجلة القيادة، والتفت إلى جاره، الذي بدا ضخمًا أكثر مما ينبغي، حتى ليدهشك كيف حشر جسده، في عربة لها مثل هذا الحجم، وقال في لهجة آمرة:

- ها هو ذا المنزل.. هيا.. أنهِ مهمتك بسرعة، وسأنتظرك.

بدا صوت الضخم أشبه بزمجرة ذئب شرس، وهو يقول:

- اطمئن، سأعود في لحظات.. أبقِ المحرك دائرًا؛ حتى لا نضيع وقتًا في الانصراف.

ثم دفع باب السيارة، وأمسك قائمها في قوة، وهو يدفع جسده خارجها، واعتدل إلى جوارها يربت على موضع جيب سترته، وكأنما يطمئن على وجود مسدسه، فقال قائد السيارة في حزم:

- لا تستخدم المسدس.. نريدها أشبه بحادث عرضي، كما فعلنا في المرة السابقة.

زمجر الضخم، قائلاً:

- اطمئن.

واتجه في خطوات واسعة نحو المنزل، وصعد درجات سلمه في خفة، تتناقض وحجمه الضخم، حتى بلغ الطابق الرابع، فأخرج من جيبه بطاقة (نديم) الزائفة، وقرأ رقم الشقة المدون بها، ثم راجعه مع الرقم المعدني، المثبت أعلى باب الشقة، وغمغم:

- إنها هي.

وبسرعة، أخرج من جيبه أداة رفيعة، دسها في ثقب المفتاح، وأدارها في مهارة، حتى سمع صوت لسان الباب ينزلق إلى الداخل، فابتسم في زهو، مغمغمًا:

- كالمعتاد.

ودفع باب الشقة في هدوء، ثم دلف إليها، وأغلق الباب خلفه، دون أن يصدر عنه إلا صوت ضعيف، يصعب أن يسمعه سواه، ثم اتجه على أطراف أصابعه إلى حجرة النوم، وفتح بابها في خفوت، وألقى نظرة على الجسد، الذي يخفيه غطاء الفراش، وأخرج من جيبه بخاخة تحوي مادة مخدرة، وهو يهمس لنفسه:

- عبقرى أنت يا (بكري).. دفعة واحدة من هذا السائل العجيب، ويذهب الصحفي في غيبوبة عميقة، أفتح بعدها صمام الغاز، وأترك له مهمة إكمال الباقي، بحيث لا يدرك الصحفي أنه قد لقي مصرعه، إلا وهم يوقظونه في الجحيم.

كاد يطلق ضحكة مجلجلة، إعجابًا بدعابته، ولكنه حبس هذه الضحكة في أعماقه،

وتحرك على أطراف أصابعه نحو الفراش، وأزاح الغطاء عن الجسد النائم في حركة حادة، وهو يقول:

- نم أيها الصحفي.

ولكنه تراجع في دهشة، عندما فوجئ بأن ذلك الراقد أسفل الغطاء، ليس سوى وسادة كبيرة، في نفس اللحظة التي ارتفع فيها صوت عميق، من ركن الحجرة المظلم، يقول:

- مفاجأة.. أليس كذلك؟

تحولت دهشته إلى انتفاضة عنيفة، شملته من قمة رأسه، وحتى أخمص قدميه، وهو يلتفت في حركة حادة إلى مصدر الصوت..

ولوهلة، خيل إليه أن الركن خال، ليس به مخلوق واحد، وقفز عقله في فزع إلى حكايات الجن والعفاريت، ثم ارتعد جسده كله، وبدا له أن مخاوفه ستتحول إلى حقيقة، عندما انفصل ظل أسود عن الركن المظلم، وخطا خطوتين إلى الأمام وهو يقول:

- ماذا أصابك؟ هل ابتلع القط لسانك؟

عندئذ فقط، بينت عينا (بكري) الضخم ما أمامه..

كان ذلك الماثل أمامه عبارة عن شبح مخيف..

شبح يتشح بالسواد، ويخفي نصف وجهه بقناع أسود.. وفجأة نفض عقل (بكري) كل ما ملأه من مخاوف وخيالات، واستعادت غريزته القتالية سيطرتها على تفكيره، فزمجر هاتفًا:

- إنها خدعة إذن.

وانقض في وحشية على ذلك الشبح الأسود..

وبخفة تثير الإعجاب، تفادى (العقرب) انقضاضة (بكري)، وهو يقول:

- مهلاً أيها الخرتيت.

وبسرعة، دار (العقرب) حول الضخم، ورفع قدمه يضربه في عموده الفقري، مستطردًا:

- ليس بالقوة يتحقق النصر.

ارتطم (بكري) بالحائط في عنف، وارتد عنه ككرة من المطاط، و(العقرب) يتابع:

- بل بالعقل.

تفجرت الدماء من أنف (بكري)، الذي تحطم عند ارتطامه بالحائط، فهتف في سخط:

- فليكن، ولكنني سأستخدم عضلاتي.

قالها وانقض مرة أخرى على (العقرب)، وكال له لكمة كالقنبلة، تكفي لهدم جدار كامل،

ولكن هذا الأخير تراجع برأسه ونصفه العلوي إلى الخلف في مرونة، وهو يقول:

- ليس المهم أن تمتلك العضلات أيها الخرتيت.

ثم اعتدل، ومال جانبًا، وهوى بقبضته على فك (بكري)، مستطردًا:

- المهم أن تحسن استخدامها.

ترنح (بكري)، وهو يطلق صرخة ألم، ولكن (العقرب)هوى على معدته بلكمة أخرى، أعقبها بثالثة في أنفه، حتى سقط الضخم على ركبتيه، وهو يهتف في ألم ممتزج بالسخط:

- اللعنة!

أمسكه (العقرب) من شعره، ودفعه إلى النهوض، وهو يقول بلهجة آمرة قوية:

- من أرسلك أيها الفيل الغبي؟

أمسك به (بكري) فجأة، وحمله فوق ظهره، وألقاه أرضًا في عنف، وهو يقول في حدة:

- لا تنتظر مني جوابًا أيها المقنع.

ثم انتزع مسدسه، وصوبه إليه، مستطردًا:

- فيما عدا هذا.

تحركت قدم (العقرب) في سرعة، وركلت المسدس من يد (بكري)، ثم قفز هو واقفًا على قدميه، وقال في صرامة:

- فيما عدا ماذا؟

لم يكد ينتهي قوله، حتى تحركت قبضته كقنبلة، وهوت على فك (بكري)، ثم وثبت الأخرى، تحطم ما بقي من أنف هذا الأخير، واندفعت قدمه تركل ركبة الضخم، ثم انثنت ركبة (العقرب) وغاصت في معدته، وعندما انثنى (بكري)، وهو يمسك معدته المصابة، ويطلق شهقة ألم، ضم (العقرب) قبضتيه، وهوى بهما على مؤخرة عنقه، فأطلق خوار ألم، وسقط على وجهه عند قدمي بطلنا..

وبسرعة، أحاط (العقرب) عنق (بكري) بذراعه، وشدد الضغط عليه، وهو يكرر سؤاله في صرامة:

- من أرسلك؟

اختنق (بكري)، وهو يقول في ألم:

- لا يمكنني القول.. سيقتلونني لو فعلت.

تجاهل (العقرب) هذا الاعتراض، وقال:

- أهو (كامل)، أم (رضوان)،أم (عماد)، أم (جمال)، أم (أشرف)؟

بدأ (بكري) يجاهد؛ لالتقاط أنفاسه، وهو يقول في ضراعة:

- إنه (رضوان).. اتركني أرجوك.. لقد أخبرتك الحقيقة.. أقسم لك أنها كذلك.

ترك (العقرب) عنقه، وهو يقول:

- وأنا أصدقك.

راح (بكري) يسعل في ألم، في حين ألقى (العقرب) بطاقته إلى جواره، وهو يستطرد:

- أخبر من أرسلوك أنني قد حصلت على ما كنت أنشده منهم، وأنني خلفهم حتى النهاية.

أمسك (بكري) عنقه، وهو يقول في توتر:

- لا تخبرهم أنني قد كشفت لك عن..

اتسعت عيناه في ذهول، عندما التفت إلى حيث كان (العقرب)، فوجد الحجرة خالية، إلا منه، وشباكها الوحيد مفتوح على مصراعيه؛ مما جعله يغمغم في خوف:

- أين ذهب؟

مضت لحظة، شمله خلالها الصمت والذهول، ثم أدار عينيه في حيرة إلى البطاقة البيضاء، التي تحمل رسمًا لعقرب ذهبي، وهو يغمغم مستطردًا:

- ومن هو؟

دلف رفيقه إلى الحجرة بغتة، وهو يقول:

- لماذا تأخرت؟ إنني أنتظرك منذ فترة طويلة.

انتفض جسده في ذعر، وهتف:

- لقد أخفتني.

عقد رفيقه حاجبيه ، وقال:

- أخفتك؟! ماذا أصابك يا رجل؟ وأين هذا الصحفي؟

قال (بكري) في توتر:

- لا يوجد أي صحفي هنا.. إنها خدعة.

رفع رفيقه حاجبيه. هاتفًا في دهشة:

- خدعة؟!

أجابه (بكري) وهو يناوله بطاقة (العقرب):

- كان هنا شبح مقنع ينتظرني هنا، ولقد هاجمني، وأجبرني على...

بتر عبارته بغتة، عندما انتبه إلى ما سيوقع نفسه فيه، ولكن رفيقه سأله في صرامة:

- أجبرك على ماذا؟

شحب وجه الضخم، ولوح بذراعيه في رعب، وهو يقول:

- لا.. لا شيء.. لم أقل كلمة واحدة.

ملأ الغضب ملامح رفيقه، وهو يخرج مسدسه، هاتفًا:

- هل بحت له باسم السيد؟

كان من الممكن أن ينكر (بكري)، إلا أن أعصابه التي عانت الكثير، لم تكن قادرة على الاحتمال، فانهار قائلاً:

- كنت مضطرًا.. لقد أجبرني.

هتف رفيقه في غضب هائل:

- أيها الجبان.

وقبل أن يدرك (بكري) ما ينوي رفيقه عمله، كان هذا الأخير قد ألصق فوهة مسدسه بجبهته.. وأطلق النار.

• • •

العصابـــة

5- جريمــة..

- " قتلته؟! ".

هتف (رضوان) بهذه العبارة في هلع، قبل أن يمسك الرجل من ياقته في عنف، مستطردًا:

- لماذا؟ لماذا قتلته؟

أجابه الرجل في صرامة:

- لأنني أبغض الجبناء، الذين يدلون بكل ما لديهم، بعد لكمة أو لكمتين.

وابتسم في خبث، واستطرد:

- ثم إن قتله يحقق الغرض المنشود.

سأله (رضوان) في توتر:

- أي غرض؟

أجابه في حزم:

- إرباك رجال الشرطة، لو أن الأمر كله مجرد خدعة، أو توريط الصحفي في جريمة قتل، لو أن الأمر ليس كذلك.. اسمعني جيدًا يا سيدي.. لقد تركت المسدس بجوار الجثة، ومعه تلك البطاقة العجيبة، التي تحمل رسم العقرب الذهبي، ولما كان رجال الشرطة يجهلون علاقتي بـ (بكري)، فسيحيرهم وجوده قتيلاً، أما لو كان الصحفي هو صاحب الخدعة كلها، فسيصبح المتهم الأول، بارتكاب الجريمة.. أليس كذلك؟

عقد (رضوان) حاجبيه، وهو يفكر في الأمر، قبل أن يقول معترضًا:

- ولكنه أخبر مهاجمه أنني وراء كل هذا.

ابتسم الرجل في سخرية، وهو يقول:

- المهم هو الدليل.

ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد في ثقة:

- لا أحد يمكنه أن يمس شعرة واحدة من رأسك، دون دليل مادي قوي.

ولكن الرجل كان مخطئًا..

لقد نسي أنه لا يواجه القانون المكتوب، وإنما يواجه سيف العدالة البتار..

يواجه (العقرب)..

• • •

التقى حاجبا العقيد (مجدي) في تفكير عميق، وهو يتطلع إلى جثة (بكري)، التي التف

حولها رجال المعمل الجنائي، يلتقطون لها بعض الصور الضوئية، ويجمعون من حولها الأدلة، ويرفعون البصمات، في حين راح بواب البناية يقول في انفعال زائد:

- كان باب الشقة مفتوحًا؛ مما أثار شكي وقلقي، وعندما قرعت الجرس، لم يستجب لي أحد، فدخلت إلى الشقة، ووجدت هذا الرجل صريعًا، في حجرة النوم.

التفت إليه (مجدي)، وسأله:

- من يستأجر هذه الشقة؟

أجابه البواب:

- إنها شقة مؤثثة، استأجرها أمس صحفي، يدعى (أحمد عبد الغفار)، ولكنه لم يدخلها حتى الآن.. لقد دفع إيجار شهر كامل، ووقع العقد، وحصل على المفتاح، ثم انصرف، ولم أرَه بعدها.

سأله (مجدي):

- وكيف يبدو (أحمد عبد الغفار) هذا؟

هز البواب كتفيه، وقال:

- شاب عادي، نحيل بعض الشيء، ويرتدي منظارًا طبيًّا، و..

بدا الوصف أكثر من عادي؛ مما جعل (مجدي) يقاطعه، قائلاً:

هل يمكنك أن تعرفه إذا رأيته مرة أخرى؟

هتف البواب:

- بالتأكيد.

قال (مجدي):

- حسنًا.. اذهب الآن، وسأستدعيك إذا ما احتجت إليك.

أسرع البواب ينصرف، وهو يحمد الله (سبحانه وتعالى)، على ابتعاده عن جثة القتيل، في حين التفت (مجدي) إلى رجال المعمل الجنائي، وسألهم:

- هل عثرتم على شيء؟

نهض أحدهم، وقدم له بطاقة أنيقة، وهو يقول:

- هذه فقط.. وأظنني رأيت مثلها قبل..

لم يكد (مجدي) يلتقط البطاقة، حتى اتسعت عيناه في شدة، ووجد نفسه يهتف في قوة:

- (العقرب)؟!

التفت إليه رجال المعمل الجنائي في دهشة، ولكنه بدا كما لو أنه يتحدث إلى نفسه، وهو يستطرد في انفعال:

- هو إذن وراء كل هذا! يا إلهي! لقد وقع هذه المرة.

ثم اندفع فجأة مغادرًا المكان، وتاركًا خلفه علامة استفهام ضخمة، على وجوه رجال المعمل الجنائي، الذين خيم عليهم صمت تام، وهم يحدقون في باب الحجرة المفتوح في دهشة، ثم لم يلبث رئيسهم أن هز رأسه، وقال:

- يا لرجال الشرطة!

وعاد الجميع يتابعون عملهم في اهتمام..

• • •

نفث (كامل) دخان سيجارته في عصبية، وهو يقول:

- شبح أسود مقنع، يترك خلفه بطاقة، عليها رسم عقرب ذهبي؟! ما هذا بالضبط يا (رضوان)؟ فيلم سينمائي قديم، أم أسخف كذبة سمعتها في حياتي؟

قال (رضوان) في حدة:

- لا هذا ولا ذاك يا (كامل) بك.. إنها الحقيقة بكل بساطة، فلقد ظهر ذلك المقنع في منزل الصحفي، وهاجم (بكري)، ومن الواضح أنه يسعى خلفنا، وأنه يعد لنا شيئًا ما.

صاح (كامل) في غضب:

- أية سخافة هذه يا رجل؟ لماذا تبتكر قصة تافهة خيالية كهذه لتبرر فشلك في التخلص من الصحفي؟

عقد (كامل) حاجبيه في شدة، وقال:

- لعبة؟!

ثم اختطف سماعة الهاتف بحركة مباغتة، وأدار قرص الهاتف في سرعة، ولم يكد يسمع صوت محدثه، حتى تغيرت ملامحه بغتة، وارتسمت على شفتيه ابتسامة دبلوماسية، وهو يقول:

- صباح الخير يا (إبراهيم) بك.. أنا (كامل).. (كامل شكري): نعم.. رئيس مجلس إدارة شركة البترول.. كيف حالك يا (إبراهيم) بك؟ وكيف حال الجريدة؟ عظيم.

ثم مال إلى الأمام، وأمسك سماعة الهاتف بكفيه في اهتمام بالغ، وهو يستطرد:

- أخبرني يا (إبراهيم) بك.. ألديكم صحفي يدعى (أحمد عبد الغفار)؟ لا.. ليس (محمد عبد الغفار).. بل (أحمد)، عجبًا! لا يوجد من يحمل هذا الاسم!!

قال الجزء الأخير، وهو ينظر إلى الأربعة الآخرين، فشحب وجه (أشرف)، وامتقع وجه (جمال)، وعض (عماد) شفته السفلى في توتر، في حين عقد (رضوان) حاجبيه في شدة، و(كامل) يستطرد:

- لا.. ليس للأمر أهمية خاصة.. كل ما هناك أن شابًا يحمل هذا الاسم، قد تقدم للزواج من ابنة صديق لي، وادعى أنه صحفي في جريدتك.. لا.. لا داعي لإبلاغ الشرطة.. سأنهي الأمر بأسلوبي الخاص.. شكرًا يا (إبراهيم) بك.. شكرًا كثيرًا.

وأعاد سماعة الهاتف، وهو يقول في حزم:

- لم تكن خدعة من الصحفي يا (جمال)، بل الصحفي نفسه هو الخدعة.

وعاد يلتقط سماعة الهاتف، مستطردًا:

- في هذه الحالة يحتاج الأمر إلى تحريات من نوع آخر.

أدار قرص الهاتف مرة أخرى، وقال عندما تم الاتصال:

- صباح الخير يا (وجيه).. أنا (كامل شكري).. اسمعني جيدا.. أريد منك أن تجمع لي كل التحريات الممكنة، من عالمك السفلي عن مقنع أسود، يترك خلفه بطاقة تحمل رسمًا لـ..

اتسعت عيناه فجأة، وهو يهتف:

- تعرفه؟! اسمه ماذا؟ (العقرب)؟! وما الذي يفعله (العقرب) هذا؟ أهو زعيم عصابة كبيرة أم؟

هبطت قلوب الأربعة الآخرين بين أقدامهم، مع ذلك المزيج من الدهشة والخوف، الذي ارتسم على وجه (كامل)، وهو يستمع إلى محدثه، ومع انقباضة أصابعه الشديدة على سماعة الهاتف، قبل أن يرتجف صوته، وهو يقول:

- هذا يكفي يا (وجيه).. هذا يكفي.

وأعاد سماعة الهاتف إلى موضعها، ثم اختطف علبة سجائره، والتقط منها سيجارة، أشعلها بأصابع مرتعدة، دون أن ينتبه إلى أن سيجارته الأولى ما تزال مشتعلة في المنفضة، في حين خيم على حجرته صمت رهيب، اشترك مع الوجوه الشاحبة؛ ليصنع لوحة للتوتر، قبل أن يقول (عماد) في حدة:

- ماذا أخبرك؟

تطلع إليه (كامل) في شرود، وهو ينفث دخان سيجارته، ثم قال:

- يقول إن (العقرب) هذا مكافح للجريمة، لا يعرف أحد من هو، ولا من أين يأتي، ولا حتى كيف يختار خصومه، فهو يبدو كما لو أنه يتشمم أخبار الجرائم، وينتقي منها ما لا يروق له، وهو يرتدي زيًا أسود اللون، وقفازين وقناعًا في لون الليل الملبد بالغيوم، ولقد تصدى لعمالقة، وحطمهم جميعًا من قبل، على الرغم من قوتهم، ومكانتهم الاجتماعية الكبيرة.

انهار (جمال)، هاتفًا في شحوب:

- يا إلهي! لقد ضعنا.

التفت إليه (كامل) في حدة، وضرب سطح مكتبه بقبضته، وهو يهتف:

- لم يحن هذا بعد.

ثم نهض في عنف، مستطردًا:

- أنتم تعلمون أن خطتنا محكمة للغاية، ولا أحد يمكنه كشف أمرنا مهما بلغ ذكاؤه، وكل ما يملكه هذا (العقرب) هو أن يسعى خلفنا وعلينا أن نستعد لهجومه.

ورفع كفه أمام وجهه، وفرقع سبابته وإبهامه، مردفًا في حزم:

- ونقتنصه.

• • •

اقتحم (مجدي) مكتب (نديم) في عنف، واندفع داخله، وعم (أحمد) يعدو خلفه، صائحا في احتجاج واستنكار:

- لا يا سيدي.. لا يمكنك دخول المكتب هكذا.

ولكن (مجدي) تجاهله تمامًا، ولوح بسبابته في وجهي (نديم) و(غادة)، وهو يهتف:

لقد تجاوزت حدودك هذه المرة يا (نديم).. تجاوزتها كثيرًا.

عقدت (غادة) حاجبيها في غضب، في حين رفع (نديم) عينيه إليه في هدوء، وهو يقول:

- من منا تجاوز حدوده يا (مجدي)؟ إنني أجلس في مكتبي، وأما أنت فتقتحم هذا المكتب دون استئذان، ودون..

قاطعه (مجدي) في ثورة:

- دعك من أسلوبك الملتوي هذا يا (نديم).. كلانا يعلم أنك (العقرب)، وأن تتصور نفسك حامي العدالة الوحيد، في هذا العالم، على الرغم من نجاحك في الإفلات مني أكثر من مرة، فلن أسمح لك أبدًا بلوغ حد القتل.

تراجعت (غادة) في حركة حادة، هاتفة:

- القتل؟!

أما (نديم) فقد اكتفى بنظرة صارمة، وهو يقول:

- ماذا تقصد يا (مجدي)؟

ألقى (مجدي) البطاقة فوق المكتب، وهو يقول ثائرًا:

- أقصد هذه البطاقة، التي عثرت عليها إلى جوار جثة رجل، داخل شقة من الشقق المؤثثة، في حي (المنيل).. هل تعرف هذه البطاقة يا (نديم)؟ أليست بطاقتك؟

بدا الاهتمام على وجه (نديم)، وهو يلقي نظرة على البطاقة، التي تحمل شعار (العقرب)، ثم رفع عينيه إلى عم (أحمد)، دون أن يفقد هدوء صوته، وهو يقول:

- اتركنا وحدنا يا عم (أحمد).

أطاعه الكهل دون مناقشة، فتراجع في سرعة، وأغلق الباب خلفه في هدوء، فالتفت (نديم) إلى (مجدي)، وقال:

- اجلس يا (مجدي).

لم يطعه (مجدي)، وإنما قال في حدة، وهو يلوح بسبابته في وجهه:

- اسمع يا (نديم).. لم يمكنك هذه المرة أن...

قاطعه (نديم) في صرامة:

- اجلس يا (مجدي).

كانت لهجته هذه المرة تحمل قدرًا هائلاً من الصرامة، أصاب (مجدي) في الصميم، فارتفع حاجباه لحظة، ثم عاد يعقدهما، واتخذ مجلسه على المقعد المقابل لمكتب (نديم)، مغمغمًا:

- لم أتصور أبدًا أنك ستبلغ هذا الحد.

قال (نديم) في حزم:

- أخبرني أولاً ما حدث.

انطلق (مجدي) يروي له تفاصيل الأمر، منذ إبلاغه بالجريمة، وحتى وصوله إلى مكتبه، واستمع إليه (نديم) في اهتمام، ثم تبادل نظرة صامتة مع (غادة)، التي بدت شديدة التوتر والقلق، وقال:

- ولكن هذا الأمر عجيب بالفعل يا (مجدي)، فكلانا يعرف أن (العقرب) لا يميل أبدًا للقتل.. أليس كذلك؟

قال (مجدي) في حدة:

- من يدري؟

اندفعت (غادة) تقول:

- من المؤكد أنها محاولة لتوريط (العقرب).

رمقها (مجدي) بنظرة نارية، وهو يقول:

- حتى لو كان الأمر كذلك بالفعل، فـ (العقرب) متهم بارتكاب جريمة قتل هذه المرة، وسأستصدر من وكيل النيابة أمرًا بإلقاء القبض علـ..

قاطعه (نديم):

- على من؟ (العقرب)؟

ارتبك (مجدي)، وانتبه فجأة إلى تلك المشكلة، التي تعترض طريقه دائمًا، ولكن هذا لم يزده سوى حنق، فقال:

- لن يمكنك الإفلات من العدالة إلى الأبد يا (نديم).. سأثبت حتمًا أنك (العقرب)، وسألقي القبض عليك، بكل ما ارتكبته.

قال (نديم) في هدوء:

- هل تقتنع حقًا بأن (العقرب) قد ارتكب ما يوجب إلقاء القبض عليه؟

نهض (مجدي) في حدة، وهو يقول:

- إنه يخالف القانون.

تطلع إليه (نديم) في هدوء، وقال:

- ولكنه لا يقتل أبدًا يا (مجدي).. خذها كلمة مني.

ران عليهما الصمت لحظة، وكلاهما يتطلع إلى عيني الآخر، ثم لم يلبث (مجدي) أن انحنى، والتقط البطاقة من أمام (نديم)، ودسها في جيبه، وهو يقول:

- فليكن، ولكن هذا لا يمنعني من تسليم هذه البطاقة للعدالة، فهي أحد أدلة الاتهام في جريمة قتل، سيدفع فيها القاتل الثمن.

واتجه نحو الباب، مستطردًا في صرامة

- حتمًا.

وأغلق الباب خلفه في عنف..

ومضت لحظات من الصمت، قبل أن تسأل (غادة):

- ولكن لماذا؟ لماذا قتلوا الرجل؟

أجابها (نديم) في حزم، بعد برهة من الصمت:

- إنها حرب يا (غادة)، وكل شيء مباح في الحروب.

ثم نهض من خلف مكتبه، واتجه إلى جزء من الحائط، ضغط زرًا خفيًا إلى جواره، انكشفت فجوة فيه، ظهر خلفها زي (العقرب) وقناعه، و(نديم) يستطرد:

- وينبغي أن يدرك (العقرب) هذا.

لم تنبس (غادة) ببنت شفة، وهي تتطلع إلى زي (العقرب) الأسود.

لقد أدركت ما يعنيه (نديم)..

إنها حرب..

حرب بلا رحمة..

• • •

العصابـــة

6- طبول الحرب..

اقتربت زوجة (رضوان) من زوجها، وتطلع إليه في قلق، وهو يجلس أمام النافذة، متطلعًا إلى حديقة الفيلا في خوف وتوتر واضحين، ويفرك كفيه في عصبية، ولم تكد تضع يدها على كتفه، حتى انتفض في قوة، والتفت إليها في هلع، فتراجعت في دهشة وخوف، وهتفت به:

- ماذا هنا يا (رضوان)؟ ماذا أصابك منذ عودتك من الشركة هذه المرة؟

لوح بيده في عصبية، وهو يقول:

- لا شيء.. لا شيء.. اتركيني وحدي.

قالت في عناد:

- لا يمكنني أن أتركك وحدك.. إنك تعاني من توتر بالغ و..

صاح بها في حدة:

- قلت اتركيني وحدي.

عقدت حاجبيها في غضب، وهي تقول:

- أريد أن أفهم ما يحدث هنا.. لقد صرفت بواب الفيلا، وأتيت بدلاً منه برجلين، كل منهما يذكرني بعتاة المجرمين في الأفلام القديمة، ويحمل في جيبه مسدسًا ضخمًا، تبرز ملامحه في وضوح، أسفل سترة ضخمة، فلماذا تفعل كل هذا؟ ما الذي يهددك؟

صرخ بها:

- قلت اتركيني وحدي.. هيا.. انصرفي.

غادرت المكان في غضب، وصفقت الباب خلفها في عنف، فقال في عصبية:

- اذهبي إلى الجحيم.

ثم عاد يجلس على المقعد المقابل للنافذة، مستطردًا:

- أو يأتي الجحيم إلى هنا.

وعاد يرتجف..

• • •

تحسس أحد الرجلين، اللذين أحضرهما (رضوان) لحراسته، مسدسه داخل سترته الواسعة، ونقل إليه ملمسه شيئًا من الاطمئنان، وهو يلتفت إلى زميله قائلاً:

- كم الساعة الآن؟

تطلع زميله إلى ساعته، وقال في تكاسل:

- الثانية إلا خمس دقائق، بعد منتصف الليل.

اكتفى الرجل بهذا الجواب ثوان، ثم عاد يقول:

- أتظن شيئًا سيحدث الليلة؟

هز زميله كتفيه، وقال:

- لا.. لا أظن هذا.

ثم استدرك بسرعة:

- ولكننا سنقوم بواجبنا.

أجابه زميله:

- بالتأكيد.

ثم التقط علبة سجائره، وناوله سيجارة، ومنح نفسه أخرى، وهو يستطرد مبتسمًا:

- ما دمنا نتناول أجرنا.

أشعل زميله السيجارتين، ونفث كل منهما دخان سيجارته في صمت، قبل أن يقول الأول:

- هل تصدق قصة المقنع هذه؟

هز زميله كتفيه، وقال:

- مهمتنا ليست التصديق، أو دراسة الأمر.. نحن هنا لحراسة (رضوان) بك فحسب.

ابتسم الأول، وقال:

- أعلم هذا، ولكن ماذا لو...؟

لم يتم عبارته هذه؛ لأن ضوءًا غمرهما بغتة، مع صوت توقف سيارة مسرعة، وصرير إطاراتها، وهي تحتك بالأرض، فقفز كلاهما ينتزع مسدسه، والتفتا إلى مصدر الصوت، وقد تحفزا للقتال، لولا أن سمعا صوتًا أنثويًا رقيقًا، يقول:

- معذرة.. هل يمكنكما أن ترشداني إلى الطريق الرئيسي؟

تطلعا في دهشة إلى الفتاة الجميلة، التي تقف خلف باب الفيلا المعدني مبتسمة، ثم أسرع أولهما يعيد مسدسه إلى جيب سترته، وهو يقول:

- بالتأكيد.. إنه قريب من هنا.

سألته في عذوبة:

- أين؟

أعاد الآخر مسدسه إلى جيبه بدوره، وابتسم وهو يتابع حديث زميله مع الفتاة، عندما لاحظ أنه يطيل الشرح بلا داع، حتى أومأت الفتاة برأسها، وابتسمت ابتسامة جذابة، وهي

تقول:

- شكرًا لك.. لقد ساعدتني كثيرًا.

أجابها الرجل في حماس:

- مرحبًا بك في أي وقت.

لوحت له بكفها، وعادت إلى سيارتها، وانطلقت بها بسرعة كبيرة، والرجلان يتابعانها ببصرهما في افتتان، قبل أن يغمغم الأول:

- إنها جميلة.

علق الثاني باقتضاب:

- وجذابة.

شملهما الصمت لحظة أخرى، ثم قال الأول، وهو يطلق تنهيدة عميقة:

- لعل هذا أفضل ما في ليلتنا هذه.

في نفس اللحظة، التي أطلق فيها هذه التنهيدة، كانت الفتاة تقول لنفسها في خفوت:

- هأنتذا قد قمت بدورك يا (غادة).. بقى أن ينجح (العقرب) في القيام بدوره.

وواصلت ابتعادها بالسيارة..

• • •

ألقى (رضوان) نظرة متوترة على ساعة معصمه، ورفع عينيه إلى النافذة المطلة على حديقة الفيلا، ثم غمغم:

- لا.. لا أظن شيئًا سيحدث الليلة.. إنها الثانية والنصف، بعد منتصف الليل.

قالها، وأطلق من صدره تنهيدة ارتياح، ثم نهض من مقعده، مستطردًا:

- يمكنني الآن الذهاب إلى فراشي، و...

اختنقت العبارة في حلقه، وهو يدور حول مقعده، وتصلبت قدماه في موضعيهما، واتسعت عيناه في ذعر وذهول، حتى كادتا تثبان من محجريهما، وهو يحدق في وجه (العقرب)، وقناعه الأسود الرهيب، وقد جلس هذا الأخير هادئًا، على مقعد يواجهه تمامًا..

وران على الحجرة صمت مخيف أشبه بسكون المقابر، قطعه صوت أسنان (رضوان)، وهي تصطك ببعضها البعض، ثم صوت (العقرب)، وهو يقول في هدوء مثير:

- هل أفزعتك؟

وعلى الرغم من رجلي الحراسة في الخارج، لم يطلق (رضوان) صرخة استنجاد واحدة،

وانما سقط جاثيًا على ركبتيه، وقال في انهيار:

- الرحمة!

لم يغادر (العقرب) مقعده، وإنما بقى جالسًا، واضعًا إحدى ساقيه فوق الأخرى، وعاقدًا أصابع كفيه أمام وجهه، وهو يقول في هدوء:

- الوقت سابق لطلب الرحمة يا (رضوان)، فلم يبدأ حديثنا بعد.

هتف (رضوان) مرة أخرى، وقد تجمعت دمعة كبيرة في عينيه:

- الرحمة.!

تطلع إليه (العقرب) مرة أخرى في صمت، بعينين خاليتين من أية تعبيرات، وهو يقول:

- أظنك قد انتبهت إلى أن حارسيك لن يمكنهما منعي من الوصول إليك، مهما حاولت، فهما يوليان انتباههما إلى أمور خارج عملهما، بحيث يستطيع فيل ضخم التسلل من خلفهما إلى الداخل.

انهار (رضوان) تماما، وهو يكرر:

- الرحمة! الرحمة!

مال (العقرب) نحوه في بطء، وتطلع إلى عينيه مباشرة، وهو يقول:

- وما الثمن؟ ما ثمن الرحمة؟

هتف (رضوان) متوسلاً:

- سأمنحك كل ما تطلبه.. خذ نصف ثروتي.. بل ثروتي كلها، ولكن اتركني أحيا.. أرجوك.

اعتدل (العقرب)، وقال:

- لا.. لست أطلب نقودًا.

هتف (رضوان):

- سأمنحك أي شيء تطلبه.

مال (العقرب) نحوه مرة أخرى، في حركة حادة، وهو يقول في صرامة مباغتة:

- أريد جوابًا واحدًا.

انتفض جسد (رضوان)، وهو يتراجع في حركة عنيفة، واتسعت عيناه في شدة، وهو يقول:

- جوابًا؟!

سأله (العقرب) في صرامة:

- كيف تختلسون البترول؟

شحب وجه (رضوان) في شدة، ونهض بساقين مرتجفتين، وألقى جسده فوق أقرب مقعد إليه، وهو يقول:

- ومن أخبرك بأننا نختلس البترول؟

ثم لوح بيده كلها وهو يستطرد في توتر:

- أنت تعلم أنه من المستحيل اختلاس البترول، فكل الآبار التابعة للشركة تنتج كميات معروفة من البترول، يتم نقلها عبر أنابيب خاصة إلى ميناء السويس، حيث تضخ داخل خزانات هائلة لناقلات البترول العملاقة، ولا يمكن لناقلة أن تبحر، دون أن يمتلئ خزانها تمامًا، وسعة خزان كل منها معروفة، ولا يمكن التلاعب بها.. وحتى لو اكتفت الناقلة بكمية أقل، فلن يسمح لها مسئولو الشركة هناك بهذا، وكذلك الشركة، التي يصل إليها البترول في النهاية.

سأله (العقرب) في اهتمام:

- وماذا لو تم إنشاء خط أنابيب فرعي ينقل جزءًا من البترول إلى ناقلات خاصة؟

أجابه (رضوان):

- هذا مستحيل، فإنشاء خط أنابيب فرعي مشروع ضخم، لا يمكن تنفيذه في الخفاء، ثم كيف يمكن نقل بترول إلى ناقلة بترول، دون أن يخضع هذا لمراقبة ومتابعة الجهات المسئولة.

قال (العقرب) في صرامة:

- إنني أنتظر منك جواب هذا السؤال.

عاد وجه (رضوان) إلى شحوبه، وهو يقول:

- أي جواب؟ إنني لن..

هب (العقرب) من مقعده بغتة، وجذب (رضوان) من ياقته، قائلاً في صوت يجمد له الدم في العروق:

- أريد الجواب.

وفجأة انطلقت من خلف (العقرب) صرخة رعب هائلة..

صرخة انطلقت من بين شفتي زوجة (رضوان)..

وانقلبت الأمور رأسًا على عقب.

• • •

لم تكد صرخة الزوجة تنطلق، حتى انتفض حارسا الفيلا من موضعيهما، وهبا واقفين، وكل منهما ينتزع مسدسه، وهتف الأول:

- ماذا حدث؟

أجابه الآخر دون انتظار:

لست أدري.. هناك شيء ما في الفيلا.. هيا بنا.

انطلقا يعدوان نحو الفيلا، في نفس الوقت الذي تخلى فيه (العقرب) عن (رضوان)، والتفت إلى زوجته، قائلا:

- رويدك يا سيدتي.. إنني لست لصًا.

لم تناقشه الزوجة، وإنما أطلقت صرخة رعب أخرى، وهي تحدق في قناعه الأسود، وتتراجع فزعة..

ثم اقتحم الحارسين الحجرة..

ومع اقتحامهما، عادت الشجاعة بغتة إلى (رضوان)، فصاح:

- اقتلاه.. اقتلاه.

لم يكن أحدهما ينتظر صدور الأمر، ففور اقتحامهما الحجرة، رفع كل منهما مسدسه إلى وجه (العقرب)..

وفي نفس اللحظة تحرك (العقرب)..

استدار بسرعة، واندفع نحو النافذة الزجاجية المغلقة، وألقى جسده نحوها..

وانطلقت رصاصتا الحارسين..

وعبر (العقرب) النافذة مع الرصاصتين.

وعندما هبط إلى الحديقة، كان قد علم أين استقرت الرصاصتان..

لقد عبرت إحداهما الزجاج معه، أما الثانية فقد عبرت ساقه اليسرى، ومرقت إلى جوار عظمة الساق، ثم خرجت من الناحية المقابلة، مع خيط من الدم.

وصرخ أحد الحارسين:

- لقد أصبته.. لقد أصبته.

واصلت زوجة (رضوان) صراخها، فاندفع زوجها نحوها، وهوى على وجهها بصفعة قوية، وهو يصرخ:

- اخرسي أيتها المأفونة.. اخرسي.. لا أريد فضائح هنا.

أسرع الحارسان يتطلعان إلى الحديقة، عبر النافذة المكسورة، وقال أحدهما في توتر:

- أين هو يا (زهدي)؟

هتف (زهدي) في عصبية:

- لابد أنه هناك.. لقد أصابته رصاصتي.. أنا واثق من هذا.

صاح بهما (رضوان):

- المهم ألا تسمحا له بمغادرة الفيلا حيًا، ولو أنه نجح في عبور أسوارها للدخول فلن نسمح له بعبورها للخروج.

هتفت زوجة (رضوان) في فزع:

- ماذا يحدث يا (رضوان)؟ هل أصبحت زعيم العصابة؟

صرخ بها في شراسة:

اخرسي يا امرأة.

وعاد يلتفت إلى الحارسين، مستطردًا:

- أسرع إلى بوابة الفيلا يا (سعد)، ولا تسمح لمخلوق واحد بالخروج منها، حتى لو اضطررت لقتله، أما أنت يا (زهدي) فتعالَ معي.. سنفتش الحديقة كلها بحثًا عنه.

قالها واندفع نحو مكتبه، وانتزع منه مسدسًا كبيرًا، فصرخت زوجته:

- (رضوان)؟!

تجاهلها هذه المرة، وغادر الحجرة مع (زهدي)، وأسرع كلاهما إلى الحديقة، وأضاء (زهدي) مصباحًا يدويًا كبيرًا أسفل النافذة، وهو يقول:

انظر يا سيدي.. هذه دماؤه.. لقد أصيب حتمًا..

تلفت (رضوان) حوله، وهو يقول في توتر:

- ولكن أين ذهب؟

أجابه (زهدي) في انفعال:

- سنجده حتمًا.. سنتتبع خيط الدم، حتى نبلغ مخبأه.

راحا يتتبعان خيط الدم في حذر، حتى بلغا شجرة ضخمة، فرفع (زهدي) مسدسه، وقال في حزم:

- إنه فوق الشجرة.. أدفع عمري مقابل هذا.

سمع من خلف الجذع صوتًا يقول:

- يكفيني فكك.

وبرزت قبضة (العقرب) فجأة من خلف جذع الشجرة، وهوت كالقنبلة على فك (زهدي)، الذي ترنح في قوة، وسقط مسدسه من يده، ولكن (رضوان) تراجع في سرعة، صارخًا:

- لا.. ليس ثانية.

وأطلق رصاصة من مسدسه..

• • •

ارتجف جسد زوجة (رضوان) في رعب، مع دوي الرصاصات فكتمت فمها بكفها وخشية أن تنطلق منه صرخة أخرى، وغمغمت في هلع:

- يا إلهي! ما الذي يحدث هنا؟ هل أصيب الجميع بالجنون؟

وراحت تتلفت حولها في خوف وتوتر ومستطردة:

- ماذا أفعل يا إلهي؟ ماذا أفعل؟

وقع بصرها بغتة على الهاتف، وقفزت إلى ذهنها فكرة، جعلتها تتمتم:

- نعم.. ولمَ لا؟

أسرعت إلى الهاتف، والتقطت سماعته وأدارت قرصه بأصابع بلغت عصبيتها ذروتها، ولم تكد تسمع صوت محدثها، حتى هتفت:

- (كامل) بك.. حمدًا لله أنني وجدتك.. يؤسفني إيقاظك في مثل هذه الساعة.

أدرك (كامل شكري) على الفور أن (رضوان) يتعرض لنوع ما من المتاعب، وبث هذا الكثير من التوتر في أعماقه، على الرغم من صوته، الذي حافظ على هدوئه، وهو يقول:

- لا.. إنني لم أنم بعد.. ماذا هناك؟ هل أصاب (رضوان) مكروه ما؟

أجابته في اضطراب واضح:

- لست أدري.. إنه يتصرف على نحو عجيب.. كل شيء هنا مخيف.

قال في حزم:

- اهدئي يا سيدتي، وأخبريني ماذا حدث بالضبط.

قالت في ارتباك:

- لقد ظل (رضوان) ساهرًا، حتى الثانية والنصف صباحًا، ولقد أقلقني هذا، فهبطت إلى مكتبه لأطمئن عليه، ففوجئت برجل مقنع في مكتبه.

هتف (كامل)، وقد قفز توتره إلى الذروة:

- مقنع؟! هل وجدت ذلك المقنع المتشح بالسواد في مكتبه؟

قالت السيدة في دهشة:

- هل تعرفه يا (كامل) بك؟

صاح بها، متجاوزًا كل حدود اللياقة:

- دعك من هذا الآن، وأخبريني.. ماذا حدث عندئذ؟

أجابته بسرعة:

- لقد أطلقت صرخة، فأسرع الحارسان الجديدان إلى الفيلا، وأطلقا النار على ذلك المقنع، ولكنه قفز عبر النافذة إلى الحديقة.. أحد الحارسين يقول: إنه قد أصابه برصاصة، ولقد خرج الجميع للبحث عنه في الحديقة، وسمعت (رضوان) يأمر الرجلين بقتله، وأنا أشعر بخوف شديد يا (كامل) بك، خاصة وقد سمعت طلقًا ناريًا في الحديقة، وأخشى أن..

قاطعها (كامل):

- سأقوم باللازم يا سيدتي.. اطمئني.

وأنهى المحادثة في عصبية، ثم أشعل سيجارته، وهو يحدث نفسه، قائلاً:

- إذن فقد هاجم ذلك (العقرب)(رضوان).. يا للسرعة التي تجري بها الأمور!

نفث دخان سيجارته مرات في عصبية، ثم قال في حزم:

- الأمر يحتاج إذن إلى تدخل سريع.

وعاد يرفع سماعة الهاتف، ويطلب رقمًا جديدًا، وقال لصاحبه:

- إنه أنا يا (وجيه).. (كامل شكري).. نعم.. أعلم كم الساعة الآن.. أريدك أن تجمع رجالك على الفور، وتتجه بهم إلى فيلا (رضوان)، فهو يقاتل (العقرب) هناك.. نعم.. (العقرب).. وأنا أريد هذا (العقرب) الليلة يا (وجيه).. مسحوقًا.

وأنهى المحادثة..

• • •

من العجيب، في هذه الحياة، أنه حتى للخطأ فوائده، وأن البعض يستفيدون من أخطاء الآخرين..

هذا ما حدث..

فعلى الرغم من أن (رضوان) يمتلك مسدسًا، ويحمل ترخيصًا خاصًا بحمله واستخدامه،

إلا أنه لم يطلق منه، في عمره كله، سوى رصاصة واحدة، وهي التي أطلقها على (العقرب)، في حديقة الفيلا.. وكان هذا من حسن حظ (العقرب)..

لقد أطلق (رضوان) رصاصته نحو بطلنا، ولكنه لم يصب هدفه، وإنما انحرفت الرصاصة، وأصابت جذع الشجرة، فتراجع (العقرب) بسرعة، وانحنى يلتقط مسدس (زهدي)، وهو يقول:

- دوري يا (رضوان).

ولكن (رضوان) ألقى مسدسه في رعب، ورفع ذراعيه فوق رأسه، وهو يهتف مرتجفًا:

- لا.. لا.. إنني أستسلم.

شعر (زهدي) بغضب هائل في أعماقه، وهو يرى كل ذلك الخوف، في ملامح (رضوان) وتصرفاته، ونهض في بطء، وهو يقول ساخطًا:

- يا للعار! نستسلم لرجل مصاب؟

هز (العقرب) كتفيه، وقال:

- هذا قدرك يا رجل.

ثم استدار إلى (رضوان)، وتابع في صرامة:

- مازلت أنتظر جواب سؤالي يا (رضوان).

تصبب عرق الخوف على وجه (رضوان)، وهو يقول:

- لست أملك جوابًا.

جذب (العقرب) إبرة مسدسه، وهو يقول:

- هل تراهن على هذا؟

ولكن فجأة زال الرعب عن ملامح (رضوان)، واستعاد بعض شجاعته، وهو يقول في حدة:

- نعم.. أراهن.

وفي نفس اللحظة اندفع من خلف (العقرب) صوت صارم، يقول:

- هل يمكنني المشاركة في هذا الرهان؟

وهنا صاح (زهدي):

- اقتله يا (سعد).

تراجع (العقرب) في حركة غريزية حادة، والتفت يواجه خصمه الجديد، إلا أن (زهدي) اندفع خلفه كخرتيت ثائر، وهو يكرر صارخًا:

- اقتله.

ثم هوى بقبضته على فك (العقرب)، بكل ما يملأ نفسه من غضب وثورة..

وأصابت اللكمة هدفها هذه المرة..

واختل توازن (العقرب)، مع قوة اللكمة، وساقه المصابة، وارتطم ظهره بجذع الشجرة، فكال له (زهدي) لكمة أكثر قوة، وهو يصرخ:

- أو أقتله أنا.

كانت الضربة بالغة القوة، ضربت رأس (العقرب) بجذع الشجرة، وأظلمت الدنيا أمام عينيه، ومادت به الأرض..

وسقط..

سقط (العقرب) فاقد الوعي..

سقط بين خصومه..

وران صمت رهيب لحظة، وكأنما لا يصدق هؤلاء الخصوم أنهم قد أوقعوا بـ (العقرب)، ثم هتف (زهدي) في ظفر:

- لقد أوقعنا به.

انتابت (رضوان) فرحة جنونية، وهو يصرخ:

نعم.. لقد أوقعنا به.. لقد أوقعنا به.

بدا الانفعال على وجه (زهدي)، وهو يقول:

- يكاد يقتلني الفضول لنزع قناعه، ورؤية وجهه.

أجابه (رضوان) بنفس الانفعال:

- إنني أشاركك هذا الفضول.

ثم اعتدل قائلاً في حزم:

- هيا.. انزع قناعه.

أطاعه (زهدي) في سرعة وانحنى لينتزع القناع..

قناع (العقرب).

• • •

العصابـــة

7- اقتحـــام..

شعرت زوجة اللواء (حلمي) بالقلق، عندما استيقظت من نومها، في الثالثة إلا الربع صباحًا، فلم تجد زوجها إلى جوارها، وأسرعت تبحث عنه في ردهة المنزل، وتنهدت في ارتياح، عندما وجدته جالسًا هناك، في الظلام، يتطلع عبر نافذة الردهة، إلى الحديقة الكبيرة المواجهة للمنزل، في صمت وشرود، واقتربت منه لتضع كفها على كتفه في رفق، وهي تهمس في خفوت، وكأنما تخشى انتزاعه من شروده:

- هل أصابك الأرق؟

أومأ برأسه إيجابًا، وأجابها بصوت أقل خفوتًا:

- نعم.

سألته في رقة:

- لماذا لم تشعل الضوء؟

غمغم شاردًا:

- الظلام يجعل أعصابي أكثر هدوءًا، ويكفيني ضوء مصابيح الطريق المتسلل إلى هنا.

جذبت مقعدًا، وجلست أمامه صامتة بعض الوقت، قبل أن تسأله:

- أهو أمر متعلق بالعمل؟

ابتسم ابتسامة شاردة، وأجاب:

- إلى حد ما.

سألته في اهتمام:

- أهناك مشكلة تواجهك؟ أعني بالنسبة للعمل.

لم يكن من عاداتها أن تسأله عن متاعب العمل، ولم يكن من المألوف أن يجيبها لو فعلت، إلا أنه قال هذه المرة:

- بل هناك صديق يؤدي إليَّ مهمة، من أجل العدالة، وأخشى أن يتعرض للخطر أو...

قاطعته في هدوء:

- إنها الضريبة.

أدار عينيه إليها في تساؤل، فأردفت في حماس:

- إنها الضريبة، التي يؤديها كل من يسعى لتحقيق العدالة.. أن يخاطر بنفسه وحياته.. أليس هذا ما أخبرتني به دومًا منذ زواجنا؟ ألم تواجه أنت نفسك الموت عشرات المرات من أجل العدالة؟ ألم تخبرني بنفسك أنه من الطبيعي، على حماة القانون والعدالة، أن يواجهوا الموت بصدورهم العارية، في كل لحظة من لحظات حياتهم؟

شعرت زوجة اللواء (حلمي) بالقلق، عندما استيقظت من نومها، في الثالثة إلا الربع صباحًا، فلم تجد زوجها إلى جوارها، وأسرعت تبحث عنه في ردهة المنزل، وتنهدت في ارتياح، عندما وجدته جالسًا هناك، في الظلام، يتطلع عبر نافذة الردهة، إلى الحديقة الكبيرة المواجهة للمنزل، في صمت وشرود، واقتربت منه لتضع كفها على كتفه في رفق، وهي تهمس في خفوت، وكأنما تخشى انتزاعه من شروده:

- هل أصابك الأرق؟

أومأ برأسه إيجابًا، وأجابها بصوت أقل خفوتًا:

- نعم.

سألته في رقة:

- لماذا لم تشعل الضوء؟

غمغم شاردًا:

- الظلام يجعل أعصابي أكثر هدوءًا، ويكفيني ضوء مصابيح الطريق المتسلل إلى هنا.

جذبت مقعدًا، وجلست أمامه صامتة بعض الوقت، قبل أن تسأله:

- أهو أمر متعلق بالعمل؟

ابتسم ابتسامة شاردة، وأجاب:

- إلى حد ما.

سألته في اهتمام:

- أهناك مشكلة تواجهك؟ أعني بالنسبة للعمل.

لم يكن من عاداتها أن تسأله عن متاعب العمل، ولم يكن من المألوف أن يجيبها لو فعلت، إلا أنه قال هذه المرة:

- بل هناك صديق يؤدي إليَّ مهمة، من أجل العدالة، وأخشى أن يتعرض للخطر أو...

قاطعته في هدوء:

- إنها الضريبة.

أدار عينيه إليها في تساؤل، فأردفت في حماس:

- إنها الضريبة، التي يؤديها كل من يسعى لتحقيق العدالة.. أن يخاطر بنفسه وحياته.. أليس هذا ما أخبرتني به دومًا منذ زواجنا؟ ألم تواجه أنت نفسك الموت عشرات المرات من أجل العدالة؟ ألم تخبرني بنفسك أنه من الطبيعي، على حماة القانون والعدالة، أن يواجهوا الموت بصدورهم العارية، في كل لحظة من لحظات حياتهم؟

انتقل حماسها إليه، وهو يقول:

- نعم.. هذا أمر طبيعي.

وتنهد في ارتياح، وكأنما انزاح عن صدره حمل ثقيل، وعاد يتطلع إلى الطريق، قائلاً:

- نعم يا زوجتي العزيزة.. إنها الضريبة.. ضريبة حماة العدالة.

واسترخى في مقعده في هدوء..

• • •

امتدت يد (زهدي) نحو قناع (العقرب) في سرعة..

لم يعد يفصله عنه سوى جزء من الثانية، وبعدها تنتهي سرية شخصية (العقرب)..

ويسقط القناع..

إلى الأبد..

ولكن فجأة سطع الضوء..

ضوء مصباحي سيارة، عبر بوابة الفيلا، ويبهر عيون الجميع..

واعتدل (زهدي) في حركة، والتفت (رضوان) إلى مصدر الضوء في ذعر، أما (سعد)، الذي كلفه (رضوان) مهمة حراسة البوابة، فقد استدار بجسده كله يواجه مصباحي السيارة، وعلى الرغم من الضوء الساطع، فقد لمح، خلف عجلة قيادة السيارة، نفس الفتاة الجميلة، التي سألته ورفيقه إرشادها إلى الطريق الرئيسي، منذ أقل من ساعة..

ولكنه لم يلمحها سوى ثوان معدودة..

ثم اقتحمت السيارة بوابة الفيلا..

اقتحمتها بضجة هائلة، انتزعت إحدى ضلفتي البوابة من مفصليها، في حين انتزع (سعد) مسدسه، صارخًا:

- إنها خدعة..

ولكن السيارة مالت نحوه بحركة حادة، وضربته بجانبها الأيسر في عنف، فأطاحت به إلى حوض من أحواض الزهور، ثم أكملت طريقها بلا تردد، وعبرت ممر الفيلا وحديقتها في سرعة مخيفة؛ لتتوقف على قيد متر واحد من (رضوان)، الذي تراجع صائحًا:

- النجدة يا (زهدي)!!

رفع (زهدي) مسدسه نحو السيارة، ولكن الفتاة الجميلة قفزت خارجها في سرعة مدهشة، وأطلقت من مسدسها الصغير رصاصة واحدة، أصابت مسدس (زهدي)، وأطاحت به

بعيدًا، فتراجع هذا الأخير في دهشة وذعر، في حين هتفت الفتاة بلهجة آمرة:

- هيا.. احملا (العقرب) في سرعة، وضعاه داخل السيارة.

لمحت ترددهما، فأضافت في صرامة:

- أو أنسف رأسيكما بلا تردد.

كان هذا الجزء كافيًا، لينتزع الاثنان نفسيهما من ذعرهما، ثم يحملان (العقرب)، ويضعانه على المقعد الخلفي للسيارة، وبعدها زمجر (زهدي)، وقال:

- لولا مسدسك هذا لحطمت عنقك.

ابتسمت ساخرة، وقالت:

- بالتأكيد، فهذه شيمة الجبناء.

ثم تلاشت سخريتها، وهي تستطرد في حزم:

- هيا.. ابتعدا.

تراجع الاثنان في سرعة، فأدارت محرك السيارة، ومتفت، وهي تلقي بطاقة من بطاقات (العقرب) عبر نافذتها:

- تحياتنا للجميع.

وتراجعت بالسيارة في سرعة، ثم أدارتها في مهارة مدهشة، وانطلقت بها تعبر بوابة الفيلا مرة أخرى؛ وصاح (زهدي) في غضب:

- اللعنة!

والتفت إلى (رضوان) يسأله في سخط:

- ماذا ينبغي أن نفعل يا سيدي؟

أتاهما صوت زوجة (رضوان)، وهي تقول في صوت مرتجف:

- لقد فعلت أنا ما ينبغي فعله.

استدار إليها في دهشة، فأكملت في صوت أكثر ارتجافًا:

- لقد أبلغت الشرطة.

• • •

لم تكد السيارة تبتعد بضعة أمتار عن فيلا (رضوان)، حتى ندت عن (العقرب) آهة ألم، ارتفعت بعدها يده تتحسس رأسه، وهو يتمتم:

- ماذا حدث؟

ابتسمت (غادة) في حنان، وقالت:

- كنت أتصور أنك ستستعيد وعيك بعد ساعة على الأقل، ولكن يبدو أن رأسك أكثر صلابة مما كنت أتوقع.

فاعتدل جالسًا على المقعد الخلفي، وهو يسألها في هدوء، وكأنما لم يكن فاقد الوعي منذ لحظات:

- هل اقتحمت بوابة الفيلا؟

لوحت بكفها في زهو ومرح، وهي تقول:

- بالطبع.. لقد نفذت الخطة الموضوعة بحذافيرها أيها القائد، فقد اتخذت أول منحنى، وأوقفت السيارة، ورحت أراقب الفيلا، من فوق صخور المقطم، ولم أكد ألمح تلك المطاردة في حديقتها، حتى أدركت أن لحظة الاقتحام قد حانت، ولكنني لم أتوقع أن أجدك فاقد الوعي هناك، وإنما تصورت أنني سأقتحم الفيلا، وتقفز أنت إلى السيارة، ونبتعد على الفور.

وضحكت مستطردة:

- أنت إذن الذي خالف الخطة.

لم تتلقَّ منه جوابًا، فعقدت حاجبيها، مغمغمة:

- معذرة.. كنت قد نسيت أنك تكره الضحك والمرح والـ...

قاطعها في حزم:

- زيدي من سرعة السيارة يا (غادة).

سألته في دهشة:

- لماذا؟

أجابها في حسم:

- أخشى أن تصيبك رصاصات هؤلاء الأوغاد، الذين يطاردوننا.

نقلت بصرها في سرعة إلى مرآة السيارة، ورأت ضوء السيارة الأخرى، التي تقترب من سيارتها في سرعة..

ولم يكن هو الشيء الوحيد الذي رأته..

لقد كانت هناك فوهة تطل من نافذة السيارة الأخرى..

فوهة مدفع آلي..

• • •

العصابـــة

8- مطـاردة..

دعك العقيد (مجدي) عينيه؛ ليذهب عنهما أثر النوم، وهو يستقبل الرائد (حسن) في ردهة منزله، ويقول في عصبية:

- أتعشم أن يكون لديك سبب قوي للغاية؛ لإيقاظي في الثالثة صباحًا يا (حسن)، وإلا فستتمنى لو أنك لم تلتحق أبدًا بكلية الشرطة، أو..

قاطعه (حسن) في انفعال:

- إنه (العقرب) يا سيدي.

انتفض (مجدي) في قوة، كما يحدث كلما سمع اسم (العقرب)، وتبخر كل أثر للنوم في عينيه ورأسه، وهو يمسك كتفي (حسن) في قوة، ويهتف به:

- أين؟

أجابه (حسن):

- لقد هاجم فيلا في المقطم، يملكها رجل يدعى (رضوان)، يعمل مديرًا لمخازن شركة بترول ضخمة و...

هذه المرة قاطعه (مجدي)، وهو يندفع نحو حجرة نومه، هاتفًا:

- سنذهب على الفور.

ابتسم (حسن)، وهو يتابع تلك السرعة، التي يرتدي بها (مجدي) ملابسه، بعد سماعه الكلمة السحرية، التي تبث النشاط والحماس في عروقه كلها..

كلمة (العقرب)..

• • •

على الرغم من الهدوء الشديد، الذي تتميز به شخصية (نديم)، إلا أن هذا لم يمنعه أبدًا من العمل بالسرعة الواجبة، عند أدنى شعور بالخطر..

وعلى الرغم من إصابة ساقه اليسرى، إلا أنه قفز في مرونة، من المقعد الخلفي إلى المقعد المجاور لـ (غادة)، وهو يقول في حسم:

- أظن أنه من الأفضل أن أقود أنا، حتى يمكننا..

قاطعته في حزم:

- بل سأتولى أنا مهمة القيادة، فساقك مصابة.

ورمقته بنظرة جانبية، وهي تردف:

- ثم إنني أيضًا كنت أعمل بالشرطة، لو أنك مازلت تذكر هذا.

تراجع في هدوء، واسترخى في مقعده في بساطة، وكأنما يحيط به الأمان من كل جانب، وقال:

- فليكن.

ضغطت (غادة) دواسة الوقود، وانطلقت بالسيارة في تسارع مباغت، أدهش مطارديها، فزادوا من سرعة سيارتهم بدورهم..

وبدأت مطاردة شرسة..

على حافة المقطم..

وداخل سيارة المجرمين، كان (وجيه) يهتف في غضب:

- اللعنة.. هذه الفتاة تقود سيارتها كالمجنونة، دون أن تبالي بالمنحنيات أو المرتفعات.

قال سائق السيارة في غيظ:

- لا تنسَ أيها الزعيم أن سيارتها صغيرة رياضية، على عكس سيارتنا، و...

قاطعه في حدة:

- اصمت.

ثم التفت إلى آخر، وقال:

- (هشام).. أنت أبرعنا في إصابة الهدف.. قل لي: هل يمكنك إصابة إطار سيارة الفتاة، مع حركتها السريعة هذه.

تألقت عينا (هشام) في حماس، وهو يقول:

- بالطبع.. إنني قادر على إصابة ذبابة، فوق أنف قط عصبي، دون أن يشعر القط، أو...

قاطعه (وجيه) في عصبية:

- دعك من هذه المحاضرة المزهوة، وأرنا هذا عمليًّا.

ابتسم (هشام)، ورفع بندقيته على كتفه، وهو يقول:

- سترى أيها الزعيم.

كانت (غادة) تعبر - في هذه اللحظة - منحنى بالغ الصعوبة، عندما صوب (هشام) بندقيته إلى إطار سيارتها الأمامي، وأطلق من شفتيه صفيرًا مرحًا، ثم هتف في زهو :

- بطلقة واحدة.

وأطلق رصاصة من بندقيته..

وأصاب الهدف..

• • •

كانت الإصابة مباغتة وعنيفة بالفعل، وكان أسوأ ما فيها هو توقيتها؛ إذ أصابت إطار السيارة، في نفس اللحظة، التي اتخذت فيها (غادة) أصعب زاوية للمنحنى..

وانفجر الإطار بدوي أشبه بانفجار قنبلة، وانحرفت السيارة في عنف نحو حاجز الهاوية، وصاح (نديم):

- احترسي.

وبكل ما تملك من قوة ومهارة، تشبثت (غادة) بعجلة القيادة، وأدارتها في الاتجاه المضاد، فاحتك جانب السيارة بالحاجز المعدني، وتطايرت مع احتكاكهما شرارات عنيفة، قبل أن تبتعد السيارة عن الحاجز وتميل على نحو خطر، في اتجاه الصخور..

وفي السيارة الأخرى صاح (وحيد) في ظفر:

- لقد أصبتهم.. لقد نجحت يا (هشام).. رائع يا فتى!! رائع!!

ابتسم (هشام) في زهو، وهو يقول:

- أكان لديك أدنى شك في هذا؟

أما سائق السيارة، فقد عقد حاجبيه، وهو يقول في قلق:

- ولكن المشهد يبدو لي كما لو أن هذه الشيطانة تملك زمام القيادة، في مهارة تحسد عليها، على الرغم من صعوبة الموقف.

قهقه (وجيه) ضاحكًا، وهو يقول:

- فليكن يا رجل.. حتى لو لم تسقط السيارة في الهاوية، فستتوقف لانتظارنا على الأقل.

وكان محقًّا في قوله هذا..

فعلى الرغم من مهارة (غادة)، وأعصابها القوية، التي ساعدتها على السيطرة على الموقف، إلا أن التوقف صار ضرورة حتمية؛ مما جعل (غادة) تقول في سخرية مريرة، وهي تضغط فرامل السيارة:

- معذرة أيها الراكب الوحيد.. يبدو أنها آخر محطة.. إجباريًّا.

تأكد (نديم) من تثبيت قناعه الأسود على وجهه، وقال في حزم، وهو يراقب سيارة المجرمين، التي اقتربت منهما:

- لا بأس يا (غادة).. من الواضح أننا سنخوض معركة عنيفة هذه المرة للدفاع عن روحينا.

مطت شفتيها، وقالت:

- لقد خدعتني غريزتي الأنثوية، فلقد كنت أشعر أننا سننجو، دون قتال.
توقفت سيارة المجرمين على قيد مترين من سيارتهما، فاعتدل (العقرب)، وهو يقول:
- لم أثق أبدًا في ذلك الوهم، الذي يطلقون عليه اسم الغريزة الأنثوية.
عقدت حاجبيها في ضيق، ثم أمسكت مسدسها في حزم، عندما برز المجرمون الأربعة من سيارتهم، وكل منهم يمسك مدفعًا رشاشًا، وغمغمت:
-هل تظن أن مسدسًا واحدًا يكفي لمواجهة أربعة مدافع آلية؟
أجابها في هدوء:
- سلي غريزتك الأنثوية.
قالت في عناد:
- لقد سألتها.
ثم رفعت مسدسها إلى وجوه الرجال الأربعة، مستطردة:
- وأجابت بالإيجاب.
لم تكد تفعل ما فعلت، حتى ارتفعت فوهات المدافع الآلية الأربعة في وجهها ووجه (نديم)..
وأصبح الموقف يحتاج إلى اسم جديد..
اسم (مذبحة)..

• • •

العصابـــة



9- كيـــف؟

ما الذي يمكن أن يحدث، في مثل هذا الموقف؟

أربعة مدافع رشاشة، في مواجهة مسدس واحد..

هل تتوقع أن تنطلق رصاصات المدافع الأربعة، فتصرع (العقرب) و(غادة)؟

هذا لن يحدث بالطبع، وإلا لانتهت قصتنا عند هذا الحد، بمصرع بطليها..

هل تهزم (غادة) المدافع الرشاشة الأربعة، بمسدسها فقط؟

هذا أيضًا مستحيل، بالقياس إلى قدرات (غادة) العادية، وإلى كون (العقرب) بلا سلاح..

ماذا يمكن أن يحدث إذن؟

دعني أن أخبرك بما حدث..

لقد كادت الأصابع تعتصر الأزندة، وكادت الرصاصات تنهمر من وعلى الجانبين كالمطر..

لولا ذلك الصوت..

صوت البوق المميز لسيارة شرطة، تقترب في سرعة..

لم يكد هذا الصوت يتضح فجأة، حتى شحبت وجوه المجرمين الأربعة، وهتف قائدهم (وجيه):

- تراجعوا يا رجال.. ابتعدوا عن هنا بأقصى سرعة.

تراجع المجرمون الأربعة في ذعر، وقفزوا داخل سيارتهم، وانطلقوا بها في سرعة، وصوت سيارة الشرطة يقترب، فهتفت (غادة) في دهشة، وهي تعيد مسدسها على جيبها:

- يا إلهي! هذا أعجب ما حدث لي في عمري كله!! هل تتصور أن..

قاطعها (العقرب) في حزم:

- اختفي بسرعة.

غاصت في مقعدها، لتخفي جسدها فيه، واختفى هو بدوره، في نفس اللحظة التي مرقت فيها سيارة الشرطة إلى جوار سيارتهما، وهي تطلق بوق الطوارئ المرتفع، ثم لم تلبث أن تجاوزتهما، واختفت في منحنى بعيد، فاعتدلت (غادة)، وهي تهتف:

- هل رأيت من كان داخل السيارة؟

أجابها (نديم) في رصانة، وهو يضغط شفتيه بأسنانه، في محاولة للسيطرة على آلام ساقه:

- نعم.. رأيته.

أطلقت (غادة) ضحكة عالية، وقالت:

- يا لغرابة الدنيا!! أتظن أن عزيزنا (مجدي) قد يخطر بباله، ولو لحظة واحدة، أنه أنقذ حياتينا، دون أن يقصد؟

أجابها في هدوء:

- أظنه سيقتل نفسه لو كشف هذا.

أطلقت ضحكة قصيرة أخرى، قطعها هو قائلاً:

- معذرة يا عزيزتي.. لست أحب قطع لحظات بهجتك، ولكن أظنك ستضطرين لاستبدال إطار السيارة التالف وحدك، فيبدو أنني قد فقدت الكثير من الدماء و...

ألقت نظرة هلعة على جرح ساقه، وهتفت:

- سأفعل بالطبع يا (نديم).. سأفعل أي شيء في الدنيا..

ورفعت عينيها إليه، مستطردة دون وعي:

- من أجلك.

ودون أن تدري، حمل إليه صوتها نبرة الحب..

كل الحب..

• • •

بدا (مجدي) شديد الانفعال، وهو يميل برأسه نحو زوجة (رضوان)، ويسألها بصوت مفعم بشتى المشاعر:

- إذن فقد رأيت مقنعًا يهاجم زوجك يا سيدتي.. هل يمكنك وصف هذا المقنع؟

ازدردت السيدة لعابها، في محاولة للتغلب على ذلك التوتر، الذي لم يفارقها بعد، وهي تجيب:

- إنه شاب على الأرجح، نحيل القوام، ولكنه متين البنيان، يرتدي قميصًا أسود اللون، وسروالاً وحذاء وقفازين، من اللون نفسه، و...

قاطعها (مجدي) في لهفة:

- وملامحه؟ ماذا عن ملامحه؟

هزت كتفيها، وقالت:

- وكيف يمكنني تبين ملامحه وهو يخفي وجهه كله تقريبًا بقناع أسود سميك و...؟

قاطعها في حنق:

- أعلم.. أعلم.

ثم أشاح بوجهه، مستطردًا في سخط:

- هذا ما يحدث دائمًا.

بدا مزيج من الضيق والغيظ على ملامحه، وهو يدير عينيه في المكان، قبل أن يلتفت إلى (رضوان)، ويسأله بغتة:

- قل لي يا سيد (رضوان): لماذا هاجم (العقرب) فيلتك؟

ارتبك (رضوان)، وتلعثم وهو يجيب:

- إنه مجرد لص، و...

قاطعه (مجدي) في صرامة:

- ما السبب الحقيقي يا سيد (رضوان)؟

قال (رضوان) في عصبية:

- ولماذا يتحتم وجود سبب آخر؟

أجابه (مجدي) في حزم:

- لأنني أعرف (العقرب).

بدا هذا الجواب عجيبًا، وهو يخرج من بين شفتي رجل شرطة، يحقق في بلاغ ضد مجهول مقتحم؛ لهذا فقد تطلع (رضوان) وزوجته إلى (مجدي) في دهشة، شاركهما فيها الرائد (حسن)، في حين لم ينتبه إليها (مجدي) نفسه، وهو يستطرد:

- إنني أختلف معه بالطبع، وأصر دائمًا على أنه يعمل بأسلوب مخالف للقانون، الذي يحتم ضميري ومهنتي طاعته، إلا أنه ليس لصًّا، بأي حال من الأحوال.

قالت زوجة (رضوان) في عصبية:

- بم تفسر اقتحامه للفيلا إذن؟

أدار (مجدي) عينيه في بطء إلى (رضوان)، وهو يجيبها:

- هل ألقيت هذا السؤال على زوجك؟

تطلعت في دهشة إلى زوجها، الذي شحب وجهه في شدة، وعادت تنقل عينيها إلى (مجدي)، وتقول على نحو أكثر عصبية:

- وما شأن زوجي بالجواب أيها العقيد؟

ارتسمت على شفتي (مجدي) ابتسامة باردة، وهو يقول:

- هل ألقيت عليه هذا السؤال أيضًا؟

اندفع (رضوان) يقول في توتر بالغ:

- إنني رجل شريف يا سيادة العقيد، لا شأن لي بهؤلاء المجرمين المقنعين.. لقد دافعت عن نفسي، كما يفعل أي رجل شريف، وعندما أطلقت النار على ذلك (العقرب)، لم أكن أقصد أن..

قاطعه (مجدي) هاتفًا:

- أطلقت عليه النار؟! هل أصبته؟

أجابه (زهدي):

- أنا الذي أطلقت عليه النار يا سيادة العقيد، وأنا حارس خاص رسمي، أحمل ترخيصًا بمزاولة هذه المهنة، وآخر بحمل السلاح، و...

قاطعه (مجدي)، وهو أكثر انفعالاً:

- دعك من كل هذا.. هل أصبته؟

أجابه (زهدي) في دهشة:

- نعم.. لقد أصبته في ساقه، و...

قاطعه (مجدي) مرة أخرى:

- أأنت واثق؟

أجاب (زهدي):

- بالطبع.

برقت عينا (مجدي) في ظفر، ومد يده إلى (زهدي)، قائلاً:

- أعطني مسدسك يا رجل.

ناوله (زهدي) مسدسه، وهو يقول في توتر:

- أخبرتك أنني أحمل ترخيصًا بحمله.

اختطف (مجدي) المسدس من يد (زهدي)، وهو يقول:

- قلت لك أعلم هذا.. أعلمه.

والتفت يناول المسدس إلى الرائد (حسن)، وهو يقول في حماس:

- اعتبر هذا المسدس دليلاً، وسنطبق على (نديم) الليلة، وسننتزع الرصاصة من ساقه، ونقارنها برصاصات هذا المسدس، وسنثبت أن (نديم) هو (العقرب).

تبادل (رضوان) و(زهدي) نظرة سريعة، تألقت خلالها عيونهما، ثم أسرع (زهدي) يقول:

- لن يكون هذا هو الدليل الوحيد يا سيادة العقيد، فلقد حصلت على رقم سيارة الفتاة، التي عاونت ذلك (العقرب)، كما يمكنني تعرف الفتاة نفسها، حتى ولو حاولت الاختفاء وسط مظاهرة ضخمة.

خيل إلى الجميع أن عيني (مجدي) قد تحولتا إلى جمر ملتهب، وهو يقول بابتسامة واسعة، مفعمة بالظفر والسعادة:

- فتاة وسيارة يا إلهي! إنه يوم حظي الحسن بالتأكيد.. لأول مرة تكتمل كل الأدلة والقرائن، وتجتمّع كلها بين أصابعي، وأنا أواجه (العقرب).

وقهقه ضاحكًا بغتة، على نحو لا يتناسب قط مع الظروف والأحداث، قبل أن يستطرد في ارتياح بالغ:

- أخيرًا سأسحقه.

وضم قبضته، مردفًا في شراسة:

- سأسحق (العقرب).

• • •

العصابـــة

10- الدليـــل..

هوت صفعة (كامل شكري) على وجه (وجيه) قوية عنيفة، تموج بالغضب والثورة، قبل أن يصرخ (كامل):

- هربتم؟! هكذا بكل بساطة؟! كيف يمكنني الاعتماد على ثلة من الجبناء أمثالكم بعدما فعلتموه؟

احتقن وجه (وجيه)، وهو يضع يده على موضع الصفعة، ويقول في حدة:

- هل كنت تفضل وقوعنا في أيدي الشرطة؟

لوح (كامل) بذراعه في سخط شديد، وهو يهتف:

- بل كنت أفضل أن تطلقوا النار على ذلك المقنع أولاً، ثم تلوذون بالفرار، أو...

قاطعه (وجيه) في سخط:

- إذن فأنت ترى أنه كان من المفروض أن نطلق مدافعنا الرشاشة، وكأننا نعلن للشرطة عن وجودنا، ونجعل من أنفسنا هدفًا لهم.. لا يا سيدي.. إننا نطيع أوامرك، وننفذ كل ما تطالبنا به؛ لأننا نحصل منك على مقابل مادي يساوي ذلك، أما أن نلقي بأنفسنا في السجن من أجلك، فهذا أمر آخر.

ثم اتسعت عيناه في شراسة مخيفة، وهو يستطرد:

- وفي المرة القادمة سأقطع يدك بلا رحمة لو صفعتني.

أدرك (كامل) خطأ فعلته، فازدرد لعابه في توتر، وغمغم:

- إنني لم أقصد هذا بالطبع.. معذرة.. إنما هي أعصابي الثائرة و.. وكفى.

ران عليهما الصمت لحظة طويلة، بدا فيها كل الغضب على وجه (وجيه)، ثم لم تلبث ملامحه أن لانت تدريجيًا، وهو يقول:

- ليكن.

ثم دس بين شفتيه سيجارة، أشعلها بقداحته في حركة سريعة، ونفث دخانها، قبل أن يستطرد:

- ولكن فرارنا لن يمنعنا من اقتناص ذلك (العقرب).

عقد (كامل) حاجبيه، وهو يسأله:

- كيف؟

ابتسم (وجيه) في دهاء، وهو يقول:

- لقد حصلت على رقم سيارة الفتاة، ولي صديق يعمل بإدارة المرور، يمكنه إرشادنا إلى

صاحبة السيارة، وصديقة ذلك (العقرب).

هتف (كامل):

- رائع يا (وجيه).. رائع.. ومتى ستفعل هذا؟

اتسعت ابتسامة (وجيه)، وهو يقول:

- سيكون أول ما أفعله في الصباح أيها الزعيم.. أن أحفر القبر.

وارتسمت في عينيه ضحكة شيطانية، مع استطرادته:

- قبر (العقرب)..

• • •

لم يشعر (مجدي) بأدنى قدر من الدهشة عندما استقبلته (غادة)، على باب منزل (نديم)، في الخامسة صباحًا، وإنما ابتسم في سخرية، وقال:

- هل يبدو لك أنه من الطبيعي أن أجدك هنا، في منزل رجل عزب، في مثل هذا الوقت؟

ابتسمت (غادة) في سخرية، وقالت:

- وهل من الطبيعي أن تختار هذا الوقت لزيارته؟

أجابها في صرامة:

- لست هنا بغرض الزيارة.. إنها مهمة رسمية.

قالت ساخرة:

- وأنا هنا لمهمة طبية.

قال في خبث:

- أراهن أنها رصاصة، أصابت عزيزنا (نديم)، في ساقه اليسرى، أليس كذلك؟

رفعت حاجبيها في دهشة مصطنعة، وقالت:

- عجبًا!! هل أصبحت أحد قارئي الغيب؟

أجابها في صرامة:

- بل صرت شرطيًا ناجحًا، يملك - لأول مرة - قضية مكتملة، توقع بالسيد (نديم)، ورفيقته الحسناء.

قالت (غادة) في سخرية أحنقته:

أحقًا؟!

ثم أطلقت ضحكة عالية، جعلته يعقد حاجبيه في غضب، قبل أن تفسح له الطريق، مستطردة في سخرية:

- هيا إذن يا بطل الأبطال.. ألقِ القبض علينا.

وعلى الرغم من غضبه الشديد، اندفع (مجدي) داخل المنزل، وقطع الطريق إلى حجرة نوم (نديم) بخطوات واسعة، وهو يقول:

- سنرى من يضحك أخيرًا.

شيعته بضحكة ساخرة أخرى، جعلته يدفع باب حجرة نوم (نديم)، بقدمه في عنف، ويقول في حدة:

- إنني ألقي القبض عليك يا (نديم فوزي)، بتهمة الـ...

بتر عبارته بغتة، واحتبست الكلمات في حلقه، وهو يحدق في المشهد أمامه..

لم يكن (نديم) وحده في حجرته..

كان هناك طبيب..

طبيب (نديم) الخاص..

وكان من الواضح أن الطبيب قد انتهى من عمله منذ لحظات، فقد كان يجفف يديه، بعد أن انتزع قفازه الجراحي، وهو يلتفت إلى (مجدي)، ويبتسم قائلاً:

- صباح الخير يا (مجدي).. كيف حالك يا ولدي؟ هل أتيت للاطمئنان على زميلك القديم (نديم)؟

عقد (مجدي) حاجبيه في شدة، وقد اشتم رائحة السخرية، في كلمات الطبيب الكهل، وقال في حدة:

- بل أتيت لإلقاء القبض عليه يا دكتور (قدري).

رفع الطبيب حاجبيه، في دهشة واضحة الاصطناع، وهو يقول:

- إلقاء القبض عليه؟! بأية تهمة يا ولدي؟

قال (مجدي) في عصبية:

- دعك من التهمة، ولتقم بواجبك، كأي رجل شريف، وتسلمني الرصاصة، التي استخرجتها من جرح (نديم).

أجابه الدكتور (قدري) في هدوء:

- ولكنني لم أستخرج أية رصاصات من جسد (نديم) يا رجل، فلقد اخترقت الرصاصة

ساقه، ونفذت منه، وارتطمت بالحائط هناك، و...

قاطعه (مجدي) في غضب:

- لا تشر إلى هذا الحائط يا سيدي، فأنت تعلم أنه لم يصب بالرصاصة هنا، بل في فيلا بالمقطم، في الثالثة إلا الربع صباحًا، و...

هتف الطبيب مقاطعًا:

- ولكن هذا مستحيل يا ولدي، فلقد أصيب (نديم) برصاصة هنا، في الثانية صباحًا تقريبًا، أصابته بها زميلته (غادة)، عندما كانت تختبر مسدسها، الذي تحمل ترخيصًا بحمله، ولقد اتصلت بي فور حدوث الإصابة، فهرعت إلى هنا على الفور، وبلغت المكان في الثانية والنصف.

صاح (مجدي) في ثورة:

- سيثبت الطب الشرعي أنك كاذب.

ابتسم الطبيب في ثقة، وقال:

- أتتصور أن أمهر الأطباء الشرعيين، يمكنه تحديد لحظة الإصابة بمنتهى الدقة، بعد تدخل جراحي؟

أسقط في يد (مجدي)، وأدرك على الفور أنه قد خسر هذه النقطة، ولن يمكنه أبدًا الاعتماد عليها لإدانة (نديم)، وإثبات أنه و(العقرب) وجهان لعملة واحدة، فالتفت إلى (غادة)، وقال في عصبية:

- أتعلمين أن هذا قد يعرضك لسحب ترخيص المسدس؟

هزت كتفيها في لا مبالاة، وقالت:

- لا تنسَ أنني محامية، يمكنني الدفاع عن خطأ غير مقصود، ثم إن (نديم) لن يتقدم بشكوى ضدي.. أليس كذلك؟

هتف (مجدي) في غيظ:

- أعلم أنه لن يفعل، ولكن هذا ليس الدليل الوحيد، الذي أملكه هذه المرة، فلقد التقط حارس الفيلا رقم سيارتك الحمراء.

رفعت حاجبيها، هاتفة على نحو تمثيلي:

- سيارتي الحمراء؟! هل عثرتم عليها؟ لقد أبلغت بسرقتها عصر اليوم، ولم أتصور أن يعثر عليها رجال الشرطة بهذه السرعة.. إنكم عباقرة بحق.

قال محتدًا:

- فليكن.. لقد اتخذتما احتياطكما بشأن السيارة، ولكن ماذا عنك؟ لقد أكد الحارس قدرته على تعرفك.

هزت كتفيها قائلة:

- فليكن.. يمكنه أن يشاهدني في عرض عام، وسأعترف بكل شيء تفصيليًا، لو أمكنه تعرفي.

سألها في توتر:

- ماذا تعنين؟

عادت تهز كتفيها مرة أخرى، وهي تقول:

- لا شيء، وإنما يبدو لي أن تعرف امرأة ما أمر مستحيل تقريبًا، ما لم يكن ذلك الذي يحاول تعرفها وثيق الصلة بها، فأدوات الزينة والشعور المستعارة تفعل الكثيّر، و...

قاطعها وقد أدرك ما ترمي إليه:

- فليكن.

ثم استطرد في سخط واضح:

- يمكنني مع كل هذا إلقاء القبض عليكما، وإلقاؤكما في السجن لبضعة أيام على الأقل، ولكنني لن أفعل.. ليس لأنني أكره مضايقتكما، ولكن لأن فرصة الإيقاع بكما تتضاءل كثيرًا، عند منعكما من العمل، وأنا مصر على أن ألقي القبض على (العقرب) يومًا، وهو يرتدي قناعه.

وبرزت أسنانه، وهو يستطرد في ثورة:

- ثم أنتزع القناع عن وجهه بنفسي.

لم يكد يلقي كلمته هذه، حتى اندفع مغادرًا المكان، وأغلق الباب خلفه في عنف، فابتسمت (غادة) في سخرية، مغمغمة:

- كم أشفق عليك يا عزيزي (مجدي).

أجابها (نديم) في هدوء:

- إنه يحاول تأدية واجبه بأمانة فحسب يا (غادة).

ابتسم الدكتور (قدري)، وقال:

- أنت أيضًا تؤدي واجبًا رائعًا للعدالة يا ولدي، وكم يسعدني أن منحتني ثقتك، وكشفت لي حقيقة شخصيتك المزدوجة، وأصارحك القول بأنني لم أكن أتخيل وجود شخصية مثلها،

في العالم كله.. أقصد شخصية حقيقية.

قال (نديم) في رصانة، وهو يقف على قدميه:

- لم أكن لأجد من هو أفضل منك، لمنحه ثقتي، ومشاركته سري، يا سيدي.. فأنت أصدق أصدقاء والدي، وطبيبي الخاص منذ مولدي.

ثم تطلع إلى عيني الطبيب، مستطردًا في عمق:

- ولكنني أطالبك بحفظ السر، وإخفائه حتى عن والدي نفسه.

ابتسم الطبيب، قائلاً:

- بالطبع.

ثم أضاف بسرعة، وكأنه يرغب في الفرار من هذه النقطة:

- هل تؤلمك ساقك؟

أجابه (نديم):

- قليلاً.

ثم اعتدل، وتطلع إلى (غادة) مستطردًا:

- ولكن هذا الألم لا يعني شيئًا، لو قارنته بما ينتظرنا يا سيدي، فتلك المواجهة العنيفة، التي حدثت منذ ساعات، بيننا وبين هؤلاء المجرمين، تعني أننا نواجه عصابة رهيبة، مخيفة، لا تتورع عن القتل والفتك، في سبيل ما تربحه من مال، يبلغ عدد أصفاره الستة أصفار على الأقل.

والتقط نفسًا عميقًا، قبل أن يستطرد:

- إننا نواجه حربًا يا سيدي.. حربًا شعواء.

وكان على حق..

• • •

العصابـــة

11- ناقوس الحرب..

لم يثر اجتماع مديري الشركة الأربعة، برئيس مجلس إدارتها، اهتمام أي من العاملين بها، إذ كانت هذه الاجتماعات تتم على نحو شبه دوري، منذ سنوات، ولكن الشيء الذي لم يعلمه أحد، هو أن هذا الاجتماع بالذات لم يكن اجتماعًا تقليديًا..

لقد كان أشبه بمجلس حرب..

نعم.. مجلس حرب يتزعمها (كامل شكري)، الذي كان أكثر الجميع ثورة في حجرة الاجتماعات، وهو يضرب سطح المنضدة الكبيرة بقبضته، هاتفًا:

- إنها مهزلة.. كيف يمكن لرجل واحد أن يهزمنا، ويثير رعبنا إلى هذا الحد؟

قال (رضوان)، في صوت مازال يحمل ارتجافة كلماته:

- إنه ليس مجرد رجل واحد.. إنه شيطان.

لوح (كامل) بذراعه في حنق، وهو يهتف:

- لا يوجد شياطين على الأرض.. هذا الرجل يرهبكم ويرعبكم فحسب، بقناعه الأسود، الذي يضفي عليه الغموض، وزيه الأسود المخيف، ولكنه، وعلى الرغم من هذا، مجرد رجل واحد، يسهل علينا القضاء عليه.

ثم عاد يضرب سطح المنضدة بقبضته، مستطردًا:

- والآن ماذا ستفعلون؟

ران صمت رهيب على الحجرة لحظات، ثم قال الدكتور (جمال) في خفوت:

- سأرحل.

التفت إليه الآخرون في دهشة، وسأله (كامل) في حدة:

- ماذا قلت؟

ارتفع صوت (جمال)، وهو يقول في عصبية:

- قلت إنني سأرحل.. سأجمع متاعي، وأعرض المستشفى للبيع، ثم أستقيل من هنا، وأفر بأول طائرة إلى (سويسرا)، حيث أموالي.

لم يكتف بهذا القول، وإنما اندفع يستطرد في انفعال:

- لقد سئمت كل هذا.. لم أعد أحتمل.. ثم إننا قد جمعنا ما يكفي من الأموال، في السنوات العشر الأخيرة، وحان الوقت لننعم بما جمعنا.

بدت عينا (كامل) مخيفتين، وهو يقول:

- ولكنك لست تملك الرحيل.

صرخ (جمال):

- لن يمكنكم منعي.. لا أحد يمكنه ذلك.. قلت لكم إنني سئمت كل هذا.. سئمته.

صاح به (كامل) في قسوة:

- ليس من حقك أن تفعل.. أنت بالذات لا يمكنك ترك موقعك، وإلا فسدت اللعبة كلها.. اسمعني جيدًا يا رجل.. لو أن الخوف من ذلك المقنع هو ما يدفعك إلى الفرار، فسأمنحك دافعًا أقوى للبقاء.

ونهض من خلف مكتبه، واتجه بخطوة واسعة إلى حيث (جمال)، وتطلع إلى عينيه مباشرة، وهو يقول في غلظة:

- إننا جميعًا في قالب واحد يا رجل.. كلنا نلعب لعبة واحدة، في مضمار واحد، وانسحاب أي فرد منا يعني إفساد السباق كله؛ ولهذا يجب أن يكون الانسحاب جماعيًا، أما من يفكر وحده في الفرار فسيكون جزاؤه منا هو الموت.. هل تفهم؟

انتفض جسد (جمال) في رعب، و(كامل) يكرر في وحشية مرعبة:

- الموت.

ثم اعتدل (كامل)، وترك (جمال) ينهار شاحبًا مرتجفًا على مقعده، واستدار متجاهلاً إياه، وهو يتابع:

- أما بشأن ذلك المقنع، فقد جمعنا ما يكفينا للقضاء عليه هذه المرة.

قال المهندس (أشرف) في تردد:

- هذا ما سمعناه أمس.

التفت إليه (كامل) بنظرة نارية، وهو يقول:

- اليوم نملك معلومات أكثر، وفرصة أكبر.

ثم أشار إلى (رضوان)، مستطردًا:

- أخبرهم ما سمعته من عقيد الشرطة أمس.

تنحنح (رضوان)، وقال:

- لقد قال العقيد (مجدي) أنه لن يهدأ حتى يثبت أن (نديم) هو (العقرب).

قال (عماد) في حيرة:

- ومن (نديم) هذا؟

ابتسم (كامل) ابتسامة شرسة، وقال:

- كنت أتوقع هذا السؤال.

ثم اعتدل، مستطردًا في حسم:

- لقد التقط حارس (رضوان) رقم سيارة الفتاة، التي أنقذت (العقرب)، ولقد تحريت بوسائلي الخاصة عن هذه السيارة، وعلمت أنها ملك لمحامية شابة، اسمها (غادة)، وأنها تعمل في مكتب محامٍ شاب، يحمل اسم (نديم).

تطلع إليه الجميع، في مزيج من اللهفة والقلق، وهو يستطرد:

- (نديم فوزي)!

خيم الوجوم على رءوسهم لحظات، وهو يتبادلون نظرات حائرة، قبل أن يقول (عماد):

- لم أسمع اسمه من قبل.

ابتسم (كامل)، وهو يقول:

- اطمئن يا رجل.. لقد اتخذت الترتيبات اللازمة لتسمّع اسمه قريبًا، ولتقرأه أيضًا.

وتحولت ابتسامته إلى ضحكة عصبية، وهو يستطرد:

- في صفحة الوفيات.

وتفجرت ضحكته الوحشية تجلجل في المكان..

• • •

ابتسمت (غادة) في حنان، وهي تقدم قدح القهوة المعتاد لـ (نديم)، في حجرة مكتب هذا الأخير، وتقول:

- لم أتصور أنك ستحضر إلى المكتب في موعدك، بعد كل ما حدث.

تناول قدح القهوة من يدها، وقال:

- المفروض ألا تطغى شخصية (العقرب) على (نديم فوزي)، ثم إن ساقي لا تؤلمني كثيرًا، فلقد عالجها الدكتور (قدري) بعبقريته الفذة، وأصابعه الساحرة، حتى إنني أستعملها كما كانت سليمة.

قالت في تعاطف:

- هذا لأنها لم تمزق عضلات الساق، أو تخترق عظامه لحسن الحظ.

قال في هدوء، وهو يرتشف قدح القهوة:

- ولسوء حظ عصابة البترول.

اتخذت مجلسها على المقعد المقابل لمكتبه، وقالت:

- أمر هذه العصابة يدهشني بحق، فحديث (رضوان) منطقي للغاية، وليس من السهل أن يتم ضخ كمية من البترول، دون أن يشعر بها أحد، وعلى الرغم من هذا، فالأسلوب الذي يتعامل به الجميع، يؤكد أنهم متورطون في جريمة كبرى.

تنهد (نديم)، وقال:

- هذا الأمر يحتاج لاستشارة خبير في شئون البترول.

ثم اعتدل مرتشفًا رشفة أخرى من قدحه، مستطردًا:

- أو لهجوم جديد من (العقرب).

ابتسمت لحماسه، وهي تسأله:

- من هذه المرة؟

تراجع وهو يهز كتفيه، مستطردًا:

- لم يستقر رأيي بعد.

لم يكد يتم كلمته، حتى دخل (أحمد) إلى الحجرة، وتنحنح لينبههما إلى وجوده، فالتفتا إليه في تساؤل، جعله يقول في سرعة:

- هناك عميلان يطلبان مقابلتك، بشأن قضية ما، يا سيد (نديم).

أجابه (نديم) في هدوء:

- دعهما يدخلان يا عم (أحمد).

نهضت (غادة) من مقعدها، واتجهت إلى أريكة جانبية، وهي تقول:

- إنه دور (نديم) هذه المرة.

نقلت بصرها إلى الرجلين، وانتابها شعور بعدم الارتياح، وهما يتقدمان بملامح جامدة إلى (نديم)، الذي نهض لمصافحتهما، فسأله أحدهما في برود:

- أأنت السيد (نديم فوزي)؟

أجابه (نديم) في بساطة:

- نعم.. أنا هو ، وهذه زميلتي (غادة).

قال الرجل في خشونة:

- رائع.. هذا يمنحنا فرصة إنهاء العمليتين بضربة واحدة.

وبسرعة لم يتوقعها (نديم)، انتزع الرجلان من جيبي سترتيهما مسدسين ضخمين،

صوبا فوهتيهما إلى صدره، و..

ودوى صوت رصاصتين في حجرة مكتب (نديم)..

• • •

العصابـــة

12- القانــون..

سعل الرائد (حسن)، على الرغم منه، وهو يدلف إلى حجرة مكتب العقيد (مجدي)، التي انعقدت في سمائها سحب الدخان، وامتلأت منفضة السجائر فيها بعشرات من أعقاب اللفافات التبغ التي يدخنها (مجدي) في شراهة، وهو منهمك في دراسة ملف ضخم أمامه، وألقى الرائد (حسن) نظرة مشفقة على (مجدي)، قبل أن يسأله:

- معذرة يا سيدي.. هل تحتاج إلى مساعدة؟

رفع (مجدي) عينيه إليه في بطء، وانتزع من بين شفتيه بقايا سيجارة، كادت نيرانها تلسعه، وأطفأها في المنفضة في عنف، وهو يقول:

- المساعدة الوحيدة، التي يمكنك تقديمها لي الآن، هي جمع مزيد من المعلومات عن (رضوان)، وشركة البترول، التي يعمل بها.

ابتسم (حسن)، وهو يجلس أمام (مجدي)، وقال:

- ولماذا تراجع ملف شركة البترول بكل هذا الاهتمام يا سيدي؟

أزاح (مجدي) الملف من أمامه، وأشعل سيجارة أخرى، وهو يقول:

- إنني أعرف طبيعة (تديم)، أكثر مما يعرفها أي شخص آخر في وزارة الداخلية كلها، وما دام قد هاجم (رضوان)، فهناك خطأ ما حتمًا، ارتكبه (رضوان) هذا، أو يحدث داخل الشركة، و(العقرب) يسعى خلفه.

غمغم (حسن):

- عجبًا!

نفث (مجدي) دخان سيجارته، وهو يسأله في عصبية:

- وما العجب في هذا؟

التفت إليه (حسن)، وتطلع إليه لحظة في صمت، ثم قال:

- الواقع أن مشاعرك نحو(العقرب) تدهشني يا سيدي، فأنت تبغضه، كما لم تبغض شخصًا من قبل، ولكنك - في الوقت ذاته - تثق تمامًا في أنه رجل شريف، لا يهاجم إلا المجرمين، فكيف يتفق هذا وذاك؟

ساد صمت تام في الحجرة، بعد أن ألقى (حسن) سؤاله، وانعقد حاجبا (مجدي) في شدة، وبرزت شفته السفلى إلى الأمام، وهو يفكر في الجواب، ثم لم يلبث أن سحب نفسًا عميقًا من سيجارته، ورفع عينيه إلى (حسن)، وقال في حزم:

- إنه يخالف القانون.

هتف (حسن):

- فقط؟!

أجابه (مجدي) في صرامة:

- هذا يكفي.. إننا رجال قانون، ومهمتنا هي الحفاظ عليه، ومنع أي مخلوق من تجاوزه، ونحن نتقاضى أجرنا مقابل هذا.

قال (حسن):

- هذا صحيح، ولكن لو أن (العقرب) شخص آخر، وليس (نديم فوزي)، فهل كنت ستقاتله بنفس الشراسة والعنف؟

أصاب هذا السؤال (مجدي) في الصميم..

هل يقاتل (العقرب) لأنه يخالف القانون حقًا؟ أم لأنه الشخصية، التي يختفي خلفها (نديم فوزي)، ليحقق العدالة بأسلوبه الخاص، الذي قد لا يتفق - في كثير من الأحيان - مع القانون المكتوب؟

أنبأه عقله بالجواب الصحيح على الفور، إلا أن عناده رفض الاعتراف به، فاعتدل في صرامة، وهو يجيب (حسن):

- بالطبع.

وعلى الرغم من صرامته، كانت كلمته تفتقر إلى رنة خاصة..

رنة الصدق..

• • •

تحرك (نديم) حركة غريزية سريعة، عندما دوى صوت الرصاصتين، إلا أنه لم يلبث أن تجمد في مقعده، وهو يتطلع في دهشة إلى الرجلين، وقد تراجعا في ذعر وألم، وكل منهما يمسك يده اليمنى، بعد أن فقد مسدسه، في حين أمسكت (غادة) مسدسها، الذي تصاعد الأدخنة من فوهته، وهي تقول في سخرية:

- تبًا لكما أيها الوغدان.. ألا تحترمان وجود امرأة جميلة؟

تطلع الرجلان إلى مسدسها المصوب إليهما، في دهشة وذعر، في حين عاد (نديم) يعتدل في مقعده، وهو يسألها في هدوء عجيب:

- كيف توقعت هذا؟!

هزت كتفيها، وقالت:

- الغريزة الأنثوية يا عزيزي، التي ترفض أنت الاعتراف بها، على الرغم من أنها قد صدقت أمس، عندما أفلتنا دون قتال، واليوم مع هذين الوغدين.

تطلع إليها لحظة في صمت، دون تعليق واحد، ثم أدار عينيه إلى الرجلين، في نفس اللحظة، التي اقتحم فيها (أحمد) الحجرة، هاتفا في ذعر:

- ماذا يحدث؟

لم يكن يحتاج إلى جواب، مع ذلك المسدس في يد (غادة)، فتراجع قائلاً في توتر:

- أأنتما بخير؟

أجابه (نديم) في هدوء:

- نعم يا عم (أحمد).. أنا و(غادة) بخير.. اتركنا وحدنا.

غادر (أحمد) الحجرة في سرعة، وأغلق بابها خلفه، فعاد (نديم) يرفع عينيه إلى الرجلين، وهو يسألهما في لهجة صارمة مخيفة:

- من أرسلكما؟

تبادل الرجلان نظرة متوترة، ثم قال أحدهما في خشونة:

- هل تتوقع الحصول على جواب؟

أجابه (نديم) في برود:

- بالطبع.

ثم سأل (غادة)، دون أن يلتفت إليها:

- هل تحملين كاتم الصوت يا عزيزتي؟

التقطت (غادة) من حقيبتها أنبوبًا معدنيًا قصيرًا، أدارته عند فوهة مسدسها، وهي تقول في لهجة أقرب إلى الجذل:

- ها هو ذا مستعد للعمل.

قال أحد الرجلين، في لهجة لم تنجح في إخفاء توتره:

- خدعة سخيفة.. لن يمكنكما قتلنا.

جذبت (غادة) إبرة مسدسها، وهي تقول ساخرة:

- هل تراهن؟

وبنفس الصرامة المخيفة، سأله (نديم):

- من أرسلكما؟

توترت نظرات الرجلين، وازدرد أحدهما لعابه في صعوبة، وقال:

- أعلم أنكما لن تقتلانا.

قالت (غادة) في لهجة توحي بالضجر:

- إنك تضيع وقتك يا (نديم).. دعني أتبع معهما الأسلوب نفسه، الذي اتبعته مع الرجال الثلاثة، في القضية السابقة، سأطلق النار على رأس أحدهما، فيعترف الآخر على الفور.

كانت مخادعة في كل ما تقول، إلا أن عبارتها جمدت الدماء في عروق الرجلين، خاصة عندما رفعت مسدسها إلى رأسيهما، مستطردة:

- هيا.. من منكما يفضل الموت مع حماية زعيمه؟

هتف أحدهما في رعب:

- لا تقتليني يا سيدتي.. أرجوك.. سأخبرك بكل ما نعرف.. لقد أرسلنا (وجيه).. (وجيه شعبان).. وأقسم أننا لا نعلم شيئًا عن سبب قتلكما، أو حتى من يرغب في هذا، ف (وجيه) يتلقى الطلب، ويختار من ينفذه منا.. أقسم لكما أن هذا كل شيء.

تبادل (نديم) و(غادة) نظرة، تحمل الكثير من المعاني، ثم سأل (نديم) الرجل:

- وأين نجد (وجيه) هذا؟

أجابه الرجل:

- لست أدري.. أقسم أنني لست كاذبًا، فنحن نتلقى الاسم والعنوان هاتفيًا، ثم نحصل على نقودنا بالبريد، بعد التنفيذ.

تبادل (نديم) و(غادة) نظرة أخرى، ثم قال (نديم):

- حسنًا.. لن نقتلكما.

تنهد الرجلان في ارتياح، إلا أن الرعب لم يلبث أن عاد إلى قلبيهما، عندما أضاف في صرامة، وهو يرفع سماعة الهاتف:

- سنكتفي بتسليمكما للعدالة.

سألته (غادة):

- هل سنتصل بالشرطة حقًا؟

أجابها في حزم:

- بالطبع.. هكذا ينبغي أن يفعل (نديم فوزي)، فهو ليس (العقرب).. أليس كذلك؟

ابتسمت قائلة:

- بلى.. إنه ليس (العقرب).

وعادت تصوب مسدسها إلى الرجلين في هدوء..

• • •

نفث العقيد (مجدي) دخان سيجارته في عصبية، وهو يتابع ببصره سيارة الشرطة، التي ابتعدت حاملة المجرمين، ثم التفت إلى (غادة)، وقال في حدة:

- يبدو أنك تسرفين كثيرًا في استخدام مسدسك هذه الأيام.

أجابته ساخرة:

- هل كنت تفضل أن أستخدمه لطلاء شفتي؟

أجابها محتدًا:

- نعم، فربما تحسنين استخدامه حينذاك.

ثم أشار إليها، مستطردًا في غضب:

- أما بالنسبة لي، فسأسعى لرفض تجديد ترخيص حمل السلاح، الذي تملكينه، في المرة القادمة.

هزت كتفيها في لا مبالاة، وقالت:

- يمكنك أن تحاول على الأقل.

كان يشعر بالغيظ، كلما تحدث إليها؛ لذا فقد تحول إلى (نديم)، وسأله في خشونة:

- هل لك أن تخبرني، لماذا حاول هذان الوغدان قتلك؟

أجابه (نديم) في برود:

- لا يمكنني أن أخبرك.

سأله في غلظة:

- لماذا؟

أجاب (نديم):

- لأنني كنت أنتظر الجواب منك.

هتف (مجدي) مستنكرًا:

- مني أنا؟!

أجابه (نديم):

- بالطبع، فأنت رجل الشرطة، وأنا مجرد مدني، تعرض لمحاولة قتل متعمدة في مكتبه، من شخصين استقبلهما كعميلين عاديين، والمفروض أن يقدح الشرطي زناد فكره، ويجمع التحريات، ويستجوب الجميع، ثم (يطرقع) إصبعيه، ويلقي حل كل الغموض على مسامع الجميع.

استمع إليه (مجدي) مشدوهًا، ثم هتف:

- أين رأيت رجال الشرطة يفعلون هذا؟

أجابه (نديم) بجدية بالغة:

- على شاشة السينما.

أطلقت (غادة) ضحكة عالية في حين عقد (مجدي) حاجبيه في غضب، وكرر عبارته الشهيرة:

- ستّسقط في يدي يومًا ما يا (نديم)، وسأثبت أنك..

أكملت (غادة) في سرعة:

- و(العقرب) شخصيتان لرجل واحد.. أليس هذا ما أردت قوله يا عزيزي (مجدي)؟

احتقن وجهه، وهو يرمقها بنظرة نارية، فأضافت ساخرة:

- معذرة، ولكن حتى الأغبياء يمكنهم حفظ العبارات التي تتكرر على نحو مثير للملل.

قال (مجدي) في غضب:

- ولكنهم يبكون عندما تتحول إلى حقائق.

وكعادته أيضًا، اندفع مبتعدًا في سرعة، فقالت (غادة):

- كم يبدو لي صديقنا (مجدي) مكررًا ومملاً.

قال (نديم)، وهو يقودها إلى داخل البناية:

- دعك من (مجدي) الآن، وأخبريني.. ما الذي يوحي إليك به ما حدث؟

أجابته، وهي تصعد إلى جواره درجات السلم:

- إنهم يحاولون قتلنا.

هز رأسه نفيًا، وقال:

- هناك ما هو أخطر.. لقد أدرك أحدهم، بوسيلة أو بأخرى، أن (نديم) و(العقرب) هما شخص واحد.

توقفت هاتفة:

- يا إلهي! هذا صحيح.. كيف لم أنتبه إليه؟

قال في هدوء:

- ربما احترقت دائرة (ترانزستور) في غريزتك الأنثوية.

هتفت:

- هل تمزح؟ أم أن هذا مجرد هلوسة سمعية؟

تجاهل تعليقها، وقال:

- المهم أن هذا يعني أن الحرب لم تعد موجهة إلى (العقرب) وحده، الذي يستطيع أن يختفي وقتما يحلو له.. بل لقد أصبح القتال على الجبهتين، وهذا أمر بالغ الخطورة، خاصة عندما نواجه عصابة عنيفة شرسة كهذه.

سألته في قلق:

- وماذا علينا أن نفعل الآن؟

تطلع طويلاً إلى عينيها، ثم أجاب في حسم:

- سنتبع خطة (نابليون) يا عزيزتي، وسنستخدم أفضل وسيلة للدفاع عن أنفسنا.

وبدا صوته أشبه بكتلة من الصرامة والحزم، وهو يستطرد:

- الهجوم.

• • •

العصابـــة

13- الخطـــة..

فركت زوجة الدكتور (جمال) كفيها في عصبية، وهي تراقب زوجها، الذي راح يعد حقيبته في توتر، وحاولت أن تخفي نبرة الخوف في صوتها، وهي تسأله:

- أمن الضروري أن تسافر؟

أجابها، وهو يحشر ملفًا أخيرًا داخل الحقيبة، ثم يغلقها في إحكام:

- نعم.. لقد بدأت الغيوم تحيط بالأمر، وأشعر أن كل شيء سينكشف هذه المرة، والأفضل أن أرحل قبل أن نخسر كل شيء.

قالت في خوف، وهي تنظر إلى ساعة يدها، التي أشارت إلى الثانية:

- ولكنها ليست أول مرة.. هل نسيت كيف تعرضتم لفحص كامل، من كل أجهزة الدولة، دون أن يكشف أحدها لعبتكم؟ إنكم ستتجاوزون الأزمة هذه المرة أيضًا.

هز رأسه في عنف، وقال:

- لا.. الأمر يختلف اختلافًا ضخمًا، ففي المرة السابقة كنا نواجه القانون، الذي يحتم وجود أدلة مادية، لإلقاء القبض على أي متهم، أما في هذه المرة، فنحن نواجه عدوًا مجهولاً، لا يبالي بالنظم والقوانين، ويسعى لتحطيمنا بأي ثمن.

قالت في ضراعة:

- يمكنك أن تبقى و...

قاطعها في عصبية:

- لماذا؟ ما المبرر للبقاء؟ لقد جمعنا ثروة طائلة، تبلغ عشرة ملايين دولار، في بنوك (سويسرا)، بالإضافة إلى المستشفى الخاص، الذي يمكنك بيعه بأربعة ملايين على الأقل، فلماذا أبقى؟ حتى أقع في قبضة الشرطة وأخسر كل شيء؟

حمل حقيبته، واندفع نحو الباب، وهو يستطرد:

- ولقد كنت أستعد لمثل هذا اليوم.. كنت أعلم أنه سيأتي حتمًا، مهما طال الزمن.. إنني أحمل جواز سفر آخر، لا تحتاج المهنة المدونة به إلى موافقة جهة عمل، للسفر خارج البلاد، وسأسافر بعد ساعتين إلى (سويسرا)، وستلحقين بي، بعد بيع المستشفى، وهناك سنحيا حياة الملوك، دون خوف أو قلق.

تبعته في خطوات أقرب إلى العدو، وهي تقول:

- ولكن ماذا عن الآخرين؟ فرارك قد يكشف أمرهم.

لوح بذراعه كلها، صائحًا:

- فليذهبوا إلى الجحيم.

توقفت عند باب الفيلا، وهو يسرع إلى سيارته، قائلاً:

- إلى اللقاء.. سأنتظرك في (جنيف)، في أسرع وقت ممكن.

لوحت بكفها، وغمغمت وهو ينطلق بالسيارة:

- سأحاول.

ثم انحدرت من عينيها الدموع..

أما (جمال)، فلم يكن في قلبه مكان للعواطف، في هذه اللحظة، بل كان ينطلق بسيارته في عصبية، وهو يحدث نفسه، قائلاً:

- نعم.. فليذهب الجميع إلى الجحيم.. حتى زوجتي السخيفة هذه، لو استطاع الشياطين احتمالها.. لقد سئمت كل شيء، وسأكون الرابح الوحيد، عندما تنقلب المائدة عليهم.. فليرفضوا الفرار، لو شاء لهم أن يفعلوا، أما أنا فسأرحل، وأربح، و...

ارتجف جسده في رعب، عندما ارتفع من المقعد الخلفي لسيارته صوت صارم، يقول:

- أأنت واثق؟

رفع (جمال) عينيه إلى مرآة السيارة في رعب، ثم ضغطت قدمه كامح السيارة في عنف، ولم تكد السيارة تتوقف حتى فتح بابها، وحاول أن يعدو هاربًا منها، وهو يصرخ:

- لا.. لا..

ولكن قبضة القناع الأسود، الذي رآه في مرآة سيارته، أمسكه من عنقه بقبضة حديدية، وهو يقول:

- لم يحن وقت الفرار بعد.

أعاده (العقرب) إلى السيارة قسرًا، وأجلسه على مقعد القيادة وهو يستطرد:

- هيا يا رجل.. سنتنزه معًا بعض الوقت.. انطلق بالسيارة.

تساقطت الدموع من عيني (جمال)، وهو ينطلق بالسيارة، قائلاً:

- الرحمة أيها (العقرب).. إنني لم أفعل شيئًا.. لم تكن فكرتي أبدًا.. لقد أقنعوني بها و...

لم يستطع إكمال عبارته، وإنما أخذ ينتحب فجأة كالأطفال، فقال (العقرب) في صرامة:

- جفف دموعك يا رجل، وقد السيارة كما ينبغي.

جفف (جمال) دموعه، ولكنه ظل ينتحب، وهو يقول:

- أرجوك أيها (العقرب).. هناك طائرة ستنطلق إلى (سويسرا) بعد ساعتين، وأنا مستعد لدفع ما تطلبه، حتى تتركني ألحق بها.

سأله (العقرب) في هدوء:

- كم يمكنك أن تدفع؟

أجابه في لهفة:

- مائة ألف جنيه.

أجابه (العقرب):

- يا له من رقم تافه!

هتف) جمال):

- فليكن.. سأمنحك عشرة أضعاف هذا المبلغ.. مليون جنيه دفعة واحدة.. بل مليون دولا ر.. ما رأيك بمليون دولار؟

سأله (العقرب) في اهتمام:

- وماذا لو قلت إنني أطلب ما هو أكثر؟

هتف (جمال) في ضراعة:

- سأمنحك أي شيء تطلبه.. سأمنحك مليونين.. بل ثلاثة.. بل...

قاطعه (العقرب) في غضب:

- عجبًا! هل تربح القذارة كل هذه الملايين؟

عادت الدموع تسيل من عيني (جمال)، وهو يقول:

- أرجوك..

قال (العقرب) في صرامة:

- لو أنك تسأل عن الثمن، فهناك ثمن واحد، يمكنني أن أقبله.

سأله (جمال) في لهفة:

- ما هو؟

أجاب (العقرب):

- الوسيلة.

شحب وجه (جمال)، وارتجف صوته، وهو يغمغم:

- أية وسيلة؟

قال (العقرب)، في لهجة جمدت لها دماء (جمال):

- الوسيلة التي تسرقون بها البترول.

انفغر فاه (جمال)، وهو يحدق في مرآة السيارة، التي تنقل إليه صورة (العقرب)، من المقعد الخلفي، وظل صامتًا برهة، قبل أن ترتجف شفتاه، ويتراقص قلبه بين ضلوعه هلعًا، وهو يقول:

- التي نسرق بها البترول؟!

قال (العقرب) في لهجة مخيفة:

- إنني أكره إضاعة الوقت.

ازدرد (جمال) لعابه في صعوبة، وبذل جهدًا ليقول:

- نحن لا نسرقه بالمعنى المفهوم، وإنما...

توقف عن الاستطراد، وكأنما يعجز عن كشف السر، فقال (العقرب) في صرامة:

- قلت إنني أكره إضاعة الوقت.

أجاب (جمال) في سرعة:

- حسنًا.. حسنًا.. الواقع أنني المسئول تقريبًا عن هذا؛ ولذلك كنت أحصل دائمًا على نسبة أعلى من الآخرين.. صحيح أنها لا تبلغ نسبة (كامل) بك، ولكنها...

قاطعه صرير إطارات سيارة مباغت، قبل أن تنحرف سيارة ضخمة نحو سيارته، فصرخ:

- لا.. لا تقتلوني.

ومع صرخته مال بالسيارة بحركة غريزية، فصاح به (العقرب):

- احترس.

ولكن السيارة اصطدمت بالإفريز، وقفزت فوقه على نحو خطر، ثم ارتطم جانبها بجدار ضخم، ودفع الاصطدام رأس (جمال) إلى الأمام، فاصطدم بزجاج السيارة الأمامي في عنف، ثم سقط على مقعده فاقد الوعي..

وبسرعة تحرك (العقرب)..

كان يعلم أن هذا التصادم مقصود، وأن قاصديه سيهرعون إلى السيارة؛ للتأكد من نتائج عملهم..

وسيجدونه داخلها..

بلا سلاح..

وكان من المحتم أن يقاتل..

مهما كان الثمن..

وبسرعة نزع (نديم) قناعه وقفازيه، ودسهما في جيبي سرواله، وانتظر حتى اقترب وقع الأقدام من السيارة، ثم دفع بابها بحركة مباغتة، وقفز خارجها..

ورأى (نديم) أمامه رجلاً أعزل، تراجع في دهشة، عندما وقع بصره عليه، فأسرع يهاجمه هاتفًا:

- من الواضح أنك لم تتوقع وجودي.

ثم هوى على فكه بلكمة عنيفة، مستطردًا:

- وهنا تكمن المفاجأة.

تلقى الرجل لكمة لم يكن يتوقعها، فدار حول نفسه دورة كاملة، ثم سقط على وجهه فاقد الوعي..

وتوقف (نديم)، هاتفًا:

- يا إلهي! لقد انتهت المعركة بأسرع مما كنت أتوقع.

ولكنه فوجئ بصوت غاضب يقول:

- من قال هذا؟

رفع عينيه بسرعة إلى مصدر الصوت، ورأى ذلك الرجل الآخر، الذي غادر السيارة، ووقف يصوب إليه مسدسه..

ويضغط الزناد..

• • •

العصابـــة

14- سقـــوط..

توقفت سيارة (كامل شكري) الفارهة، أمام فيلا الدكتور (حمال)، وهبط سائقها بسرعة، وانحنى انحناءة كبيرة، وهو يفتح بابها الخلفي لـ (كامل)، الذي غادرها في وقار، وعبر بوابة الفيلا في خطوات هادئة بطيئة، حيث استقبلته زوجة (جمال)، وهي تفرك كفيها بنفس الحركة العصبية، وسألته في لهفة:

- هل لحقتم به؟

ابتسم (كامل)، وهو يجيبها في هدوء:

- اطمئني يا سيدتي.. لقد أرسلت بعض الرجال خلفه، والبعض الآخر في المطار؛ لمنعه من السفر.. لقد أحسنت صنعًا بالاتصال بي، قبل أن ينجح ذلك الغبي في الفرار.

قالت في توتر:

- كان سيفسد كل شيء.. فراره يعني أن تتوقف العملية كلها، أو ينكشف الأمر.

أومأ (كامل) برأسه إيجابًا، وقال:

- لست أظن هذا.

ثم انتقى أفضل مقاعد الردهة الوثيرة، وجلس فوقه، ووضع إحدى ساقيه فوق الأخرى، واستطرد بابتسامة لزجة:

- عندما وضعت خطتي العبقرية هذه، لم أغفل هذا الاحتمال يا سيدتي.. احتمال توقف أحد أفراد الفريق عن العمل، لسبب أو لآخر، ولقد وضعت في الخطة احتمالات بديلة.

سألته في فضول:

- مثل ماذا؟

أجابها في زهو :

- أفضل الحفاظ على هذا السر وحدي.

ثم لوح بكفه، واستطرد:

- وخاصة عندما يكون الطرف الراغب في معرفته سيدة؛ فالسيدات لا يمكنهن حفظ الأسرار.. أليس كذلك؟ السر بالنسبة لهن إما أصغر مما ينبغي، فلا يستحق الحفاظ عليه، أو أكبر مما ينبغي فلا يستطعن كتمانه.

قالها وقهقه ضاحكًا، وكأنما راقت له دعابته، فمطت السيدة شفتيها في امتعاض، وقالت في غيظ:

- هل تملك القدرة على الضحك في مثل هذه الظروف؟

هز كتفيه، قائلاً:

- ولمَ لا؟ مازلت أملك كل الخيوط يا سيدتي، وسأنتظر عودة رجالي بزوجك؛ لألقنه الدرس الذي يحتاج إليه.

وعلى الرغم من ابتسامته، شعرت زوجة (جمال) بالخوف، وهو يستطرد:

- وسيكون درسًا قاسيًا.. قاسيًا جدًا.

• • •

لم يكد (نديم) يلمح ذلك المسدس، المصوب إليه، حتى مال جانبًا في سرعة، ثم انحنى متفاديًا رصاصة لم تنطلق، واندفع نحو الرجل.. والواقع أن الرجل قد أصيب بالذهول..

لقد صوب مسدسه إلى العشرات، ورآهم جميعًا يرتجفون أمام فوهته القاتلة، ويتلعثمون، ويبكون، وينهارون، ولكنه لم يشاهد أبدًا من ينقض عليه بهذه السرعة، وكأنما يسعده تلقي رصاصة في صدره..

ولقد أفاد هذا الذهول (نديم) كثيرًا..

فالرجل لم يضغط الزناد..

تجمدت سبابته، في طريق اعتصار الزناد، فلم تنطلق الرصاصة، حتى بلغه (نديم)، واستجمع قوته كلها في قبضته، وهوى بها على فك الرجل، في لكمة كالقنبلة، ارتج لها كيان الرجل كله، قبل أن يرتطم ظهره بالسيارة، ثم يسقط على وجهه فاقد الوعي..

ولكن الأمر لم ينته عند هذه النقطة..

لقد سقط الرجل أرضًا، في نفس اللحظة التي توقفت فيها سيارة من سيارات الشرطة إلى جوار (نديم)، وقفز رجالها يصوبون أسلحتهم إليه، فرفع ذراعيه في هدوء، وهو يقول:

- مهلاً.. لقد هاجمني هذان الرجلان، وكنت أدافع عن نفسي.

أجابه الضابط في صرامة:

- ستقول هذا في أوراق التحقيق، أما الآن فأنا ألقي القبض عليك.

وبسرعة أحاطت الأغلال بمعصمي (نديم)..

(العقرب)..

• • •

هتف (مجدي) في وجه الرائد (حسن) بعصبية:

- إنها المرة الثانية، التي توقظني فيها من نومي، بعد الثانية والنصف صباحًا يا (حسن).

قال (حسن) في لهفة:

- الأمر واحد أيضًا في الحالتين يا سيدي.

انتفض (مجدي) وهتف:

- (العقرب)؟!

أجابه (حسن):

- بل (نديم).. (نديم فوزي).

واستدرك في سرعة:

- لو أنه هو (العقرب).

عقد (مجدي) حاجبيه في شدة، وهو يسأله:

- ماذا عن (نديم)؟ هل أصابه مكروه؟

مال (حسن) نحوه، وقال:

- لقد وقع في قبضتنا.

أمسك (مجدي) كتفيه، وهو يسأله في انفعال:

- ماذا تعني؟

أجابه (حسن) مبتسمًا:

- لقد ألقت سيارة شرطة النجدة القبض على شاب، يرتدي الملابس السوداء، مع رجلين يحمل كل منهما مسدسًا، وهذا الشاب هو (نديم).

برقت عينا (مجدي)، وهتف:

- ملابس سوداء.

ثم صاح بـ (حسن)، وهو يسرع إلى حجرة نومه:

- اتصل بهم هاتفيًا يا (حسن)، ومرهم ألا يحاولوا تفتيشه، وليحتفظوا به في حجرة الضابط النوبتجي، حتى أصل إليهم.

وهتف في سعادة ظافرة:

- أخيرًا يا (نديم)، أخيرًا وقعت في قبضتي.

وأطلق ضحكة مزهوة..

• • •

كان لقاء عجيبًا بحق..

لقاء (مجدي) و(نديم)..

اقتحم (مجدي) حجرة الضابط النوبتجي في لهفة، ثم تجمد في مكانه، وهو يتطلع إلى (نديم)، وكأنما صدق الآن فقط أنهم قد أوقعوا به..

وطوال دقيقة كاملة، لم ينطق أيهما بكلمة، أو ينبس بحرف واحد..

ثم كان (نديم) صاحب أول كلمة، مزقت خيل الصمت، وهو يقول:

- كيف حالك يا (مجدي)؟

لم يجبه (مجدي)، بل ظل يتطلع إلى زيه الأسود لحظات، قبل أن يقول، في كلمات اختلطت بتنهيدة ارتياح:

- أخيرًا يا (نديم).

قال (نديم) في هدوء:

- أخيرًا ماذا يا عزيزي (مجدي)؟

ابتسم (مجدي) في سعادة، وقال:

- أخيرًا وقعت بزيك الأسود.

قال (نديم) في برود:

- هل يمنع القانون ارتداء الثياب السوداء؟

لم يغضب (مجدي) هذه المرة..

ملأت نشوة الظفر عروقه، فلم تترك فيها مجالاً لأية مشاعر أخرى.

وفي ارتياح، أجابه (مجدي):

- لا يا (نديم).. القانون لا يمنع هذا، ولكنه يضعك في خانة المتهم الأول، لو عثرنا معك على باقي زي (العقرب).

والتفت إلى الضابط النوبتجي و(حسن)، قائلاً:

- اقتربا.. أحتاج لشاهدين.

اقترب الاثنان منه، فدس يده في جيب سروال (نديم) الأيمن، وهو يقول:

- راقبا ما أخرجه من جيبه.

أخرج القفازين السوداوين، قائلاً:

- هل رأيتما؟

قال (نديم) بنفس البرود:

- أظن القانون لا يمنع ارتداء القفازات السوداء أيضًا.

تطلع (مجدي) إلى عينيه مباشرة، وقال:

- وماذا عن الأقنعة السوداء؟

ابتسم مستطرداً:

- صدقني يا (نديم)، عندما أخرج قناع (العقرب) أو بطاقته من جيبك، في حضور شاهدين، سيعني هذا أن لعبة الشخصية المزدوجة هذه قد انتهت.

لم ينبس (نديم) ببنت شفة، وإنما أطل القلق من عينيه واضحًا، في حين مد (مجدي) يده نحو جيب السروال الآخر، وهو يقول:

- الآن يا (نديم).. الآن تحين النهاية.

وكان على حق..

عندما يخرج القناع، تكون النملة قد حانت..

نهاية (العقرب)..

• • •

العصابـــة

15- المواجهة..

لم يكد رنين الهاتف يرتفع، في ردهة فيلا الدكتور (جمال)، حتى قفز (كامل شكري) إلى الهاتف، وانتزع سماعته، قائلاً في انفعال واضح:

- من المتحدث؟

كان من الواضح أنه يستمع إلى من كان ينتظره، فقد اعتدل جسده، وأمسكت أصابعه السماعة في قوة، وهو يقول:

- نعم.. هو أنا.. لماذا لم تصل حتى الآن يا (وجيه)؟

انعقد حاجباه في قوة، نبض لها قلب زوجة (جمال) بسرعة كبيرة، وكادت أصابعه تعتصر سماعة الهاتف، وهو يصرخ:

- الشرطة؟! وكيف تدخلت الشرطة؟

تقافز الغضب في كل خلجة من خلجاته، وهو يواصل:

- (العقرب)؟! مرة أخرى (العقرب).. من أين يأتي ذلك الشيطان؟ ألم توقفه إصابة ساقه بعد؟

استمع إلى محدثه بضع لحظات في صمت، فاقتربت منه زوجة (جمال)، في قلق وفضول، تسأله:

- ماذا حدث يا (كامل) بك؟! ماذا حدث؟

تجاهلها تمامًا، وهو يقول لـ (وجيه):

- لا بأس.. استمر مع رجالك في مراقبة قسم الشرطة، حتى يغادره (جمال) و(نديم) هذا، ونفذ أوامري بشأنهما، في الوقت المناسب.

أعاد سماعة الهاتف إلى موضعها، فعادت زوجة (جمال) تسأله في قلق:

- ماذا حدث؟

أشعل سيجاره، ونفث دخانه في عصبية، قبل أن يجيبها:

- لقد اختبأ (العقرب) في سيارة زوجك؟

اتسعت عيناها في ذعر، وهي تقول:

- عقرب؟! أهو عقرب سام؟ هل لدغ (جمال)؟

انعقد حاجباه في ضيق، وتذكر أنها لا تعلم شيئًا عن (العقرب)، فمط شفتيه في ازدراء، وأجابها وهو يشيح بوجهه:

- إنه مجرد مصطلح، نطلقه على شخص يحاول عرقلة عملنا.

هتفت في هلع:

- شخص؟! أهو أحد رجال الشرطة؟

أجابها في ضيق وضجر:

- لا.. إنه ليس كذلك.

زفرت في ارتياح، وقالت:

- يمكننا أن نرشوه إذن.

رمقها بنظرة ضيق، فارتبكت مستطردة:

- أو نقتله.

مط شفتيه مرة أخرى، وقال:

- دعك من هذا يا سيدتي.. كل ما في الأمر أن زوجك قد تعرض لمخالفة بسيطة، وسيعيده رجالنا إلى هنا، بعد أن ينتهي من سدادها.

ثم شرد ببصره، مستطردًا:

- وبعدها سيقومون بعمل آخر، يخلصنا من هذا الـ..

صمت لحظة، ثم أضاف بكل المقت والكراهية في أعماقه:

- هذا (العقرب).

• • •

لم يكن هناك، في الأرض كلها، من هو أكثر سعادة من العقيد (مجدي)، في هذه اللحظة بالذات..

لقد أوقع بـ (نديم)، وها هو ذا يحتجزه داخل حجرة الضابط النوبتجي، في أحد أقسام الشرطة، ويده تمتد لتنتزع قناع (العقرب) وبطاقته من جيب الزي الأسود، الذي يرتديه (نديم)، و..

فجأة حدث الاقتحام..

اقتحمت (غادة) حجرة الضابط النوبتجي في عنف، وخلفها حارس الحجرة، يحاول منعها في خوف وتوتر..

وتوقفت يد (مجدي)، قبل أن تلمس جيب (نديم)، واعتدل في حركة سريعة، في حين التفت الرائد (حسن) إلى (غادة) في دهشة، وهب الضابط النوبتجي من مقعده، هاتفًا في غضب:

- ما هذا؟ ما الذي يحدث هنا؟

أجابته (غادة) في غضب مماثل:

- أنا (غادة)، المحامي الخاص للأستاذ (نديم فوزي)، وأحب أن أحذركم من أنكم ترتكبون أكبر خطأ قانوني في حياتكم أيها السادة.

عقد (مجدي) حاجبيه في غضب، في حين هتف الضابط النوبتجي:

- أي خطأ هذا؟ إننا نقوم بتفتيش رجل، تم إلقاء القبض عليه، أثناء شجار في الطريق، استخدم فيه أحد المتشاجرين مسدسًا.

كان حارس الحجرة قد توقف في قلق، منتظرًا أوامر الضابط، بشأن تلك التي اقتحمت الحجرة، فأشار إليه الضابط بالانصراف، و(غادة) تعقد ساعديها أمام صدرها، قائلة:

- ولكنكم ألقيتم القبض على ذلك الذي استخدم المسدس، وحصلتم على مسدسه بالفعل، ومن حقكم استجواب (نديم)، ولكن ليسّ من حقكم تفتيشه.

التفت إليها (مجدي)، وهو يقول في حدة:

- أخطأت أيتها الساذجة، فقانون الطوارئ يبيح لي حق تفتيش أي مواطن، وفي أية لحظة من لحظات الليل والنهار لمجرد الاشتباه.

- ابتسمت في ثقة، قائلة:

- ليس إذا كانت بينك وبينه خصومة شخصية.

قال في عصبية:

- أية خصومة شخصية، إنه مجرد متهم، أو مشتبه فيه، و..

قاطعته في صرامة:

- وماذا؟ كان المفروض أن يستجوبه الضابط النوبتجي، أو حتى يقوم بتفتيشه، ولكن إيقاظك من نومك، وحضورك العاجل إلى قسم شرطة لا يخصك، ومحاولتك تفتيش المشتبه فيه بنفسك، كلها عوامل تؤيد وجود خصومة شخصية بينك وبينه، خاصة عندما نضيف إلى هذا صراعك الشخصي معه، عندما كان يعمل في الشرطة.

هتف الضابط النوبتجي في دهشة:

- في الشرطة؟ أهل كان السيد (نديم) زميلاً لنا فيما مضى؟

أجابته في سخرية:

- أتعني أن العقيد (مجدي) لم يخبرك بهذا؟

لم يجب الضابط، وإنما رمق (مجدي) بنظرة ضيق صامتة، جعلت (مجدي) يقول في حدة عصبية:

- فليكن أيتها الأفعى القانونية، سأتجاهل كل ما سمعته منك الآن، وسأقوم بتفتيش (نديم)، و...

قاطعته في سخرية:

- فليكن.. تجاهل ما يحلو لك، ولكن لتعم أولاً أنني لم أكتف بالقدوم إلى هنا.. لقد أبرقت بالأمر إلى وزير الداخلية، وإلى اللواء (حلمي)، ورئيس الجمهورية، و..

راحت تعدد الجهات الرسمية، التي أبرقت إليها بالأمر، حتى شحب وجه الضابط النوبتجي، وهو يقول:

ولكن لماذا كل هذا؟ إننا نتبع القانون، ولن نتجاوزه قط..

لم يكن (نديم) قد نطق بكلمة واحدة، منذ اقتحمت (غادة) الحجرة، وكان يكتفي بمراقبتها في هدوء كعادته، ولكنه خالف هذه القاعدة، وقال في هدوء شديد، عند هذه النقطة:

- وأنا كذلك أسعى لتحقيق العدالة أيها الزميل.

التفت إليه الجميع في دهشة، وعقدت (غادة) حاجبيها في قلق للعبارة، في حين هتف (مجدي) في لهفة:

- أيعني هذا أنك ستدلي باعترافك؟

سأله (نديم) في هدوء:

- أي اعتراف؟

أجابه في انفعال:

- الاعتراف بأنك (العقرب).

خيل لـ (غادة) أنها قد لمحت شبح ابتسامة، على جانب شفتي (نديم)، وهو يقول:

- هذا اعتراف جيد منك، بأن (العقرب) يسعى لتحقيق العدالة، يا عزيزي (مجدي)، ولكن ما أقصده لم يكن الاعتراف، وإنما التعاون.

قال (مجدي) في حذر:

- التعاون؟!

أجابه (نديم) في هدوء:

- نعم يا عزيزي (مجدي).. التعاون.. سأسمح لكم بتفتيشي، حتى لو كان هذا مخالفًا

للقانون.

هتفت (غادة) في دهشة:

- (نديم)!

ولكنه قال في حزم:

- إنني أعلم ما أفعل يا (غادة).

وواجه (مجدي)، مستطردًا:

- هيا يا (مجدي).. قم بتفتيشي.

تردد (مجدي) لحظة، أمام هذا التحدي المباشر، ثم لم يلبث أن انقض على جيب (نديم)، قائلاً:

- نعم.. سأفعل.. لقد وافق أمامكم.. أليس كذلك؟

ولكن الجيب كان خاليًا..

كل جيوب (نديم) كانت كذلك..

وفي دهشة وحنق، هتف (مجدي):

- أين القناع إذن؟

أجابته (غادة) في سخرية:

- في عقلك وحده أيها العقيد.

مضت لحظة ثقيلة من الصمت، و(مجدي) يحدق في وجه (نديم) الجامد في توتر بالغ، قبل أن يقول (مجدي) في غضب ثائر:

- أين أخفيته؟

سأله (نديم) في برود:

- ما هذا الذي تعنيه؟

انقض (مجدي) على (نديم)، وجذبه من قميصه في عنف، وهو يصرخ في وجهه:

- اسمع يا (نديم).. إنني لن أسمح لك بـ...

قاطعته (غادة) في غضب:

- إنك تتجاوز حقوقك القانونية يا (مجدي).

أما الضابط النوبتجي، فقد قال في توتر:

- معذرة يا سيادة العقيد، ولكنني لن أقبل حدوث تجاوزات في القسم، في فترة نوبتجيتي.

كاد الغضب ينفجر من وجه (مجدي)، أمام كل هذه الضغوط، وشعر الرائد (حسن) أنه من الممكن أن يورط (مجدي) نفسه في مشاكل قانونية عسيرة، فقال في قلق، وهو يربت على كتفه:

- لا بأس يا سيادة العقيد.. دعنا ننصرف الآن، و..

قاطعه (مجدي) في صرامة:

- لا.. ليس الآن.

ثم دفع (نديم) عنه، والتفت إلى الضابط النوبتجي، يسأله:

- هل استجوبته؟

أجابه الضابط:

- نعم.. ولقد قال إنه كان يسير وحده في الطريق، عندما شاهد سيارة تهاجم أخرى، ويحاول رجلان من السيارة الأولى قتل رجل فاقد الوعي، أصيب من ارتطام السيارة الثانية بجدار على جانب الطريق، فتدخل محاولاً إنقاذ الرجل.

سأله (مجدي):

- ومن هذا الفاقد الوعي؟

أجابه الضابط:

- لقد استعاد وعيه، ولكنه متوتر الأعصاب بشدة، يطالبنا طيلة الوقت بتركه، ويؤكد في كل لحظة أنه لن يتقدم بشكوى ضد أحد، و...

قاطعه (مجدي) في حدة:

- سألتك من هو؟

لم يرقَ هذا الأسلوب للضابط النوبتجي، ولكنه أجاب في ضيق:

- إنه الدكتور (جمال).. صاحب المستشفى الخاص، والمدير العلمي والفني لشركة (.......) للبترول، و...

هتف به (مجدي) مقاطعًا:

- شركة البترول.

ثم التفت إلى (نديم)، وقال في صرامة:

- لماذا هذه الشركة بالذات؟

سأله (نديم) في هدوء:

- ماذا تقصد؟

أجابه في حدة:

- أقصد أن (العقرب) قد هاجم اثنين من مديري شركة البترول نفسها، في يومين متتاليين، فما الذي يسعى إليه، بشأن هذه الشركة بالذات؟

هز (نديم) كتفيه، وقال في برود:

- يمكنك أن تسأله.

مضت لحظات، وكلاهما يواجه الآخر بنظرات نارية متحدية، قبل أن يقول (مجدي) في صرامة:

- فليكن يا (نديم).. ستنعكس اللعبة، وسأعمل بنفسي على إطلاق سراحك هذه المرة، ولكن لتعلم أنني أمسكت طرف الخيط، وعرفت ما الذي يسعى إليه (العقرب) هذه المرة.. أو على الأقل أين يسعى، وسأضيق عليه الخناق، حتى أوقع به متلبسًا، وعندئذ سأفعل ما أتمناه منذ زمن.

وأطبق قبضته، مستطردًا في غضب:

- سأسحقه..

وكان يعني ما يقول..

• • •

العصابـــة

16- المجرمون..

مرة أخرى قفز (كامل شكري) يلتقط سماعة الهاتف، في ردهة منزل الدكتور (جمال)، ويضعها على أذنه، هاتفًا:

- من المتحدث؟

انعقد حاجباه كالمعتاد، وهو يستمع إلى محدثه في صمت، قبل أن يقول:

- حسنًا.. اترك أحد الرجال لمراقبة القسم، وانطلق بنفسك خلف المحامي والفتاة.

قالها وأعاد السماعة إلى موضعها في عنف، وعاد ينفث دخان سيجاره في توتر وعصبية، فاقتربت منه زوجة (جمال)، وهي تفرك فيها في عصبية، قائلة:

- ماذا حدث؟ هل (جمال) بخير؟

لوح بكفه، قائلاً:

- مازالوا يحتجزونه في القسم، وأنا أجهل لماذا، ولكنهم أفرجوا عن (العقرب) وزميلته، و..

قاطعته في انزعاج:

- هل أطلقوا سراح (العقرب)؟!

زفر في حنق، وهو يدرك جهلها تمامًا بما تقول، في حين استطردت هي:

- ألا يعرضنا هذا للخطر؟! أليس من الأفضل أن..

قاطعها هذه المرة، وهو يتجه نحو الباب، قائلاً في صرامة:

- انتظري عودة زوجك يا سيدتي، وأبلغيني هاتفيًا فور عودته.

هتفت به:

- وماذا لو حاول الفرار مرة أخرى؟

أجابها في غلظة:

- فليذهب إلى الجحيم.

وغادر الفيلا في عصبية بالغة، تاركًا الزوجة خلفه في حيرة، وصفق الباب في عنف، ثم دلف إلى سيارته، وهو يقول لسائقه في حدة:

- هيا.. دعنا ننصرف من هذا المكان اللعين.. هيا..

انطلق السائق بالسيارة في صمت، في حين راح (كامل) ينفث دخان سيجاره في قوة، وفي أعماقه يدور سؤال مخيف متكرر..

لماذا احتجزوا (جمال) وأطلقوا سراح (نديم) و(غادة)؟

لماذا؟



- "أريد أن أعرف لماذا؟".

نطق (جمال) هذه الجملة في عصبية بالغة، وهو يتطلع إلى وجه (مجدي)، الذي بدا له صارمًا غاضبًا، وهو يجيب عن سؤاله في خشونة مخيفة:

- لأنني أحتاج إلى استجوابك يا دكتور (جمال).. ألا يبدو لك هذا جوابًا كافيًا لسؤالك الخاص باحتجازك هنا؟

قال (جمال) في عصبية:

- ولماذا تستجوبني؟ إنني المجني عليه، ولست الجاني!!

أجابه (مجدي) بنفس الخشونة:

- أريد أن أعرف لماذا حاول الرجلان قتلك.

ثم مال نحوه بغتة، مضيفًا:

- ولماذا يطاردك (العقرب)؟

شحب وجه (جمال) في شدة، ولم يغب شحوبه عن عيني (مجدي)، الذي يراقب ردود أفعاله في اهتمام وخبرة، قبل أن يتمتم (جمال) في توتر:

- من (العقرب) هذا؟

ابتسامة (مجدي) امتلأت بالظفر هذه المرة، وتراجع بمقعده، وهو يقول:

- عجبًا! ومن أخبرك أن (العقرب) هذا اسم لشخص وليس مجرد عقرب حقيقي؟

ارتبك (جمال) في شدة، وهو يقول:

- ماذا تعني؟

مال (مجدي) نحوه مرة أخرى في حدة، على نحو أفزع (جمال)، وجعله يتراجع بوجهه في توتر، و(مجدي) يقول بخشونته المخيفة:

- أعني أنك قد استخدمت في سؤالك لفظ (من؟)، ولم تستخدم (ما؟)، وهذا يعني معرفتك أن (العقرب) شخص حي.

مضت لحظة من الصمت، ارتسم الرعب خلالها في عيني (جمال)، قبل أن يقول في عصبية:

- هذا لا يعني شيئًا.. إنه مجرد خطأ لفظي، ولست خبيرًا باللغة العربية لتحاسبني على خطأ كهذا.

رمقه (مجدي) بنظرة غاضبة، قبل أن يتراجع ثانية، ثم ينهض من مقعده، ويدور حول (جمال) في بطء، ثم يسأله من خلف ظهره بغتة:

- ماذا يحدث في شركة البترول يا دكتور (جمال)؟

أدرك أنه قد أصاب هدفه مباشرة، عندما ارتجف جسد (جمال) في شدة، وكاد يسقط من مقعده، لولا أن تشبث به في قوة، وترنح لحظة، ثم أجاب في صوت متحشرج مختنق، يشف عن انفعال جارف:

- ماذا تعني بسؤالك هذا؟ كل شيء في الشركة يسير على ما يرام.. لقد تأكد الجهاز المركزي للمحاسبات من هذا، وراجع بنفسه كل الأوراق، و..

قاطعه (مجدي) في صرامة:

- وماذا عن الأمور الأخرى التي لم يكشف الجهاز المركزي للمحاسبات أمرها؟

صاح (جمال) في حدة:

- أية أمور أخرى؟ هل تتهمني بأشياء محددة أيها العقيد؟ أظن من حقي استدعاء محامي الشركة، في هذه الحالة.

اعتدل (مجدي) وقال في حنق:

- لا.. لست أتهمك بشيء يا دكتور (جمال).. لقد تم استجوابك، ويمكنك الانصراف إلى منزلك الآن.

هب (جمال) من مقعده، وهو يهتف في عصبية:

- بالطبع.. سأرحل على الفور.

واندفع مغادرًا الحجرة، خشية أن يتراجع (مجدي) في قوله، فأشار (حسن) إلى الباب، الذي صفقه (جمال) خلفه، وقال:

- هل أرسل خلفه من يراقبه؟

هز (مجدي) رأسه نفيًا، وقال:

- لا.. من الواضح أن هذا لن يفيدنا كثيرًا.

وصمت لحظة مفكرًا، قبل أن يضيف:

- ولكنني سأبدأ في مراجعة ملف شركة البترول هذه، بحثًا عما يسعى (العقرب) خلفه، وبهذه الطريقة قد يمكننا ضبط مخالفة قانونية رهيبة، و..

صمت لحظة أخرى، ثم أضاف في سخط:

- والإيقاع بـ (العقرب)، في الوقت نفسه...

××××××××××××××××××××××

أطلقت (غادة) ضحكة مرحة، وهي تقود السيارة، والى جوارها يجلس (نديم) في استرخاء، وهتفت في إعجاب:

- يا لها من فكرة بسيطة وذكية يا (نديم) ! كيف خطرت ببالك في القسم؟

أجابها في تراخ، وهو يريح رأسه على المسند الخلفي لمقعده:

- كان الأمر أبسط مما تتصورين، فلقد لاحظت ذلك التجويف المختفي بين النافذة وإطارها، وتظاهرت بالاستناد إلى الإطار، ووضعت القناع والبطاقات داخل التجويف، وبعدها كان من السهل استعادتهما عند انصرافنا.

سألته ضاحكة:

- أكنت تعلم أنهم سيقومون بتفتيشك؟

هز كتفيه، قائلاً:

- كان هذا احتمالاً واردًا بالطبع.

عادت تسأله في مرح:

- ألم تخشَ أن يعثر عليها أحد؟

أجابها في هدوء:

- لا.. لم أخشَ هذا، فالقناع أسود اللون، ولقد أحطت البطاقات به، ووضعته داخل تجويف مظلم، لا يمكن أن ينتبه إليه سواي.

هزت رأسها في إعجاب، واختلست نظرة إليه، قبل أن تقول في هيام:

- هذا هو (نديم) الذي أعرفه، هادئ، وذكي، ودقيق.

كانت واثقة بأنه قد انتبه إلى رنة الحب في قولها، على الرغم من صمته، وتجاهله التام لهذا، واسباله جفنيه، فأضافت في لهجة شبه رسمية:

- والآن.. ماذا تقترح بعد أن فشلت في معرفة السر من (جمال)؟

تطلع إلى ساعته، وقال:

- أقترح أن نحاول الاستفادة بالساعات الثلاث الباقية، قبل مطلع الشمس.

سألته في اهتمام:

- كيف؟

أجابها في هدوء:

- نزور (أشرف) في منزله مثلاً.. إنه يقيم بالقرب من هنا، في الطابق الأخير من بناية ضخمة.

سألته في قلق:

- ألا ترى معي أنها مخاطرة كبيرة؟ لقد تركنا (مجدي) منذ قليل، و..

قاطعها في هدوء:

- هذا بالضبط هو الذي دفعني إلى الاقتراح؛ فلن يتوقع (مجدي) أو أفراد العصابة البترولية أن نضرب ضربتنا الثانية بهذه السرعة، وفي مثل هذه الظروف.

تطلعت إلى مرآة سيارتها، وقالت:

- أخالفك القول هذه المرة، فمن المؤكد أن (مجدي) قد أرسل رجاله خلفنا، وإلا فكيف تفسر وجود هذه السيارة، التي تطاردنا، منذ مغادرتنا قسم الشرطة.

انعقد حاجباه، واعتدل في حركة مفاجئة، ثم أمسك مرآة السيارة، وأمالها لتلائم موقعه، وألقى نظرة طويلة على السيارة الكبيرة، التي تتبع سيارة (غادة)، قبل أن يعيد المرآة إلى موضعها، قائلاً:

- إنه ليس (مجدي).

ألقت نظرة سريعة على المرآة، وقالت في قلق:

- ماذا تعني بأنه ليس (مجدي)؟ أتقصد أن هؤلاء الذين يتبعوننا ليسوا من رجال الشرطة؟

أجابها في هدوء:

- بالطبع.

كادت تهتف به:

- كيف عرفت؟

ولكنه وفر عليها إلقاء السؤال، واستطرد في حزم:

- الشرطة لا تمتلك سيارات فاخرة كهذه، ثم إنها لا ترسل أربعة رجال دفعة واحدة، لمراقبة شخصين، أليس كذلك؟

أومأت برأسها موافقة في قلق، وغمغمت:

- في هذه الحالة أظن أننا في خطر.

أجابها في هدوء:

- بالنسبة إليَّ لست أظن هذا.

كانت السيارة قد اقتربت منهما كثيرًا، عندما أضاف:

- أنا واثق منه.

ولم يكد يتم عبارته، حتى اندفعت السيارة إلى جوارهما، وانحرفت نحوهما انحرافًا حادًا..

وقاتلاً..

• • •

العصابـــة

17- ضربة عند الفجر..

عندما انحرف (وجيه) بسيارته الضخمة، نحو سيارة (غادة) الرياضية، كان يلمح (غادة) وهي تقود السيارة، وكان يتصور أنه سيسحق (غادة) وسيارتها بضربة واحدة، ثم يمضي في طريقه؛ ليزف لـ (كامل شكري) بشرى القضاء على خصمه اللدود..

ولكن (غادة) خيبت ظن (وجيه)..

لقد أدركت على الفور أن (وجيه) سينحرف بسيارته نحوها، فضغطت كامح السيارة في حزم، وخفضت سرعة السيارة على نحو مباغت، جعل سيارة (وجيه) تسبقها بعدة أمتار، ثم تنحرف أمامها في عنف..

وفي صوت قوي، يموج بالحماس، قال (نديم):

- حركة رائعة يا (غادة)، والآن تعلقي بمؤخرة سيارتهم، ولا تسمحي لهم بالعودة إلى جوارنا مرة أخرى.

نفذت ما طلبه منها، وهي تقول في قلق:

- ولكنهم سيطلقون نيران أسلحتهم نحونا من الخلف.

التقط حقيبتها، وانتزع منها مسدسها الصغير، قائلاً:

- ليس عندما أستعير مسدسك.

كان رجال (وجيه) يستعدون لإطلاق النار عليهما من الخلف بالفعل، عندما أطلق هو رصاصة من مسدس (غادة)، انفجر إثرها الإطار الأيمن للسيارة، ودوى صوته كقنبلة في الظلام، وانحرفت سيارة (وجيه) يمينًا في عنف، فهتف (نديم):

- انطلقي إلى يسارهم يا (غادة).. الآن.

أطاعته دون تفكير، وانطلقت إلى يسار سيارة (وجيه)، الذي واجه (نديم) مباشرة، عبر نافذتي السيارتين، فصرخ في غضب:

- لن تفلت أيها الـ..

قاطعه (نديم) برصاصة ثانية، أطلقها على الإطار الأمامي الأيسر للسيارة، فاختل توازنها تمامًا، وأفلتت عجلة القيادة من يد (وجيه)، الذي صرخ:

- أيها الحقير.

ثم انحرفت به السيارة في عنف، وارتطمت بالحائط، ثم توقف محركها تمامًا..

وضغطت (غادة) دواسة الوقود، في محاولة للابتعاد بأقصى سرعتها، ولكنها فوجئت بـ (نديم) يهتف بها:

- توقفي.

انتقلت قدمها، في حركة غريزية إلى كامح السيارة، التي توقف بصرير مفزع، وهتفت (غادة):

- ماذا ستفعل؟

قفز (نديم) من السيارة، هاتفًا:

- أريد ذلك الوغد.

اندفع في خطوات سريعة نحو سيارة (وجيه)، وهو يحمل مسدس (غادة)، واقترب من السيارة في حذر، حتى تأكد من أن ركابها الأربعة فاقدو الوعي، فانتزع (وجيه) من خلف عجلة القيادة، وقيد معصميه خلف ظهره، ثم حمله على كتفه، وعاد به بسرعة إلى سيارة (غادة)، فألقاه على أريكتها الخلفية، وسمعها تهتف:

- ماذا ستفعل به؟

أجابها وهو ينتقل إلى مقعده المجاور لها:

- لو صحت ذاكرتي، فهذا الوغد هو (وجيه سمعان)، أحد أخطر مجرمي (مصر)، منذ عشر سنوات.

سألته وهي تنطلق بالسيارة مبتعدة:

- وماذا ستفعل به؟

أجابها في حزم:

- سأستجوبه.

كان جوابه المقتضب كافيًا، فلاذت بالصمت تمامًا، وواصلت انطلاقها بالسيارة بعض الوقت، ثم سألته في توتر:

أمازلت مصرًا على زيارة (أشرف)؟

تطلع إلى ساعته، ثم أجاب في هدوء:

- لست أظننا سنجد وقتًا أفضل من هذا.

وعاد يسترخي في مقعده..

• • •

كانت ليلة شديدة الملل، بالنسبة لحارس البناية الفاخرة، التي يقيم فيها المهندس (أشرف)، فلقد عاد جميع سكان البناية إلى منازلهم، في وقت مبكر، وأغلق هو الأبواب قبل

منتصف الليل، ولكنه اضطر للبقاء مستيقظًا، مرتديًا زيه الخاص، الذي سلمته إياه شركة الأمن، المسئولة عن البناية، خشية أن يمر أحد مسئولي الشركة، في تفتيش مفاجئ، مثلما حدث منذ أربعة أيام..

ولقد خسر يومين من مرتبه في ذلك اليوم، بسبب عدم ارتدائه السترة الرسمية، وهو غير مستعد لخسارة يومين أخرين..

وفي ضجر، تثاءب الحارس للمرة العشرين، خلال ساعة واحدة، وراح يقلب صفحات المجلة الفنية الحديثة بين يديه، ويطالع صور الممثلين والممثلات في تراخ، حتى سمع صوتًا صارمًا يقول:

- اعتدل يا رجل.

ألقى الرجل مجلته، واعتدل في سرعة، والتفت إلى ذلك الرجل الصارم، صاحب الشارب الأشيب الكث، الذي يرتدي سترة خاصة، تحمل شعار شركة الأمن، والذي قال مستطردًا:

- أتحرس البناية؟ أم تطالع المجلات الفنية؟

ارتبك الحارس، وقال:

- إنها وسيلة لتمضية الوقت فحسب يا سيدي، ولكنني لم أغادر موقعي كما رأيت.

سأله الرجل:

- وماذا عن الطوابق العلوية؟

ازدرد الحارس لعابه، وقال:

- لن يصلها أي مخلوق، ما دمت أحرس المدخل يا سيدي.

مط الرجل شفتيه، وكأنما لم يرقَ له الجواب، ثم أزاح الحارس من أمامه، وقال في صرامة:

- افتح البوابة.

أسرع الحارس يفتح البوابة الأمامية، فعبرها الرجل في هدوء، ثم التفت إليه، قائلاً في صرامة:

- عد إلى عملك.

أجابه الحارس في توتر:

- بالطبع يا سيدي.. بالطبع.

أغلق البوابة خلفه، وراقبه في قلق، حتى أغلق المصعد خلفه، ثم تنهد في عمق، وقال:

- حمدًا لله.. كنت منتبهًا متيقظًا هذه المرة.

وعاد يطالع المجلة في حذر، وهو يختلس النظر إلى المصعد، في انتظار عودة مفتش الشركة، الذي استقل المصعد إلى الطابق الأخير، وهناك نزع شاربه الكث المستعار، ووضع على عينيه قناع (العقرب)، وارتدى قفازيه..

- وبدأ العمل..

وفي هدوء ودقة، راح يعالج رتاج باب شقة (أشرف) الفاخرة، حتى استجاب له الرتاج، وانفتح في صمت، فدفع الباب، ودلف إلى الشقة، وأغلقه خلفه في حرص..

كانت أمامه ردهة واسعة، شديدة الفخامة، تجمع بين الثراء والأناقة، وحسن الذوق، وتزدان جدرانها بلوحات جميلة ثمينة، يحمل بعضها توقيع مشاهير الفنانين المصريين؛ مما جعل (نديم) يتمتم:

- لو أن الشقة كلها بهذه الصورة، فثمنها لن يقل عن ثلاثة ملايين على الأقل.

ثم تقدم نحو ثلاث درجات رخامية، تقود إلى ممر حجرات النوم، وهو يستطرد:

- ولست أظن مرتب (أشرف) يبلغ هذا الحد.

كانت تمتد أمامه، عبر الممر، خمس حجرات للنوم، ولكنه تقدم نحو أبعدها عن الممر في ثقة، ودفع بابها في حذر..

كان يعلم – من تحرياته السابقة – أن (أشرف) يحيا وحده، ويخدمه خمسة من الخدم، يقيم ثلاثة منهم في نفس الشقة، ويعود اثنان إلى منزلهما بعد انتهاء العمل..

وكان يعرف أيضًا في أية حجرة يقيم (أشرف)..

وعبر الحجرة الواسعة الفاخرة، رأى فراش (أشرف) الوثير، وهذا الأخير يرقد فيه نائمًا، فدلف إلى الحجرة، وأغلق بابها خلفه، واتجه إلى الفراش على أطراف أصابعه..

وفجأة سطعت الأضواء في الحجرة، وارتفع معها صوت صارم، يقول:

- هل أخطأت طريقك يا صاح؟

التفت (العقرب) في سرعة إلى مصدر الصوت، ورأى (أشرف) في ركن الحجرة، يصوب إليه مسدسًا ضخمًا، في حين نهض أحد رجاله من الفراش، وصوب بدوره مسدسًا آخر إلى (العقرب)، وهو يقول في سخرية:

لقد وقعت هذه المرة يا (زورو).

وأطبق الفخ فكيه..

• • •

تطلعت (غادة) إلى ساعتها في قلق، وهي تغمغم لنفسها:

- ترى كم يستغرق بلوغ الطابق العلوي والإيقاع بـ (أشرف) هذا؟

لم تكد تتم عبارتها، حتى سمعت آهة ألم، انطلقت من بين شفتي (وجيه)، فالتفتت إليه في حركة حادة، ورأته يعتدل جالسًا، على الأريكة الخلفية للسيارة، وهو يحاول التملص من قيود معصميه في عصبية، قبل أن يتطلع إليها، قائلاً في حدة:

- ماذا فعلت بي؟

أجابته في سخرية:

- كما ترى يا ملك اللصوص.. لقد فقدت الوعي، واستيقظت لتجد نفسك مقيد المعصمين في سيارتي، فما رأيك؟

قال في عصبية:

- رأيي أنك ستدفعين ثمن هذا غاليًا.

أطلقت ضحكة ساخرة قصيرة، وهي تقول:

- كيف؟ بالعملة المحلية أم الصعبة؟

قال في غلظة:

- ما رأيك لو أطلقت صرخات عالية، جذبت رجال الشرطة إلى هنا؟ كيف ستفسرين لهم وجودي داخل سيارتك مقيد المعصمين؟

قالت في برود:

- أشكر لك تحذيري.

وفجأة، وقبل أن ينتبه إلى ما ستفعله، هوت قبضتها على جبهته، فدار رأسه في ألم، وهم بإطلاق سباب ساخط، لولا أن أحاط منديل كبير شفتيه، وشعر بيد (غادة) تعقده في إحكام خلف رأسه، وهي تقول ساخرة:

- كان يمكنك أن تفعل هذا بالطبع.. سابقًا.

راح يضرب المقعد بقدميه في سخط، فرمقته بنظرة صارمة، وهي تقول:

- اسمع.. لو لم تتوقف عن هذه الحركات الصبيانية فسأبتر قدميك دون تردد.. هل تفهم؟

كانت تتحدث بصرامة مخيفة، حتى إنه توقف عن ضرب المقعد بقدميه بالفعل، وتطلع إليها في قلق، فابتسمت قائلة في سخرية:

- حسنًا فعلت.. إنني أحب الصبية المطيعين.

وتطلعت إلى ساعتها، مستطردة:

- على الأقل حتى يعود الصبية الأخيار.

واكتسى صوتها بقلق وخوف مفاجئين، وهي تضيف:

- هذا إذا عادوا..

• • •

كان الموقف دقيقًا بالفعل..

لقد سقط (العقرب) في فخ حقيقي..

فخ أعده له أحد أفراد العصابة، وسقط هو فيه كفر ساذج..

ولكن عقله - بطبيعته - كان يرفض فكرة الاستسلام، وفكرة الخسارة؛ لذا فقد عقد ساعديه أمام صدره في هدوء، وقال محاولاً تغيير نبرات صوته بقدر الإمكان:

- إذن فقد كنتم تتوقعون حضوري.

أجابه (أشرف) في صرامة:

- كنت أعلم أنك ستهاجمني لا محالة، مادمت قد هاجمت (رضوان)، وكنت أنتظرك منذ ذلك الحين.

قال (العقرب) في هدوء:

- تفكير ممتاز أيها المهندس.. ترى أهو نفس الأسلوب، الذي اتبعته، في سرقة البترول؟

ابتسم (أشرف) في سخرية، وقال:

- لن يمكنك أبدا التوصل إلى الأسلوب العبقري، الذي نحصل به على البترول.

هز (العقرب) كتفيه، وقال:

- من المؤكد أنه أسلوب عبقري، مادام الجميع قد فشلوا في كشفه، طوال هذه الفترة.

بدت علامات الزهو على وجه (أشرف)، وهو يقول:

- إنه ذلك بالفعل.

شعر الرجل الآخر بالضجر، فسأل (أشرف) في قلق:

- هل نقتله؟

أجابه (أشرف) في حزم:

- ليس قبل استشارة (كامل) بك يا (شندي).

قال (العقرب) في هدوء:

- إذن فـ (كامل شكري) هو زعيم العصابة.

عقد (أشرف) حاجبيه في حدة، وهو يقول:

- زعيم العصابة؟! يا له من لفظ سخيف!

هز (العقرب) كتفيه مرة أخرى، وقال:

- ولكنها الحقيقة.. أليس كذلك؟

وهنا قال (شندي) في توتر:

- هل نخلع قناعه إذن؟

رفع (أشرف) كتفيه، وقال:

- فكرة رائعة.

ثم أشار إلى (شندي) مستطردًا:

- هيا.. انزع قناعه.

وفي جذل عجيب، اتجه (شندي) نحو (العقرب)، وهو يصوب إليه مسدسه؛ ليخلع عنه قناعه الأسود..

وعاد الخطر.

• • •

العصابـــة

18- العصابة..

ارتجف الدكتور (جمال) في شدة، وهو يقف أمام (كامل شكري)، قبل ساعة واحدة من شروق الشمس، وأخذ (كامل) يتفحصه بنظراته الصارمة الصامتة، حتى كادت أعصاب (جمال) تنهار وهو يقول في عصبية:

- نعم.. لقد حاولت الفرار.. كلنا ينبغي أن نفعل هذا.. لماذا نبقى؟ لقد جمعنا ما يكفي من الأموال، ولدينا الملايين في بنوك (سويسرا)، فلماذا لا نغادر البلاد في اللحظة المناسبة، ونتمتع بأموالنا في الخارج؟

أجابه (كامل) في صرامة:

- لأنك غبي.

تراجع (جمال) في دهشة، وهو يقول:

- غبي؟!

اعتدل (كامل)، وهتف به في غضب:

- نعم يا (جمال).. لأنك غبي... ينبغي أن تعلم أن لعبتنا لا يمكنها أن تنتهي بهذا الأسلوب، فلو غادر أحدنا موقعه، دون الاتفاق مع الآخرين، فسيعني هذا أن يحتل شخص آخر هذا الموقع؛ مما يعرضنا جميعًا لانكشاف أمرنا، وسقوطنا، وهذا يعني أن ما فعلته يعد خيانة يا (جمال).. خيانة تستحق الموت..

شحب وجه (جمال)، وانكمش هاتفًا في رعب:

- لا.. لا يا (كامل) بك.. أرجوك.

ابتسم (بكري) في تشفٍ، وهو يجذب مشط مسدسه، قائلاً:

- هل تأمرني بهذا يا (كامل) بك؟

انهار (جمال) تمامًا، وسقط عند قدمي (كامل)، وراح يقبلهما في رعب، هاتفًا:

- الرحمة يا (كامل) بك.. الرحمة.

سأله (كامل) في برود:

- أتعتقد أنك تستحق الرحمة يا (جمال)؟

انهمرت دموع (جمال) في مرارة، وهو يقول:

- كنت خائفًا يا (كامل) بك.. كنت خائفًا.

وعاد (بكري) يكرر:

- هل أنفذ الأمر؟

ولكن (كامل) أشار إليه بالصمت، وقال لـ (جمال) في ازدراء:

- حسنًا يا (جمال).. لن أقتلك.

انهمرت دموع (جمال) أكثر، وهو يبلل بهما حذاء (كامل)، قائلاً:

- أشكرك يا (كامل) بك.. أشكرك كثيرًا.

دفعه (كامل) بقدمه في ازدراء، والتفت إلى (بكري)، قائلاً:

- أعد مسدسك إلى غمده يا (بكري).

مط (بكري) شفتيه في أسف، وأعاد مسدسه إلى غمده، في حين انتحى (جمال) ركنًا، وراح يبكي في مرارة، و(كامل) يسأل (بكري):

- ألم يعد (وجيه) بعد، أو يتصل هاتفيًا؟

هز (بكري) رأسه نفيًا، وقال:

- لا.. ليس بعد.

نفث (كامل) دخان سيجارته في عصبية، وقال:

- لماذا تبدو هذه الليلة وأنها بلا نهاية؟

وكان على حق..

إن أحداث الليلة لم تنته بعد..

ولا أحد يعلم متى ستفعل..



في اللحظات التي اتجه فيها (شندي) نحو (العقرب)، كان هذا الأخير يلقي على نفسه سؤالاً محدودًا..

لماذا كثر تعرضه لنزع قناعه هذه المرة؟

ولأن عقله اعتاد الدقة والهدوء، فقد أزاح هذا السؤال جانبًا مؤقتًا، وعاد يركز تفكيره على الموقف..

إنهم سينزعون قناعه الآن، وسيكشفون حقيقة شخصيته..

إلا إذا..

وفجأة، قبل أن تبلغ أصابع (شندي) قناعه، قال (العقرب) في حزم:

- مهلاً يا سيد (أشرف).. هل تعلم أولاً إلى أية جهة أنتمي؟

ابتسم (أشرف) في سخرية، وقال:

- نعم.. لقد تحرى (كامل) بك الأمر، وعلم أنك شخص مختل التفكير، يتصور نفسه سيف العدالة في الأرض، ويواجه الجريمة وحده، و..

قاطعه (العقرب) في هدوء:

- هذا ما يشيعه الزملاء في الشرطة.

تجمدت يد (شندي) قبل أن تلمس قناع (العقرب)، في حين انعقد حاجبا (أشرف) في توتر، وهو يردد:

الزملاء في الشرطة؟

قال (العقرب) في هدوء:

- نعم يا سيد (أشرف).. الزملاء في الشرطة.. لقد وقعت مع رفاقك في نفس الفخ، الذي وقع فيه الآخرون، عندما انطلت عليهم خدعتنا، وتصورتم أنني أعمل ضد رجال الشرطة، وّدفعك هذا إلى الإدلاء باعتراف تفصيلي أمامي، دون حذر.

تراجع (أشرف)، هاتفًا في هلع:

- اعتراف؟

- أشار (العقرب) إلى ساعة يده، قائلاً:

- نعم يا (أشرف).. اعتراف نقله جهاز التسجيل الصغير في ساعتي، إلى بعض الزملاء، في سيارة الأجهزة المساعدة، أسفل البناية.

ورفع ساعته، وكأنما يدعوهما لرؤيتها، مستطردًا في حزم:

- لقد وقعت يا رجل.

مال (شندي) بحركة غريزية؛ ليتطلع إلى الساعة، وكذلك اقترب منها (أشرف)..

وهنا تحرك (العقرب)..

تراجعت قبضته في حركة مباغتة، لترتطم بأنف (شندي) كالقنبلة، وتدفعه إلى الخلف في عنف، ثم قفزت قدم تركل المسدس من يد (أشرف)، الذي صرخ:

- إنها خدعة.

ودون أن يضيع (العقرب) لحظة واحدة، انقض مرة أخرى على (شندي)، وكال له لكمة عنيفة في معدته، وثانية في أسنانه، سقط لها الرجل فاقد الوعي..

واندفع (أشرف) يحاول استعادة مسدسه، ولكن (العقرب) قفز نحوه مرة ثانية، وركل

المسدس بعيدًا، ثم أمسك معصم (أشرف)، ولوى ذراعه خلف ظهره في قوة، جعلت هذا الأخير يصرخ في ألم:

- إنك ستكسر ذراعي.

أجابه (العقرب) في صرامة:

- صدقت.. إنني سأفعل حتمًا، لو لم تخبرني بالوسيلة، التي تختلسون بها البترول.

هتف (أشرف) في ألم:

- إنها فكرة (كامل).. أقسم لك أنها فكرته.. هو الذي أقنعنا جميعًا بها.

شدد (العقرب) ضغطه على ذراع (أشرف)، وهو يسأله:

- وما هي هذه الفكرة؟

أجابه (أشرف)، وهو يتأوه ألمًا:

- إنه فارق أسعار الـ..

وقبل أن يتم عبارته، اندفع خدم (أشرف) الثلاثة داخل الحجرة، وهتف أحدهم في ذعر:

- ما هذا؟ من أنت؟

وصرخ (أشرف):

- هاجموه يا رجال.. أنقذوني من هذا اللص.

واندفع الرجال الثلاثة نحو (العقرب) بلا تردد..

وفي قوة، دفع (العقرب) (أشرف) في وجه الخدم الثلاثة، ثم ركل وجه أحدهم بقدمه، وقفز متجاوزًا الآخرين، واندفع خارج الحجرة، وأغلق بابها خلفه، ثم أسرع يغادر المكان، وهو يسمع (أشرف) يصرخ خلفه:

- ألقوا القبض عليه.. امسكوه.

ولكن (العقرب) قفز داخل المصعد، وخلع قناعه وقفازيه، وهو يهبط به إلى أ سفل، وأعاد السترة والشارب الكث المستعار، وهو يغمغم في ضيق:

- لماذا تفشل اللعبة دائمًا في اللحظة التي أكاد أبلغ فيها الحقيقة؟

بلغ الطابق السفلي في سرعة، ولم يكد حارس البناية يراه، حتى اعتدل في احترام، وسأله:

- هل وجدت شيئًا يا سيدي المفتش؟

مط (العقرب) شفتيه، وقال:

- لا.. كل شيء على ما يرام.

وغادر المكان في خطوات سريعة، مستطردًا:

- افتح عينيك جيدًا.

أجابه الحارس:

- سأفعل يا سيدي.. سأفعل بالتأكيد.

ولم يكد (العقرب) يغيب عن عينيه، حتى تنفس الصعداء، وتمتم:

- حمدًا لله.. كل شيء سار على ما يرام هذه المرة.

ولكنه لم يكد يتم عبارته، حتى هبط خدم (أشرف) في المصعد الآخر، وصاح به أحدهم:

- هل شاهدت شخصًا يغادر البناية الآن؟

أجابه في قلق:

- نعم.. إنه مفتش شركة الأمن، و..

قاطعه الخادم في سخط:

- بل هو لص.. أبلغ الشرطة بسرعة..

وكاد الحارس يفقد وعيه..

أما (نديم)، فقد خلع السترة والشارب المستعار، وهو يتجه نحو سيارة (غادة)، التي لم تكد تلمحه، حتى هتفت:

- لماذا تأخرت؟ لقد أصابني قلق شديد.

ألقى نظرة لامبالية على (وجيه)، الذي يجلس في المقعد الخلفي، وقال وهو يجلس جوارها في هدوء:

- حدث ارتباك بسيط في الأحداث.

انطلقت بالسيارة على الفور، وهي تسأله:

- ارتباك بسيط؟!

أجاب في هدوء:

- إلى حد ما.

سألته في اهتمام:

- وماذا عن السر؟ هل حصلت عليه؟

هز رأسه نفيًا، وهو يقول:

- كلا للأسف.

ثم ألقى نظرة جانبية على (وجيه)، وأضاف:

- ولكن لدينا فرصة أخرى.

واسترخى في مقعده، مستطردًا:

- هيا يا عزيزتي.. انطلقي بنا إلى منطقة هادئة، فلدينا حديث طويل مع هذا الوغد.

وأسبل جفنيه في هدوء..

• • •

انعقد حاجبا (مجدي) في شدة، وهو يستمع إلى خدم (أشرف)، قبل أن يسأل أحدهم في توتر:

ألم يترك بطاقة خلفه؟

حدق الخادم في وجهه بدهشة، وهو يردد:

- بطاقة؟!

لوح (مجدي) بكفه، قائلاً:

- حسنًا.. لا عليك.. إنه مجرد سؤال.. هيا.. انصرف.

انصرف الخادم من أمامه، في حين اقترب منه الرائد (حسن)، وقال:

- من الواضح أن (العقرب) لم يهدأ هذه الليلة.

تمتم (مجدي) في حنق:

- إنه لم يضع لحظة واحدة.

ثم التفت إلى (أشرف)، وقال في عصبية:

- سيد (أشرف).. أتراهن أنني أستطيع تخمين جهة عملك؟

تطلع إليه (أشرف) في دهشة، فأضاف بعصبية أكثر:

- إنك تعمل بشركة (............) للبترول.. أليس كذلك؟

حدق (أشرف) في وجهه بدهشة، وهتف:

- كيف علمت؟

عقد (مجدي) حاجبيه في شدة، وهو يقول:

- الأمر لا يحتاج إلى كثير من الذكاء يا سيد (أشرف)، فمن الواضح أن (العقرب) ينتقي مديري هذه الشركة لهجماته هذه المرة.

شحب وجه (أشرف)، وهو يغمغم:

- ينتقيهم؟! هل هاجم (عماد) و(جمال) أيضًا؟

برقت عينا (مجدي)، وهو يقول:

- إذن فأنت تعرف (جمال)؟

ارتبك (أشرف)، وهو يقول:

- بالتأكيد.. إنه زميل عمل.

سأله (مجدي):

- ومن (عماد) هذا؟

أجابه في توتر:

- إنه مدير الإنتاج والمتابعة في الشركة.

تطلع (مجدي) إلى الردهة البالغة الفخامة، وهو يسأله:

- وهل يحيا مثلك ومثل (رضوان)، في مكان فاخر كهذا؟

أجابه (أشرف) في ارتباك:

- إنني أمتلك مكتبًا هندسيًا معروفًا، و(عماد) متزوج من سيدة ثرية.

ابتسم (مجدي) ابتسامة عصبية، وهو يقول:

- بالطبع.. كل منكم لديه ما يبرر الثراء الزائد.. هذا أكيد.

ثم التفت إلى الرائد (حسن)، وأضاف:

- هيا يا (حسن).. دعنا لا نخسر الجولة القادمة.. أرسل رجالنا لمراقبة محل إقامة (عماد) هذا، قبل أن يضرب (العقرب) ضربته التالية.. سيخبرك السيد (أشرف) بعنوانه الآن.. أليس كذلك يا سيد (أشرف)؟

أجابه (أشرف) متوترًا:

- بلى سأخبره بالطبع.

سأله (مجدي):

- أهناك شخص آخر؟

كاد (أشرف) يخبره باسم (كامل شكري) إلا أنه أمسك لسانه في اللحظة الأخيرة، وهو يجيب:

- لا.. لا يوجد سوى (عماد).

هتف (مجدي) في حماس:

- عظيم.. هذا سيجعل الأمر محدودًا.

غمغم (أشرف):

- بالطبع.. سيجعله محدودًا.

ولكنه كان يشعر بقلق شديد..

وبخوف بلا حدود..

• • •

العصابـــة

19- أول الخيط..

كان الشفق قد تلون بألوان الشروق الجميلة، عندما أوقفت (غادة) سيارتها عند سفح الهرم، والتفتت إلى(وجيه) تقول:

- نهاية الخط يا صاح.

بدا التوتر على ملامح (وجيه)، في حين غادر (نديم) مقعده، وفتح الباب الخلفي للسيارة، وجذب (وجيه) خارجها، قائلاً في صرامة:

- هل أصابك الصمم يا رجل؟ ألم تسمع ما قالته زميلتي؟

ثم مد يده إلى (غادة)، مستطردًا:

- هلا أعرتني مسدسك الصغير يا عزيزتي؟

ناولته (غادة) مسدسها، ونزعت الكمامة عن فم (وجيه)، الذي قال في عصبية واضحة:

- ماذا تنوي أن تفعل؟

صوب (نديم) المسدس إلى رأس (وجيه)، وقال في برود:

- ألم تفْهم يا رجل؟ إننا سننسف رأسك هنا.

امتقع وجه (وجيه)، وقال بمزيد من العصبية:

- أراهن أنك تحاول إخافتي فحسب.

جذب (نديم) إبرة المسدس، وقال:

- فليكن، ولكنك لن تربح هذا الرهان.

كان يبدو صارمًا حازمًا، حتى إن (وجيه) شعر بخوف حقيقي، جعل العرق يتصبب على جبينه، وقلبه ينبض في عنف، وهو يلتفت إلى (غادة)، قائلاً:

- أهو صادق في قوله هذا؟

ابتسمت في سخرية، وقالت:

- ستعرف بعد لحظة واحدة.

وألصق (نديم) فوهة المسدس بجبهة (وجيه)، قائلاً في برود:

- وداعًا أيها الوغد.

صرخ (وجيه):

- لا.. لا.. لا تطلق النار.

سأله (نديم) في برود:

- ومن سيمنعني؟

هتف (وجيه):

- أنا.

ثم استدرك في سرعة:

- يمكنني أن أدفع الثمن.

قال (نديم) في هدوء:

- لست أحتاج إلى المال.

أجابه (وجيه) في سرعة:

- لديَّ ما ترغب في معرفته على الأقل.

عقد (نديم) حاجبيه، وأعاد إبرة مسدسه إلى موضعها، وهو يقول:

- مثل ماذا؟

أجابه في سرعة:

- إنني أعرف اسم الرجل، الذي قتل زميله، في منزل الصحفي.. إنه (بكري).. (بكري عريان).. إنني مستعد للاعتراف بهذا.

أشار (نديم) إلى (غادة)، قائلاً:

- أحضري جهاز التسجيل الصغير، فسيسجل صعيقتا هذا اعترافه.

أحضرت (غادة) جهاز التسجيل، وأدنته من فم (وجيه)، الذي أسرع يدلي باعتراف تفصيلي، عن إرساله رجلين للقضاء على صحفي يدعى (أحمد عبد الغفار)، وكيف أن أحدهما قتل رفيقه، وحاول إلصاق التهمة بـ (العقرب)، ولم يكد ينتهي حتى أوقفت (غادة) التسجيل، وسأله (نديم) في هدوء:

- هذا اعتراف يفيد (العقرب) يا رجل، ولكن ماذا عني أنا؟

سأله في توتر:

- وما الذي ترغب في معرفته؟

عاد (نديم) يجذب إبرة مسدسه، وهو يقول:

- كيف يختلس (كامل شكري) ورفاقه البترول؟

أجابه (وجيه) في انفعال وخوف:

- لست أدري شيئًا عن هذا.. أقسم لك.. كل ما علمته بالمصادفة، هو أن الدكتور (جمال)

هو الذي يجعل الأمر سهلاً، وأن (كامل) بك هو الذي اتفق مع شركة البترول الأجنبية.

عقد (نديم) حاجبيه، وقال:

- أهذا كل ما تعرفه؟

كاد الرجل يبكي، وهو يقول:

- أقسم لك أن هذا كل ما أعرفه.. أقسم لك.

أومأ (نديم) برأسه موافقًا، وقال:

- إنني أصدقك.

وفي نفس اللحظة عادت (غادة) تحيط فم (وجيه) بالكمامة، وهي تقول ساخرة:

المهم أن يصدق رجال الشرطة.

وأدرك (وجيه) أنه سيلتقي برجال الشرطة هؤلاء..

قريبًا جدًا..

• • •

- "إنني لم أعد أحتمل".

صاح (عماد) بهذه العبارة، وسط قاعة الاجتماعات الخاصة، الملحقة بمكتب (كامل شكرّي)،الذي عقد حاجبيه في صرامة، وهو يتطلع عبر نافذة مكتبه، ثم التفت إلى المديرين الأربعة، الذين يحتلون مقاعدهم حول مائدة الاجتماعات، وقال في صوت غاضب:

- لماذا لم تعد تحتمل يا (عماد)؟ إنك على الأقل الوحيد بيننا، الذي لم يهاجمه (العقرب) بعد.

صاح (عماد):

- لن أنتظر حتى يفعل.. لقد أيقظني رجال الشرطة في الفجر، وأخبروني أنني مهدد بهجوم شخص مقنع، وحذروني منه، وتركوا بعض رجالهم لحراسة الفيلا، ولكن ذلك (العقرب) يجتاز دائمًا كل رجال الحراسة.

قال (كامل) في صرامة:

- وماذا تقترح؟

أجابه في عصبية:

- أن نغادر البلاد، كما أراد (جمال).

عقد (كامل) حاجبيه، على نحو مخيف، وهو يقول:

- أهذا رأيكم جميعًا؟

انكمش (جمال) في مقعده، في حين قال (رضوان) في توتر:

- نعم.. إنه رأينا جميعًا.

ران صمت رهيب ثقيل على المكان، وارتسم التوتر على وجوه الجميع، حتى قطع (كامل) حبل الصمت هذا، وهو يقول في صرامة:

- فليكن.. سنغادر البلاد.

سرى الارتياح في جو الحجرة، وتنفس الجميع الصعداء، قبل أن يضيف:

- ولكن ليس بالسرعة التي تتصورونها.

قال (أشرف) في حدة:

- ماذا تعني؟ إن ذلك (العقرب) يطاردنا في إصرار، وسيوقع بنا إن عاجلاً أو آجلاً، وبقاؤنا يعني المزيد من المخاطر.

قال (كامل) في صرامة:

- وفرارنا السريع هذا سيكشف لعبتنا كلها، وسيجعلنا مجرد مجرمين، هاربين من القانون، وربما استعان المسئولون بالبوليس الدولي (الإنتربول)، لإلقاء القبض علينا، وإعادتنا إلى هنا، حيث يكون السجن مصيرنا.

قال (جمال) في تردد:

- لا توجد اتفاقية لتبادل المجرمين، بين (مصر) و(سويسرا)، ولو غادرنا البلاد الليلة، فسنكون في مأمن هناك، مع مطلع فجر الغد.

مضت لحظات أخرى من الصمت، قبل أن يقول (كامل) في صرامة:

- فليكن.. سنرحل جميعًا في طائرة منتصف الليل، إلى (سويسرا).

وشرد ببصره، مستطردًا في غيظ:

- وسيؤلمني كثيرا أن يجبرنا ذلك (العقرب) اللعين، على إفساد عمل كل هذه السنين، والفرار على هذا النحو.

غمغم (جمال):

- هذا أفضل من قضاء ما تبقى من العمر خلف القضبان.

وافقه (عماد) بإيماءة من رأسه، وتنهد (رضوان) في عمق، في حين قال (أشرف):

- هذا صحيح.

مط (كامل) شفتيه، وقال:

- فليكن.. الليلة، ومع منتصف الليل تمامًا، تنتهي لعبتنا.

وعاد يشرد ببصره، مستطردًا:

- وإلى الأبد..

• • •

عقد عم (أحمد)، العامل الخاص بمكتب (نديم) حاجبيه، عندما رأى (مجدي) أمام باب المكتب، وهو يسأله بخشونته المعهودة:

- هل وصل (نديم) في موعده اليوم؟

أجابه عم (أحمد) في ضيق:

- بالطبع.. وما الذي يدعوه للتأخير؟

قال (مجدي)، وهو يندفع نحو مكتب (نديم):

- الليلة الماضية كانت حافلة للغاية.

هتف به (أحمد):

- مهلاً.. ينبغي أن أبلغ السيد (نديم) أولاً، و..

ولكن (مجدي) اقتحم الحجرة في غلظة، وأدهشه أن وجد (نديم) خلف مكتبه، أنيقًا هادئًا كعادته، وأحنقه أن استقبله (نديم) في برود قائلاً:

- مرحبًا يا (مجدي).. ألم يكن من اللائق أن تطرق الباب أولاً.

جلس (مجدي) على المقعد المقابل لمكتب (نديم)، وهو يقول في عصبية:

- لقد تركت اللياقة لك.

ثم مال نحوه، مستطردًا:

- ولـ (العقرب).

تطلع إليه (نديم) في هدوء مثير، قبل أن يسأله:

- هل (العقرب) هو سبب زيارتك هذه؟

تجاهل (مجدي) السؤال، وقال:

- هل تعرف مجرمًا يدعى (وجيه سمعان)؟

قال (نديم) في هدوء:

- إنني أذكره، من أيام عملي بالشرطة.

قال (مجدي) بسخرية عصبية:

- عجبًا!! كنت أظنك قد التقيت به فجر اليوم، وتركته مقيدًا ومكممًا عند سفح الهرم الأكبر، وفي جيبه شريط تسجيل، يحوي اعترافًا تفصيليًا منه، ينفي تهمة القتل عن (العقرب).

سأله (نديم) في هدوء:

- هل فعل به (العقرب) هذا؟

قال (مجدي) في حدة:

- إنه يتهمك أنت بهذا.

رفع (نديم) حاجبيه، وهو يقول:

- أنا؟! ولكنني كنت..

قاطعه (مجدي) في حدة:

- أعلم.. أعلم أنك أعددت كل شيء؛ لتثبت بعدك عن مكان الحادث بعشرات الكيلومترات، ولا أحد سيستمع إلى كلمة مجرم مثل (وجيه)، أمام كلمتك أنت، وخاصة مع عدم وجود دليل.. أعلم هذا.

ثم نهض من مقعده، مستطردًا:

- وإنما أردت إخبارك فقط.

قال (نديم) في هدوء:

- فقط؟!

قال (مجدي) في عصبية:

- لا.. مازالت هناك نقطة أخرى.. لقد راجعت ملف شركة البترول، وأعلم أنه هناك أمر غير قانوني يحدث هناك، ولكنني فشلت في كشفه، وإن كنت واثقًا أن (العقرب) يعلمه. ويطارد مديري الشركة لهذا السبب.

هز (نديم) كتفيه، وقال:

- ربما.

رمقه (مجدي) بنظرة صارمة غاضبة، قبل أن يلوح في وجهه بسبابته، قائلاً:

- اسمع يا (نديم).. مهما كانت الأسباب، فليس من حق (العقرب) أن يتدخل في أمور

العدالة، ولو حاول مهاجمة (عماد)، كما هاجم الباقين، فسيقع في يدي حتمًا.

لم ينبس (نديم) ببنت شفة، حتى انتهى (مجدي) من قوله، واندفع يغادر المكان في عنف كما دخله، ولم يكد يبتعد، حتى دفعت (غادة) باب مكتب (نديم)، ودخلته قائلة في حنق:

- يا لـ (مجدي) السخيف هذا! لقد أيقظني من نومي بصياحه.

قال (نديم) في هدوء:

- إنه يؤدي واجبه.

ألقت نفسها على أول مقعد صادفها، وهي تسأله:

- هل عثر على (وجيه)؟

أومأ برأسه إيجابًا، ثم مال يستند إلى مكتبه بمرفقيه، وهو يقول:

- ولكن (وجيه) لم يتهم (كامل) مباشرة، وهذا يعني أن لعبتنا نحن لم تنتهِ بعد.

سألته في تكاسل:

- هل توصلت لشيء بخصوص عملية اختلاس البترول؟

أجابها:

- ليس بعد.

ثم تراجع بمقعده، مستطردًا:

- المعلومات التي لدينا قاصرة للغاية.

غمغمت (غادة):

- إنها طرف الخيط على الأقل.

أغلق (نديم) عينيه، وهو يفكر في عمق، قائلاً:

- دعينا نراجع ما لدينا، فالدكتور (جمال) قال: إنه أهم شخص في اللعبة كلها، وإنه يحصل لهذا على نسبة أعلى من الآخرين، وأيد (وجيه) قوله، مضيفًا أن (كامل) هو الذي اتفق مع شركة البترول الأجنبية، وأخيرًا أشار (أشرف) إلى وجود فارق ما في الأسعار، يحقق هذا الاختلاس، فأي فارق هذا؟

هزت (غادة) رأسها، قائلة:

- لقد قضيت ساعة كاملة، في التفكير في هذا، دون أن أتوصل إلى شيء ما.

أجابها (نديم):

- وأنا أيضًا، فكمية البترول خاضعة لرقابة شديدة، تجعل من المستحيل تجاوزها، أو

التقليل منها، وسعة ناقلات البترول مدروسة ومعروفة، ومن المستحيل بالفعل إقامة خط أنابيب فرعي، فكيف يمكن اختلاس البترول؟

ابتسمت (غادة) في سخرية، وهي تقول:

- ربما يضيفون إليه بعض الماء، ويحصلون على فارق الأسعار.

لم يستقبل الدعابة كعادته، وإنما هز رأسه مستنكرا، وهو يقول:

- مستحيل، فالبترول لا يمتزج بالماء، كما أن هذا لا يفيد الشركة الأجنبية، ولو كان الـ..

بتر عبارته بغتة، وانعقد حاجباه في شدة، قبل أن يقول في حماس:

- بالطبع.. هذا هو التفسير المنطقي.

التفتت إليه (غادة)، وهتفت به:

- هل توصلت إلى الوسيلة؟

أجابها في حماس:

- نعم إنها وسيلة شيطانية، ولكنها التفسير الوحيد لكل هذا.

صاحت:

- أخبرني بها بالله عليك.. هيا.. لن أحتمل الانتظار.

أجابها في اهتمام:

- سأخبرك بها بالطبع يا (غادة)، ولكن ينبغي أن نتحرك في سرعة، وإلا أفلت الصيد من القفص.

وأخذ يروي ما توصل إليه..

وكانت الخطة شيطانية..

شيطانية بحق..

• • •

العصابـــة

20- السقوط..

تطلع اللواء (حلمي) في قلق إلى (مجدي)، الذي بدا شديد العصبية، وهو يقدم له ملف شركة البترول، قائلاً:

- ما رأيك يا سيدي؟ هناك انحرافات مالية خفية.. أليس كذلك؟

أجابه اللواء (حلمي):

- ربما يا (مجدي)، ولكن أجهزة الدولة كلها لم تنجح في كشف هذه الانحرافات المالية، ونحن نحتاج إلى دليل مادي قوي؛ لإقناع وكيل النيابة بإصدار أوامر القبض، وعلى كل مديري الشركة دفعة واحدة.

أغلق (مجدي) الملف في حدة، وهو يقول غاضبًا:

- هذا ما يميزه عنا.

سأله اللواء (حلمي):

- من تقصد؟

أجابه في غضب:

- (العقرب).. إنه يضرب ضربته، دون الحاجة إلى أدلة مادية، أو تقارير من المعمل الجنائي، أو أوامر قبض.. إنه يتحرك بالحرية، التي نحتاج نحن إليها.

ابتسم اللواء (حلمي) في تعاطف، وهو يقول:

- وهل تقبل العمل بأسلوب (العقرب)؟

هتف (مجدي):

- مستحيل! إنه يخالف القانون.

ربت (حلمي) على كتفه، وقال:

- القانون يا ولدي وسيلة لحفظ الحقوق والحريات، وتلك التعقيدات الكثيرة فيه شديدة الأهمية؛ لضمان العدل والحق، ولكنه ككل القوانين البشرية الوضعية، يحوي بعض الثغرات، و(العقرب) يعمل لسد هذه الثغرات، وتحقيق العدالة عبرها.

حدق (مجدي) في وجهه بشدة، وهتف:

- هل توافق على أسلوب (العقرب) يا سيدي؟

هز (حلمي) كتفيه، وقال:

- إنه لا يؤذي الأبرياء على الأقل.

صاح (مجدي) مستنكرًا:

- ولكنه يخالف القانون.

ابتسم اللواء (حلمي)، وسأله في حنان أبوي:

- ألم تراودك أحيانًا الرغبة في مخالفة القانون لتحقيق العدالة؟

أجابه في سخط:

- بل راودتني كثيرًا؛ لإلقاء القبض على (نديم)، وإثبات أنه (العقرب).

تطلع إليه (حلمي) لحظات في صمت، ثم عاد يجلس خلف مكتبه، وقال:

- أتعلم يا (مجدي)؟ لو أنني في موضعك لما تعاملت مع (العقرب) بهذه العدوانية.

سأله (مجدي) في ضيق:

- وكيف كنت ستتعامل معه يا سيدي؟

فاجأه جواب (حلمي)، وهو يقول:

- كنت أعاونه.

صاح (مجدي) مستنكرًا:

- تعاونه؟!

أجابه اللواء (حلمي):

- نعم.. كنت أفسح له الطريق على الأقل يا (مجدي)؛ حتى يوقع من يعجز القانون عن الإيقاع بهم، مادام هذا يحقق العدالة.

صمت (مجدي) لحظات، وهو يتطلع خلالها إلى اللواء (حلمي) في حيرة، قبل أن يقول في حدة:

- لا.. لا يمكنني هذا.

قال اللواء (حلمي) في بساطة:

- ولمَ لا؟ خذ قضية مثل قضية شركة البترول هذه.. إننا جميعًا نشعر بوجود تلاعب مالي هنالك، ولكن كل الجهات الرسمية عجزت عن إثبات هذا، في حين قد ينجح (العقرب) في هذا.

لوح (مجدي) بذراعه، هاتفًا في سخط:

- ومنْ قال إنه سينجح؟

ارتفعت طرقات منتظمة على الباب، عند هذه اللحظة، فقال اللواء (حلمي):

- ادخل.

دخل إلى الحجرة شرطي، تقدم إلى حيث يجلس اللواء (حلمي) وأدى التحية العسكرية في احترام، ثم ناول اللواء (حلمي) مظروفًا مغلقًا، وهو يقول:

- رسالة خاصة لك يا سيدي.

سأله اللواء (حلمي)، وهو يلتقط منه المظروف:

- من أحضرها؟

أجابه الشرطي:

- سيدة عجوز، قالت إنه خطاب شخصي لك.

أومأ اللواء (حلمي) برأسه، قائلاً:

- لا بأس.. يمكنك الانصراف.

انصرف الشرطي في سرعة، في حين فض اللواء (حلمي) المظروف، وهو يقول:

- ترى من أرسل هذا الـ..؟

قبل أن يتم عبارته، سقطت من المظروف بطاقة أنيقة، اتسعت عينا (مجدي)، وهو يحدق فيها هاتفًا:

- (العقرب).. إنها رسالة من (العقرب).

كانت البطاقة تحمل رسم العقرب الذهبي في وضوح؛ مما جعل اللواء (حلمي) يلتقط الرسالة المرفقة بها في لهفة، لم تبلغ حد لهفة (مجدي)، وهو يسأله:

- ماذا يقول في رسالته يا سيدي؟ ماذا يقول فيها؟

قرأ اللواء (حلمي) الرسالة في سرعة، واتسعت عيناه في شدة، وهو يهتف في انفعال:

- يا إلهي! إنه الحل يا (مجدي).. لقد توصل (العقرب) إلى الحل.

سأله (مجدي) في انفعال شديد:

- حل ماذا؟

ناوله اللواء (حلمي) الخطاب، وهو يجيب:

- حل لغز عصابة البترول يا (مجدي).. لقد فعلها (العقرب).. لقد فعلها.

وعندما اختطف (مجدي) الخطاب، أدرك أن اللواء (حلمي) على حق..

لقد فعلها (العقرب)..

فعلها في مهارة..

• • •

انتهى (بكري) من إعداد حقيبة (كامل)، والتفت إليه يسأله:

- هل تأمر بشيء آخر يا زعيم؟

نفث (كامل) دخان سيجاره، وهو يقول في حدة:

- لا تستخدم هذا اللفظ مرة أخرى يا (بكري).

ابتسم (بكري) قائلاً:

- فليكن يا سيدي.. لن أستخدمه.

واقترب من (كامل)، يسأله:

- أصحيح أنك ستغادر البلاد إلى الأبد؟

أجابه (كامل) في عصبية:

- نعم.. ولقد منحتك مكافأة سخية.. أليس كذلك؟

قال (بكري)، في لهجة أقرب إلى السخرية:

- هل تراها حقًا سخية أيها الزعيم؟

التفت إليه (كامل)، وقال:

- لقد منحتك خمسين ألف جنيه دفعة واحدة.. ألا يكفيك هذا؟

أجابه (بكري) في غلظة:

- ليس عندما تنعم أنت بالملايين أيها الزعيم.

قال (كامل) في حدة:

- إنها نقودي.

أجابه (بكري):

- بل هي نقود الشركة، لو توخينا الدقة.

تطلع إليه (كامل) لحظة في صرامة، ثم سأله في حدة:

- ماذا تريد بالضبط يا (بكري)؟

أجابه في شراهة عجيبة:

- مليون جنيه.

هتف به (كامل):

- مليون جنيه؟! هل جننت؟

صاح به (بكري) في غضب:

- لماذا؟ لقد ساعدتك في الحصول على الملايين، وفي حماية ما حصلت عليه.. ألا استحق في النهاية مليون جنيه؟

مضت لحظات من الصمت، قبل أن يبتسم (كامل) ابتسامة غامضة وهويقول:

بل تستحق الكثير يا (بكري).

ومد يده إلى جيب سترته، مستطردًا:

- تستحق هذا.

وفي حركة سريعة، انتزع من جيب سترته مسدسًا، وأطلقه على صدر (بكري) بلا تردد فجحظت عينا هذا الأخير، وانفرجت شفتاه لينطق بشيء ما، إلا أنه لم ينطق به قط؛ فقد هوى عند قدمي (كامل) جثة هامدة..

وفي ازدراء دفع (كامل) جثة (بكري) بقدمه، وقال:

هذا جزاء الطمع أيها الغبي.

أتى صوت صارم من خلفه، يقول:

- أتظن هذا؟

التفت في حدة وذعر إلى مصدر الصوت، ورأى قدمًا ترتفع في سرعة وقوة، لتطيح بمسدسه، ثم وقع بصره على الوجه ذي القناع..

وجه (العقرب)..

وفي عصبية هتف (كامل):

- من أنت؟ وماذا تريد مني؟

أجابه (العقرب) في هدوء:

- أظنك تعرفني جيدًا يا سيد (كامل)، وتعرف لماذا أنا هنا.

صاح (كامل) في توتر:

- أنت مخطئ كثيرًا، فالمخالفات المالية للشركة مجرد شائعة.

قال (العقرب) في برود:

- لا داعي لهذا القول يا (كامل)، لقد كشفت أمرك، وأمر عصابتك كلها..

سقط فك (كامل)، وهو يقول:

- كشفت أمري؟!

ثم استعاد سيطرته على نفسه في سرعة، واستطرد في حدة:

- أتحداك.. أتحداك أن تجد دليلاً واحدًا، على أننا نختلس شيئًا من الشركة.

قال (العقرب) في ثقة:

- لا داعي للتحدي يا (كامل).. صحيح أن خطتكم عبقرية، ولكنها انكشفت، كما يحدث لكل مجرم.. لقد حيرني الأمر في البداية، ولكنني توصلت إلى الحل أخيرًا، وأنت تعلم مثلي أن مجرد التوصل إلى الحل يفسد اللعبة كلها، ويجعل الحصول على الدليل مهمة بسيطة للغاية.. أليس كذلك؟

تصبب العرق على وجه (كامل)، وهو يقول:

- أتحداك!!

قال (العقرب):

- قلت لك لا داعي للتحدي يا (كامل)، فستدان على الأقل بتهمة قتل (بكري).

لوح (كامل) بكفه، قائلاً في حدة:

- سأنكر معرفتي به.. إنه مجرد لص، تسلل إلى هنا، وحاول قتلي، فدافعت عن نفسي، وقتلته.. ومسدسي هذا مرخص.

هز (العقرب) كتفيه، وقال:

- فليكن، ولكن اللعبة الأخرى انكشفت كلها.

عاد يكرر في حدة:

- أتحداك.

ارتسمت على شفتي (نديم) ابتسامة باهتة، لم تلبث أن تلاشت في سرعة، وهو يقول:

- ستخسر التحدي يا (كامل).

ثم مال نحوه، مستطردًا:

- أنت تعلم — مثلي — أن لعبتكم كلها تعتمد على جودة البترول الخام.

اتسعت عينا (كامل) في ذعر، وترك جسده يتهاوى على أقرب مقعد إليه، و(العقرب) يستطرد:

- كل نوع من خامات البترول له سعر خاص، يتفاوت تبعًا لجودة الخام ونقاوته، وفي لعبتكم هذه حددتم جودة أقل لخام الموقع، بحيث يصبح سعره أقل مما ينبغي، واتفقتم مع الشركة الأجنبية على شراء الخام بسعر مناسب، يزيد كثيرًا عن سعر الخام الأقل، ويقل كثيرًا أيضًا عن سعره الحقيقي، وكان من السهل أن يحدد الدكتور (جمال) جودة الخام بأقل من حقيقتها، بل وأرسل عينات غير حقيقية إلى المعامل المركزية في (القاهرة)؛ ليثبت رسميًا

عدم جودة الخام، وبعدها بدأت اللعبة.. الشركة الأجنبية تتلقى خامًا من أفضل طراز، وتدفع ثمن خام رديء، وفي نفس الوقت تحصلون أنتم على فارق أسعار منافس، يجعل الشركة الأجنبية رابحة، وكذلك أنتم، في حين تخسر الشركة المصرية الفارق الحقيقي.

انهار (كامل) تمامًا، و(العقرب) يتابع:

- ولكن اللعبة كلها تفشل بالطبع، عندما يعرف شخص واحد هذه الحقيقة، ففي هذه الحالة سيتم تحليل خام البئر مرة ثانية، وستتكشف الحقيقة، وتنهار العصابة كلها.

انتزع (كامل) من بين شفتيه عبارة قصيرة، وهو يقول:

كم تريد؟

هز (العقرب) رأسه، وقال:

- أريدكم خلف القضبان للأسف.. وهذا هو الثمن الوحيد الذي يرضيني، ولقد أرسلت خطابا إلّى مديرية الأمن، وآخر إلى الجهاز المركزي للمحاسبات، أكشف فيه اللعبة كلها، وأظن الشرطة في طريقها إلى هنا الآن.

لم يكد يتم عبارته، حتى بدا صوت أبواق سيارات الشرطة واضحًا، فأضاف في برود:

- هيا يا رجل.. تقبل الخسارة بروح رياضية.

واتجه نحو الباب، وغاب كالشبح..

ولدقائق راح صوت سيارات الشرطة يقترب ويقترب..

ولكن (كامل) لم يبارح مقعده..

لقد انهار عمله كله..

سقطت لعبته.. وخسر ملايينه كلها..

بل خسر حياته..

وفي بطء.. أدار (كامل شكري) عينيه إلى ركن الحجرة، حيث سقط مسدسه..

وفي بطء أيضًا نهض يلتقط المسدس ويدير فوهته إلى صدغه، مغمغمًا:

لقد خسرنا كل شيء..

وضغط الزناد.

• • •

العصابة

21- الختام..

أشارت (غادة) إلى صحيفة الصباح التالي، وهي تهتف في حرارة:

- هل قرأت هذه العناوين الرئيسية في صفحة الحوادث؟ انتحار رئيس مجلس إدارة شركة البترول، وإلقاء القبض على مديريها الأربعة.. لقد حقق (العقرب) انتصارًا جديدًا كالمعتاد، وحطم عصابة إجرامية هذه المرة.

أجابها (نديم) في هدوء:

- هذا ما اختاره هدفًا لحياته.

همت بقول شيء ما، لولا أن دخل عم (أحمد) إلى الحجرة، وقال وهو يبتسم في حنان:

- لديك زائر خاص يا سيدي.

ومن خلفه ظهر اللواء (حلمي)، يقول:

- صباح الخير يا (نديم).

نهض (نديم) يصافحه في حرارة، وهو يقول:

- صباحُ الخير يا سيدي.. كيف حالك؟

أشار اللواء (حلمي) إلى صدره، قائلاً:

- في خير حال يا ولدي.. قلبي يشعر بالارتياح التام الآن.

وصافح (غادة)، مستطردًا بابتسامة أبوية:

- بفضلكما.

تبادلت (غادة) ابتسامة حذرة مع (نديم)، لاحظها اللواء (حلمي)، فاتسعت ابتسامته، وهو يقول:

- أقصد بفضل (العقرب).

قال (نديم) في هدوء:

- لقد أدى عمله يا سيدي.

أضاف اللواء (حلمي):

- وحقق العدالة.

ثم اعتدل، وسأل (نديم):

- أتعلم ما ستفعله الدولة؟ إنها ستستعيد الملايين العديدة، التي أودعها هؤلاء اللصوص في بنوك (سويسرا)، وستصادر ممتلكاتهم، وتلقي بهم خلف القضبان.

قال (نديم):

- إنهم يستحقون هذا.

هتف اللواء (حلمي):

- بالطبع.

ثم رمق (نديم) بنظرة امتنان، وهو يستطرد:

- ولكنني أتمنى مقابلة (العقرب) الآن.

سألته (غادة):

- لماذا؟ هل ستمنحه وسامًا؟

ابتسم قائلاً:

- لم أكن لأتردد، لو أن هذا في نطاق سلطتي.

قال (نديم) في هدوء:

- لست أظنه يهتم بالأوسمة يا سيدي.

وافقه (حلمي) بإيماءة من رأسه، وقال:

- أعلم هذا يا ولدي.. أعلم هذا، ولكنني أردت مقابلته؛ لأشكره على استجابته لنداء صديق.

قال (نديم):

- إنه لا يتردد في هذا يا سيدي.

وأضافت (غادة):

- مادام يحقق العدالة.

أومأ (حلمي) برأسه مرة أخرى موافقًا، وقال:

- نعم يا ولدي.. نعم يا بنيتي.. هذا هو ما توقعته.

وابتسم في إعجاب وحنان، مستطردًا:

- وهذا هو (العقرب).

• • •

تمت بحمد الله

الروايـــة الثالثة

مهمة رسمية

مهمة رسمية

1- زيارة مفاجئة..

من المؤكد أن (غادة)، زميلة (نديم فوزي)، في مكتب المحاماة، لم تشهد زحامًا، في منطقة وسط المدينة، مثلما شهدته في ذلك الصباح الحار، وهي تدور بسيارتها، وتدور، وتدور، بحثًا عن موقع واحد للانتظار..

ولقد استغرق منها هذا الأمر نصف ساعة كاملة، قبل أن تجد مكانًا منزويًا لسيارتها، واحتاجت إلى عشر دقائق كاملة، لتصل إليه وتغادر سيارتها، هاتفة في حنق:

- يا إلهي! ماذا يريدون منا بالضبط؟! أن نتحول إلى بهلوانات؟!

ضحك منادي السيارات القريب لعبارتها، وعلق في سخرية:

- أمر طبيعي يا سيدتي.. البهلوان وحده يمكنه قيادة سيارته في وسط المدينة.

زفرت مغمغمة:

- الواقع أن الازدحام قد بلغ حدًا غير محتمل.. لابد من وجود حل له، قبل أن يأتي يوم لا نجد فيه موضعًا لقدم.

ابتسم الرجل، قائلاً:

- اطمئني يا سيدتي.. أعتقد أن المشكلة ستجد حلاً جذريًا، خلال عام واحد على الأكثر

ابتسمت ساخرة، وهي تغلق سيارتها، قائلة:

- يا لك من متفائل!

هز كتفيه، قائلاً:

- ليس للأمر علاقة بالتفاؤل.. إنهم ينشئون هنا جراجًا متعدد الطوابق بالفعل، يمكنه استيعاب ما يقرب من ثلاثين ألف سيارة.

ارتفع حاجباها في دهشة، وهي تهتف:

- هنا.. في وسط المدينة؟!

أشار بيده إلى منطقة قريبة، قائلاً:

- نعم يا سيدتي.. هل ترين ذلك المبنى ذا الطابقين هناك؟ المبنى القديم الطراز.. إنهم يبدءون في هدمه بالفعل، وعلى مساحة أرضه الضخمة، سيقيمون مبنى من ثلاثين طابقًا.. بالإضافة إلى ثلاثة طوابق تحت أرضية، وسيتم استغلال تلك الطوابق الثلاثة، بالإضافة إلى أربعة من طوابق المبنى، كجراج متعدد الطوابق، أما الطوابق الباقية، باستثناء معظم الطابق الأرضي، فستحتلها شركات ومؤسسات خاصة شهيرة.

سألته في اهتمام:

- وماذا عن الطابق الأرضي؟!

بدا متهللاً على نحو أدهشها، وهو يلوح بذراعيه، مجيبًا:

- هذه هي المفاجأة.. إنهم سينشئون هنا مجمعًا تجاريًا عملاقًا، يمكنك أن تجدي فيه كل شيء.. من الإبرة إلى الصاروخ.

ارتفع حاجباها بدهشة، وهي تحدق فيه بحيرة تمتزج بالشك والتساؤل.. ترى كم تبلغ تكلفة مشروع عملاق كهذا؟!

كم؟!

كم؟!

• • •

- "نصف مليار جنيه على الأقل".

نطق (نديم) الجواب في هدوء ورصانة كعادته، وهو يجلس خلف مكتبه الأنيق، عندما روت له الأمر كله، فارتفع حاجباها بدهشة كبيرة، وهي تهتف مستنكرة:

- نصف مليار جنيه؟! يا إلهي! ومن يمتلك مثل هذه الثروة الهائلة؟

شبك أصابع كفيه أمامه وهو يجيب بنفس الهدوء:

- ربما هي مجموعة من المستثمرين.

هتفت بنفس الدهشة:

- وكم سيربحون من مشروع كهذا؟!

صمت بضع لحظات، وهو يتطلع إليها بملامح جامدة خاوية، قبل أن يجيب في بطء يوحي بتفكير عميق:

- ربما لا يعنيهم هذا كثيرًا.

أدهشها الجواب، فحدقت فيه بدهشة، مغمغمة:

- ماذا تعني يا (نديم)؟!

أتاهما صوت هادئ رصين وقور، يجيب:

- إنه يشير إلى عملية غسيل الأموال القذرة يا بنيتي.

التفتت (غادة) في دهشة مستنكرة إلى مصدر الصوت، في حين نهض (نديم) من خلف مكتبه، وهو يبتسم في هدوء قائلاً:

- مرحبًا يا سيادة اللواء.. كم تدهشنا وتسعدنا زيارتك المفاجئة هذه.

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتي اللواء (حلمي)، وهو يلوح بملف صغير في يده، ويهز كتفيه، قائلاً:

- معذرة لدخولي بهذا الأسلوب، الذي يفتقر إلى اللياقة، ولكن عم (أحمد) لم يكن هنا، وأنا في عجلة من أمري، و....

قاطعه (نديم)، وهو يتجه إليه، ويصافحه في حرارة حقيقية:

- أنت على الرحب والسعة دومًا يا سيادة اللواء.

وابتسمت (غادة)، في محاولة لإخفاء توترها، وهي تغمغم:

- بالتأكيد..

واصل اللواء (حلمي) ابتسامته الباهتة، وهو يتجه إلى مقعد قريب، قائلاً:

- الواقع أنني كنت في الجوار، ورأيت أن أزوركما بعض الوقت.

ربت (نديم) على ركبته، قائلاً بابتسامة ودود:

- أهلاً بك في أي وقت يا سيادة اللواء.

اكتسبت ابتسامة اللواء (حلمي) بعض الحرارة، وقال، وهو يضع الملف على مكتب (نديم):

- الحقيقة أن رؤيتك تسعدني دومًا يا (نديم)، فأنت واحد من أفضل تلاميذي، وأكثرهم كفاءة وبراعة.

قالت (غادة)، في شيء من الحذر:

- كان هذا فيما مضى يا سيادة اللواء.

ابتسم اللواء (حلمي) ابتسامة كبيرة، قائلاً:

- ربما اختلفت الوسائل والمسميات، ولكن الهدف مازال واحدًا يا بنيتي.

وأدار عينيه مرة أخرى إلى (نديم)، مستطردًا:

- أليس كذلك؟!

ابتسم (نديم)، وتراجع في مقعده، قائلاً:

- بالتأكيد.

رمقت (غادة) (نديم) بنظرة جانبية دون تعليق، وتراجعت في مقعدها بدورها وعقدت ساعديها أمام صدرها، في انتظار الخطوة التالية..

ولم يطل انتظارها، فما إن ساد السكون لحظة، حتى تنحنح اللواء (حلمي)، واعتدل في مقعده، قائلاً:

- الواقع أنه هناك قضية تقلقنا بشدة، في الآونة الأخيرة.

سأله (نديم) في اهتمام:

- أية قضية؟!

هز اللواء (حلمي) كتفيه، قائلاً:

- نفس ما كنتما تتحدثان حوله الآن.. قضية غسيل الأموال القذرة.

وتنحنح مرة أخرى، قبل أن يتابع:

- من العجيب أن هذا الأمر قد انتشر على نحو مخيف، في السنوات العشر الأخيرة، وخاصة مع تكثيف الحملات ضد تجار ومهربي المخدرات، ومحاصرة مزوري العملة، وتشديد الرقابة على الحدود، والمشكلة أنه ليست لدينا قوانين للرقابة على إيرادات البنوك، مثل تلك المطبقة في الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً، والتي تحظر إيداع مبلغ يزيد على عشرة آلاف دولار، دون تحديد مصدره بدقة؛ مما أحدث فوضى في الإيداعات، أدت إلى ظهور عدد مفاجئ من المليونيرات ورجال الأعمال، أنشئوا عشرات المشروعات العملاقة، دون تحديد مصادر ثرواتهم.

غمغم (نديم):

- أمر مخيف بحق يا سيادة اللواء.

تنهد اللواء (حلمي)، وقال:

- نحن لا نستطيع بالطبع ملاحقة كل هؤلاء، ومراقبتهم، لكشف حقيقة نشاطاتهم، وما من وكيل نيابة سيسمح بالتنصت على محادثاتهم الهاتفية، أو تسجيل اجتماعاتهم؛ لأن..

صمت لحظة، قبل أن يتطلع إلى عين (نديم) مباشرة مضيفًا:

- لأن القانون يحظر هذا.

ارتفع حاجبا (غادة) في دهشة، وخيل إليها أنها قد فهمت ما يرمي إليه اللواء (حلمي)، في حين ابتسم (نديم) بنفس الرصانة، قائلاً:

- بالتأكيد.

تنهد اللواء (حلمي) على نحو يوحي بأنه يحمل في أعماقه كل هموم الدنيا، قبل أن يشير بيده، متسائلاً في شيء من الحذر:

- هل تعرف اسم (رشاد السلباوي) يا (نديم)؟!

بدا الاسم مألوفًا لـ (غادة)، فانعقد حاجباها في شدة، وهي تعتصر ذهنها لتتذكر أين سمعته أو قرأته، أما (نديم)، فقد أجاب بهدوء عجيب:

- بالطبع.. (رشاد السلباوي) اسم يتردد كثيرًا، في الآونة الأخيرة، فهو رجل أعمال، أقام في الولايات المتحدة الأمريكية لربع قرن تقريبًا، ثم عاد إلى (مصر)؛ ليقيم عددًا من المشروعات الضخمة، مثل القرى السياحية في الساحل الشمالي، وساحل البحر الأحمر، وشركات الاتصالات، والمراكز التجارية العملاقة، وغيرها.

أومأ اللواء (حلمي) برأسه موافقًا، وأضاف:

- وهو صاحب ذلك المبنى، الذي يضم جراجًا متعدد الطوابق، على مقربة من هنا.

هتفت (غادة):

- هو صاحبه؟! آه.. تذكرت الآن أين قرأت الاسم.. كان مكتوبا على لافتة كبيرة، معلقة على المبنى الذي يتم هدمه.

لم يعلق اللواء (حلمي) على عبارتها، وإنما تنهد مرة أخرى، تلك التنهيدة الملتهبة، فمال (نديم) وحده، وسأله على نحو مباشر:

- ما الذي يقلقكم بشأن (رشاد السلباوي) يا سيادة اللواء؟!

هز اللواء (حلمي) رأسه، قائلاً:

- الرجل سليم ونظيف، من الناحية القانونية، ومشروعاته كلها مقامة بإجراءات وأوراق سليمة، ولكن..

توقف عند هذه النقطة، وبدا عليه توتر أكثر، جعل (نديم) يسأله في بطء:

- ولكن ماذا؟!

لوح اللواء (حلمي) بذراعه، وكأنما يشعر بالحيرة، قبل أن يضيف:

- إننا لا نعرف شيئًا عن مصدر ثروته الضخمة هذه، فقد عاد من الولايات المتحدة الأمريكية، ليفتح حسابًا في أحد البنوك بربع مليون دولار فحسب، وبعدها وصلته ملايين الدولارات، عن طريق تحويلات بنكية مباشرة، من دول (أمريكا اللاتينية)، التي لا توجد بها تشريعات لتقنين الإيداع النقدي بالبنوك.

غمغم (نديم):

- هذا قانوني تمامًا.

أشار إليه اللواء (حلمي)، قائلاً:

- بالضبط.. والمثير للانتباه والاهتمام، هو أن المبالغ التي وصلته، والتي لا تتجاوز ستة ملايين من الدولارات، كانت آخر ما وصله من تحويلات؛ إذ أصدرت تلك الدول، في (أمريكا اللاتينية) تشريعات جديدة، جعلت تحويل مثل هذه المبالغ الضخمة أمرًا مستحيلاً، وعلى الرغم من هذا، فقد بدأ في إقامة مشروعات عملاقة، تتكلف عشرات الملايين من الدولارات، بما يفوق مركزه المالي عدة مرات.

سأله (نديم) في اهتمام:

- ولماذا لم يتم سؤاله عن مصدر أمواله؟!

تنهد اللواء (حلمي)، قائلاً:

- الرجل له نشاط اجتماعي وسياسي كبير، وصلاته بعدد من كبار المسئولين، تضفي عليه نوعًا ما من الحصانة غير الرسمية، بحيث لا يمكننا توجيه أية اتهامات إليه، دون أدلة قوية حاسمة، لا تقبل الشك.

ثم تراجع على مقعده، ورمق (نديم) بنظرة جانبية، مضيفا:

- ولا يمكننا أن نحصل على تلك الأدلة، بشكل قانوني محض.

تراجع (نديم) بدوره، وهو يقول في بطء وحذر:

- يمكنني استيعاب هذا.

نقلت (غادة) بصرها بينهما في دهشة عارمة، وهي تتساءل: ما الذي يحدث بالضبط؟!

ما الذي يحاول اللواء (حلمي) إبلاغه لـ (نديم)؟!

ترى هل.....................؟

قبل أن يكتمل التساؤل في أعماقها، كان (نديم) يسأل في اهتمام:

- أهذه نقطة الشك الوحيدة؟!

هز اللواء (حلمي) رأسه نفيًا، وهو يجيب:

- كلا.. هناك أيضًا تلك الأموال الطائلة، التي يقوم (رشاد السلباوي) بتحويلها إلى حساب شركته، في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي شركة بدأت صغيرة بسيطة، ثم لم تلبث أن تحولت، بفضل تحويلاته الضخمة، إلى شركة من أكبر شركات (لوس أنجلوس)..

غمغم (نديم)، وكأنه يحدث نفسه:

- والأموال التي يتم تحويلها من هنا، تعتبر بالنسبة للقانون الأمريكي، واردة من مصدر

معلوم، ولا جناح على إيداعها هناك.

هتف اللواء (حلمي):

- بالضبط.

ثم نهض من مقعده، ودار حول مكتب (نديم)، وهو يضيف:

- إنها باختصار، عملية تهدم اقتصاد (مصر) كله، وأمنها وسلامتها على المدى الطويل، ولكنها لعبة تتم على نحو قانوني ماكر، بحيث تعجز نحن، كجهاز أمن رسمي، عن التصدي لها، ولكن..

امتدت يده في هدوء نحو جزء خفي من الجدار، خلف مكتب (نديم) مباشرة، وضغطه في رفق، وهو يوليه ظهره مكملاً:

- ربما كان هناك من يمكنه السعي وراء العدالة، دون التقيد بكل تعقيدات القانون.

كاد قلب (غادة) يقع بين قدميها، عندما انكشفت تلك الفجوة في الجدار، إثر ضغطة اللواء (حلمي)، ليظهر خلفها زي أسود اللون، مع قناع من اللون نفسه، لم يلقِ عليهما اللواء (حلمي) نظرة واحدة، وهو يبتسم مكررًا:

- ربما.

قالها وغادر المكتب بخطوات ثابتة قوية، دون أن يحاول الالتفات إلى زي (العقرب) لحظة واحدة، في حين حبست (غادة) أنفاسها بقوة، حتى أغلق الباب خلفه، فهتفت في ذعر:

- رباه! إنه يعرف كل شيء.

ارتسمت ابتسامة على شفتي (نديم)، وهو يقول:

- بالتأكيد.

نطقها، ثم التفت إلى ذلك الملف الذي تركه اللواء (حلمي) عمدًا على سطح مكتبه، وفتحه ليلقي نظرة على محتوياته، قبل أن تتسع ابتسامته في ثقة وارتياح..

فالملف كان يضم كل المعلومات الممكنة عن الهدف الجديد..

عن (رشاد)..

(رشاد السلباوي)..

• • •

مهمة رسمية



2- عودة (العقرب)..

"كل شيء قانوني تمامًا".

نطق (إدوارد)، محامي (رشاد السلباوي) العبارة في خبث، وهو يبتسم ابتسامة واسعة عريضة، ويغمز بعينه، مضيفًا:

- حتى الشحنة الأخيرة، التي وصلت إلى الجمارك صباح اليوم، أوراقها كلها سليمة تمامًا.

غمغم (رشاد) في خشونة:

- أمر طبيعي.

وصمت لحظة، قبل أن يضيف في صرامة:

- المهم ألا نفقد ورقة واحدة.

اتسعت ابتسامة (إدوارد)، وهو يقول:

- لا توصني.. أنا أعرف كل شيء، وأشرف عليه بنفسي.

تمتم (رشاد) في اقتضاب:

- عظيم.

وعاد يخفي وجهه بين الأوراق التي يطالعها، متابعًا:

- أخبرني عندما تصبح الشحنة كلها في مخازننا، وأبلغ شركاءنا في (لوس أجلوس) أننا سنقوم بتحويل المبلغ المعتاد إليهم، في نهاية الأسبوع.

تساءل المحامي، في شيء من الخبث:

- مليونا دولار كالمعتاد؟!

أجابه (رشاد) في صرامة:

- أنت تعرف أكثر مني.

ران عليهما الصمت بضع دقائق، بعد هذه العبارة الأخيرة، انشغل خلالها (رشاد)، أو تشاغل، بمطالعة بعض أوراقه، وكأنما يعلن محاميه بانتهاء المقابلة، إلا أن هذا الأخير لم يبرح مقعده، وإن لاذ بالصمت أيضًا، وظل يتطلع إليه بنظرة صارمة غاضبة، قبل أن يقطع الصمت بغتة، قائلاً:

- بلغني أنك تنوي ترشيح نفسك، في انتخابات مجلس الشعب القادمة.

انعقد حاجبا (رشاد) في شدة، وكأنما بوغت بالعبارة، لم يلبث أن خلع منظاره بنفس البطء، الذي رفع به عينيه إلى المحامي، قائلاً في شيء من الشراسة، لم يستطع كبحه:

- وماذا في هذا؟!

قال المحامي بصرامة:

- كان ينبغي أن تستشير الأصدقاء في (لوس أنجلوس) أولاً.

زمجر (رشاد)، قائلاً في حدة:

- وما شأنهم بأمر كهذا؟! من الطبيعي أن أسعى بكل السبل، لدعم موقفي هنا، وعضوية مجلس الشعب تمنحني حصانة قانونية، وسلطة كبرى، يحتاج إليها العمل.

هتف المحامي:

- خطأ يا (رشاد) بك.. خطأ.. عضويتك لمجلس الشعب ستضعك في دائرة الضوء، وتحت اهتمام ورقابة رجال الصحافة، الذين كشفوا من قبل تورط بعض أعضاء مجالس الشعب السابقة في تجارات غير مشروعة؛ مما دفع المجالس إلى سحب عضويتهم، وتقديمهم للمحاكمة.

صاح (رشاد)، وهو ينهض من خلف مكتبه بحركة حادة:

- أغبياء! الصحافة لا تتوقف عن النبش خلفنا، سواء أكنت عضوًا في مجلس الشعب أو لا. ربما كان هؤلاء الأصدقاء الأمريكيون عباقرة في مضمارهم، ولكنهم يجهلون كل شيء عن طبيعة شعبنا وحياتنا، ولا يدركون أن حصانة كهذه تمنحك القوة على تجاوز كل القوانين، و....

قاطعه فجأة أزيز جهاز الاتصال الداخلي الخاص على مكتبه، فبتر عبارته بغتة، على الرغم من احتقان وجهه، وضغط زر الاتصال، قائلا بصوت مختنق، لم يفارقه الانفعال بعد:

- ماذا هناك يا (تسرين)؟!

أجابته سكرتيرته الحسناء، في صوت خافت حذر:

معذرة يا (رشاد) بك، ولكن هنا شخص يصر على مقابلتك شخصيًا.

هتف في حدة:

- مقابلتي أنا؟! ومن هو بالضبط؟!

صمتت لحظة، قبل أن تجيب في حذر:

- محامٍ شاب، يدعى (نديم فوزي).

قال في عصبية:

- (نديم فوزي)؟! وماذا يريد محامٍ شاب مني شخصيًا؟! لماذا لم يلتقِ بأحد أفراد الشئون القانونية؟!

لم يكد (إدوارد) يسمع اسم (نديم)، يتردد على شفتي (رشاد)، حتى انتفض جسده في عنف، وهب من مقعده بوثبة مباغتة، وأمسك يد (رشاد)، هاتفًا بصوت مبحوح، يموج بالانفعال:

- دعه ينتظر لحظة.

حدق فيه (رشاد) بدهشة مستنكرة، فتابع (إدوارد)، وهو يضغط زر إنهاء الاتصال مستطردًا في توتر:

- أريد منك أن تلتقي به.

انعقد (حاجبا (رشاد) في غضب، ولكنه عاد يضغط زر الاتصال، قائلاً لسكرتيرته:

- فليكن.. دعيه ينتظر بضع لحظات، وسألتقي به فورًا.

ثم أنهى الاتصال، وهو يلتفت إلى محاميه، هاتفًا في حنق:

- ما معنى هذا بالضبط؟! لماذا تريد أن ألتقي بمحام شاب تافه؟!

تراجع (إدوارد)، وأشعل سيجارته في عصبية، وهو يقول:

- (نديم فوزي) محام شاب بالفعل، ولكنه ليس تافهًا أبدًا.. وزيارته لك شخصيًا، تعني أنه قد وضعك على قائمته، وهذا أمر مقلق للغاية.

حدق (رشاد) فيه بدهشة، قبل أن يهتف ساخطا:

- ما الذي يعنيه كل هذا بالضبط؟! تتحدث عن ذلك المحامي الشاب، وكأنه (سوبرمان) مثلاً.

هز المحامي رأسه، وهو ينفث دخان سيجارته في توتر، قائلاً:

- إنه ليس كذلك بالتأكيد، ولكنه أيضًا شخص لا يستهان به.. ربما تجده شابًا هادئًا رصينًا، بسيطًا، عندما تلتقي به في شخصيته المعلنة، ولكنني واثق من أنه لن يروق لك أبدًا أن تلتقي به في شخصيته الأخرى.

حدق فيه (رشاد) بدهشة أكبر، وهو يقول:

- شخصية أخرى.. أهو مصاب بازدواج في الشخصية؟!

ابتسم (إدوارد) في سخرية عصبية، نفث بها دخان سيجارته مرة أخرى، قبل أن يجيب:

- نعم.. ولكنه ازدواج لن يروق لك أبدًا.. ازدواج من نوع بالغ الخطورة، فما إن يستثير حماسه أمر ما، حتى يتحول إلى....

ومال نحو (رشاد) بشدة، مضيفا:

- عقرب.

اتسعت عينا (رشاد) أكثر، وحملت ملامحه بلاهة لا يتميز بها أبدًا، فتراجع (إدوارد)، قائلاً:

- دعك من التفكير الطويل، فلنلتقِ به أولاً؛ لنعرف ماذا يريد منا، ثم أشرح لك كل شيء فيما بعد.

بقي (رشاد) على دهشته لحظات، ثم لم يلبث أن هز رأسه، وكأنما ينفض عنه كل هذا، قبل أن يشير بيده، قائلاً:

- فليكن.. سنلتقي به.

نطقها بتوتر شديد، لم يفارقه لحظة واحدة، وهو يستقبل (نديم) في مكتبه، ويفحصه من قمة رأسه، وحتى أخمص قدميه، متسائلاً في حذر:

- أهلاً يا سيد (نديم).. هل لي أن أعرف سر هذه الزيارة المفاجئة، وسر إصرارك على مقابلتي شخصيًا؟!

جلس (نديم) على المقعد المواجه لمكتب (رشاد)، دون أن يدعوه هذا الأخير لذلك، ...مة (إدوارد)، الذي يقف عند النافذة صامتًا، بنظرة لا مبالية، وهو يقول:

- لقد أقمت دعوى قضائية ضدك يا سيد (رشاد)، وأردتك أن تعرف بأمرها، قبل أن ...صلك عريضة الدعوى رسميًا.

انعقد حاجبا (إدوارد) في توتر، غير مصدق أن يكون هذا هو السبب الحقيقي لزيارة (نديم)، في حين قال (رشاد) في عصبية:

- دعوة قضائية؟! بشأن ماذا؟!

هز (نديم) كتفيه في بساطة، قائلاً:

- إنك تفسد البيئة، بذلك المبنى الحديث الضخم، الذي ستقيمه في وسط المدينة، ...راره جزء من التلوث البصري، و....

قاطعه (رشاد) في حدة:

- هذا فقط؟!

ابتسم (نديم) ابتسامة غامضة، استفزت الرجل أكثر، فهب من خلف مكتبه، مستطردًا في غضب:

- هل طلبت مقابلتي شخصيًا لسبب تافه كهذا؟!

اتسعت ابتسامة (نديم)، وهو ينهض في هدوء، قائلاً:

- هل تعتبر تشويه البيئة سببًا تافهًا يا سيد (رشاد)؟

انعقد حاجبا (رشاد) في ثورة، وتجاهل إشارة (إدوارد) المتوترة، وهو يضغط زر جها الاستدعاء على مكتبه، قائلاً:

- إنه كذلك بالتأكيد.

لم تمض لحظة على ضغطة الزر، حتى ظهرت السكرتيرة (نسرين) على عتبة الحجرة بصحبة اثنين من رجال أمن الشركة، أشار إليهما (رشاد)، قائلاً في حدة:

- اصطحبا السيد (نديم) للخارج.

تحرك الحارسان نحو (نديم) بعدوانية ظاهرة، إلا أنه ظل على هدوئه، وهو يتجه إلى الباب، قائلاً:

- ستصل عريضة الدعوى بعد غد على الأكثر.

صاح (رشاد) في حدة:

- لا تسمحوا له بمقابلتي مرة أخرى.

احتقن وجه (إدوارد)، والحارسان يصطحبان (نديم) خارج الحجرة، وما إن أغلقا الباب خلفهما، حتى قال في حدة عصبية:

- خطأ يا (رشاد) بك.. خطأ.. ما كان ينبغي أن تفقد أعصابك أبدًا.

صاح (رشاد):

- ألم تسمع ما قاله ذلك الوقح؟!

قال (إدوارد) في توتر:

- (نديم) لم يكن ليبلغك بأمر دعوى كهذه حتمًا.. إنه يحاول دراسة شخصيتك ورد أفعالك.

ثم انعقد حاجباه في شدة، وهو يتطلع إلى المقعد الذي غادره (نديم) منذ لحظات مضيفًا في عصبية:

- أو أن له هدفًا آخر.

ازداد انعقاد حاجبيه، عندما بلغ هذا الحد من التفكير، واندفع يلتقط جهاز الهاتف الداخلي، ويضغط أزراره في سرعة، ثم يقول:

- (جابر).. اسمعني جيدًا.. هناك محام شاب سيغادر المكان الآن.. أرسل خلفه أحـ رجالنا.. أريد أن أعرف أين سيذهب، ومن سيقابل.. نعم.. أريده أن يلازمه كظله، حتى إشعـ

آخر.. اسمعني أيضًا.. أريد منك أن تصعد بنفسك، لفحص حجرة مكتب (رشاد) بك.. نعم.. هناك احتمال لا يمكن تجاهله.

لم يكد ينهي المحادثة، حتى هتف (رشاد) في غضب:

- يفحص مكتبي؟! أي هراء هذا؟! ما الذي تتوقعه بالضبط؟!أجهزة تنصت؟!

قال (إدوارد) في صرامة عصبية:

- ولمَ لا؟!

اتسعت عينا (رشاد) في ارتياع، وهو يهتف:

- يا إلهي! أهذا ممكن؟!

بدا المحامي أشبه بالشيطان ذاته، وهو يدير عينيه في الحجرة بتوتر بالغ، قائلاً:

- إنه أحد الاحتمالات القوية، وإلا فلماذا جاء (نديم) لمقابلتك شخصيًّا؟! لماذا؟!

نعم أيها المحامي الثعلب..

هذا هو السؤال..

لماذا جاء (نديم)؟!

لماذا؟!

لماذا؟!

• • •

"لقد أرسلوا من يتبعك بالفعل".

نطقتها (غادة) في سخرية، وهي تختلس النظر، من خلف ستارة النافذة السميكة، إلى الرجل الذي يقف على الإفريز المواجه للبناية، متظاهرًا باللامبالاة، وهو يراقب المكان جيدًا، فابتسم (نديم) في هدوء، وهو يقول:

- عظيم.

سألته في دهشة مستنكرة:

- لماذا دفعتهم إلى هذا؟!

هز كتفيه، مجيبًا:

- أنا لم أدفعهم إلى أي شيء.. كل ما فعلته هو أن ذهبت لزيارتهم، ولكن شعورهم بالخطر هو الذي دفعهم لإرسال أحد رجالهم خلفي.

ثم تراجع في مقعده بهدوء، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه، مضيفًا:

- وهذا، من وجهة نظري، اعتراف بالذنب.

التقى حاجباها، وهي تشير بسبابتها، قائلة:

- السؤال هو: هل يتعقبون (نديم فوزي) المحامي، أم...

ومالت نحوه، مضيفة بلهجة ذات مغزى:

- أم (العقرب).

اتسعت ابتسامته، وهز كتفيه، قائلاً بنفس الهدوء:

- من الناحية المنطقية، ليس هناك سبب واحد، يدعوهم لإرسال أحد رجالهم، ليتعقب محاميًا، بسبب دعوى بيئية أقامها ضدهم.. وليس من المنطقي أيضًا، أن يعرف أشخاص عاديون، لا هم لهم سوى التجارة وانشاء المشروعات المختلفة، أن (نديم فوزي)، هو في حقيقة الأمر مكافح سري للجريمة، يحمل اسم (العقرب).

ونهض من خلف مكتبه، واتجه بدوره إلى النافذة، مضيفًا:

- وكل هذا يعني أننا نسير في الطريق الصحيح، وأن (رشاد السلباوي)، ومن خلفه، ليسوا مجرد رجال أعمال كبار.. إنهم في الواقع من العمالقة.

واختلس نظرة إلى الرجل الذي يراقب المكان، مكملاً في حزم:

- عمالقة الجريمة.

لم يرق لها كثيرًا ما سمعته، فقالت في توتر:

- ما تقوله بالغ الخطورة يا (نديم)، فهو لا يعني أنك تواجه عتاة إجرام فحسب، ولكن يعني أيضًا أنه لم يعد هناك غطاء قوي، على حقيقة شخصيتك.

صمت لحظة، قبل أن يجيب في حزم:

- لقد انكشف الغطاء، منذ نزعت الإمبراطورة قناعي أمام رجالها، منذ عام أو يزيد، وأنت تعلمين، بحكم عملنا السابق كضابطي شرطة، أن الأخبار تنتشر بسرعة مدهشة، في العالم السفلي.

هتفت في ارتياع:

- رباه! هذا يعني أننا سنواجه الخطر طوال الوقت.

قال في صرامة:

- إننا نواجهه بالفعل طوال الوقت.

ثم رفع رأسه إليها، مضيفًا:

- ولكن الأمر يختلف كثيرًا هذه المرة.

قالها، واتجه إلى ما خلف مكتبه، وضغط الزر الخفي في الجدار؛ لتتكشف الفجوة التي تحوي زيه الأسود، وهو يكمل:

- فالعقرب لا يعمل هذه المرة منفردًا.. إنه يعمل من خلال مهمة.

وتراقصت ابتسامة جذلة أمام شفتيه، وهو يضيف في حزم:

- مهمة رسمية.

وأدركت (غادة) أن (العقرب) قد عاد إلى عالم مكافحة الجريمة..

وبكل قوته..

• • •

مهمة رسمية

3- الشحنة..

فغر (رشاد) فاه في ذهول، وهو يحدق في وجه محاميه، ويستمع إليه في دهشة ما بعدها دهشة، والأخير يروي له كل ما يعرفه عن (نديم فوزي) و(العقرب)..

ولدقيقة كاملة، بعد أن انتهى (إدوارد) من روايته، ظل (رشاد) صامتًا، ذاهلاً، مصدومًا، قبل أن ينتزع نفسه من كل هذا في عنف هاتفًا:

- مستحيل! لا يمكن أن يكون لدينا شيء كهذا في (مصر).. مستحيل!

قال المحامي في صرامة:

- لكل شيء بداية.

لوح (رشاد) بذراعه، هاتفًا:

- إلا هنا.. (مصر) ليست (المكسيك) أو(نيويورك)، ليظهر فيها (زورو) أو (باتمان).. إننا شعب مختلف تمامًا.. حتى إنك لو حولت ما أخبرتني به إلى فيلم سينمائي، لما صدقه مشاهد واحد، ولاتهموك بالمبالغة والتخريف.

قال المحامي بصرامة أكثر:

- ربما، ولكن ما أخبرتك به واقعي وصحيح تماما، وأخشى أن تتطور الأمور، لتواجهه بنفسك.

تراجع (رشاد) بحركة حادة، هاتفًا في هلع:

- أواجهه؟!

قال المحامي في شراسة:

- نعم.. لو ظللت تولول كالأرامل، بدلاً من أن تستوعب الأمر، وتتصدى له بالصرامة اللازمة.

هتف (رشاد)، وهو يواصل تراجعه المذعور:

- أتصدى له؟! أنت تعلم أنني لا أستطيع هذا.. تلك الأمور من اختصاصك أنت.

اعتدل (إدوارد)، مجيبًا:

- بالتأكيد.. كلانا يعلم هذا، وكذلك الأصدقاء في (لوس أنجلوس)؛ لهذا استخدموك كواجهة أنيقة فحسب، في حين وضعوا كل السلطات الأخرى في قبضتي أنا.

لوح (رشاد) بذراعه، قائلاً في عصبية:

- فليكن أيها المتباهي.. تولَّ أنت الأمر كله، وتذكر أنني لا أريد أن أعرف ما ستفعله.

قال (إدوارد) في سخرية متوترة:

- رقة المشاعر وحساسية الدم مرة أخرى: لست أدري كيف يمكن لمثلك أن يعمل معنا
هتف (رشاد) في حدة:

- تذكر أنهم هم سعوا إليّ، ولم أسعَ أنا إليهم.

قال المحامي في سخرية:

- ربما لأنك الطراز الذي يحتاجون إليه بالضبط.. الطراز الذي يعمل بناء على الأوامر، ويجيد الحديث واللباقة فحسب، ولكنه لا يجرؤ على خداعهم، أو الاستيلاء على أموالهم، بأية صورة كانت.

صاح به (رشاد):

- أنت حقير.

هز (إدوارد) كتفيه، ودس كفيه في جيبي سرواله، قائلاً:

- هذا أحد مقومات وظيفتي.

ثم ترك حاجبيه يلتقيان، وهو يتحرك في المكان، متابعًا:

- الشيء الوحيد المؤكد الآن هو أن (العقرب) يدس أنفه في شئوننا، وهذا يعني أنه، لسبب ما، يشك في أمرنا، ويستعد لجولة قريبة معنا، وهذا نذير بسيل من المتاعب، لا يمكننا معرفة أو تحديد مداه، ولا يمكننا أيضًا أن نجلس، في انتظار قدومها.. لابد أن نكون أول من يتحرك، و...

قبل أن يتم عبارته، ارتفع رنين هاتفه المحمول بغتة، فاختطفه من جيبه في سرعة، وضغط زر الاتصال، قائلاً في لهفة:

- من المتحدث؟!

انعقد حاجباه في شدة، وهو يستمع إلى محدثه، قبل أن يسأله في توتر:

- ما الموقف الآن يا (جابر)؟!

احتقن وجهه بشدة، وهو يصرخ:

- ماذا؟!

انتفض قلب (رشاد) في صدره هلعًا، وامتقع وجهه بشدة، وهو يهتف:

- ماذا حدث؟! ماذا حدث؟!

ولكن المحامي تجاهله تمامًا، وهو يصرخ عبر الهاتف:

- أغبياء.. حمقى.. ما كان ينبغي أن يحدث هذا أبدًا.. قل لهؤلاء الأوغاد أن يبذلوا

قصارى جهدهم للعثور عليه.. هل تفهم؟!

أنهى المحادثة في عصبية زائدة، فأمسك (رشاد) كتفيه في ذعر، هاتفًا:

- أخبرني ماذا حدث بالله عليك!

التفت إليه المحامي بوجه محتقن، هاتفًا:

- لقد فقدوا أثره..

تراجع (رشاد) كالمصعوق، وهو يهتف بصوت مختنق:

- فقدوا أثره؟!

لوح المحامي بذراعه، وهو يقول في عصبية:

- ذلك الشيطان خدعهم، وتسلل من تحت أنفهم، واختفى.. اختفى تمامًا.

انتفض جسد (رشاد) كله هذه المرة، وهو يهتف:

- اختفى؟! يا إلهي!! وماذا ستفعل الآن؟! ماذا سنفعل؟!

أشار إليه المحامي في صرامة عصبية، قائلاً:

- اصمت يا رجل.. كف عن الارتجاف هكذا كالنساء، ودعني أحاول التفكير في هدوء.

أمسك به (رشاد) في رعب، وهو يردد:

- ولكنه سيهاجمنا.. أليس كذلك؟! سينقض علينا بغتة، كما فعل مع من قبلنا، و...

قاطعه المحامي بصرخة هادرة:

- قلت اصمت.

ارتجف (رشاد) في رعب، كطير ذبيح، وهو يلقي نفسه على مقعده في انهيار، في حين راح المحامي يتحرك في المكان في عصبية، قائلاً:

- لقد أدرك إذن أننا نراقبه.. بل ربما كان هو من دفعنا إلى هذا؛ ليتبين حقيقة أمرنا.. يا للسخافة! وأنا وقعت في الفخ كالغر الساذج، ولم أترو لأمنح نفسي مهلة للتفكير.. يا للغباء! يا للغباء! كان ينبغي أن أتمهل، قبل أن أقدم على هذه الحماقة.

ضاعف حديثه العصبي من ارتياع (رشاد) ورعبه، ولكنه لم ينبس ببنت شفة، وإنما اكتفى بمراقبة المحامي بعينين زائغتين، وهذا الأخير يواصل حديثه مع نفسه، قائلاً بكل عصبية:

- ولكن لماذا هرب منهم؟! ما الذي يسعى إليه بالضبط؟! إلى أين أذهب أنا، لو كنت في مكانه؟!

وتوقف بغتة، وهو يعتصر ذهنه، بكل ما يمتلك من قوة وطاقة، مكملاً:

- أين يمكن أن يكون الآن؟ أين؟!

نعم أيها المحامي الثعلب..

أين؟!

• • •

أوقفت (غادة) سيارة (نديم) في حذر، إلى جوار أكبر مخازن شركات (رشاد السلباوي)، وهي تقول في توتر:

- اقتحامك لمخزن (السلباوي) بهذه السرعة، مغامرة غير مأمونة العواقب.

ابتسم (نديم)، وقال، وهو يرتدي قفازيه السوداوين:

- على العكس يا عزيزتي.. القاعدة التي أثبتت نجاحها دومًا، وهي ضرورة طرق الحديد وهو ساخن..

ثم التقط قناعه من جيبه، ووضعه على وجهه، مكملاً:

- هؤلاء الأوغاد تحركوا فور مغادرتي شركتهم، ولو تأخرنا نحن في خطوتنا سنمنحهم الوقت لاتخاذ كل التدابير اللازمة؛ لمنعنا من بلوغ أهدافنا.

كانت تشعر بقلق مبهم، في هذه الليلة بالذات؛ مما جعلها تسأله:

- وما الذي تتوقع العثور عليه في المخزن؟! الشحنة التي تسلمها (السلباوي) اليوم، تم فحصها جيدًا جدًا، بواسطة ضباط الأمن والجمارك، وتقريرهم يؤكد أنها سليمة تمامًا، ولا تحوي أية أشياء ممنوعة.

عقد قناعه جيدًا، وهو يقول:

- ربما لا يمكنني الاقتناع بأن (رشاد السلباوي) يمكن أن يستورد شحنة من الكتب الثقافية..

غمغمت في قلق:

- ربما هي محاولة لتغطية شحنة أخرى قادمة.

هز كتفيه، قائلاً:

- ربما.

ثم غادر السيارة، مستطردًا في حزم:

- وهذا ما على (العقرب) أن يكشفه.

ارتجفت شفتاها، وهي تقول:

- انتبه جيدًا الليلة.

ابتسم، وهو يشير إليها، مجيبًا:

- وأنت.. لا تغادري السيارة أبدًا.

غمغمت:

- سأحاول.

أشار إليها بيده مرة أخرى، وهو يتجه نحو المخزن في خفة، ثم سرعان ما تلاشى وسط الظلام..

وفي توتر لا مثيل له، ارتجف قلبها بين ضلوعها، وعقلها يتساءل: لماذا تشعر بكل هذا القلق الليلة؟!

لماذا؟!

أما هو، فقد تسلق أحد الأعمدة الخشبية الملاصقة لجدار المخزن، في سرعة ورشاقة، قبل أن يثب على سطحه في خفة، ثم يتجمد في مكانه، وعيناه تدوران فيما حوله في حذر..

لا حراسة على السطح..

نقطة في صالح (رشاد)، توحي بأن الشحنة لا تحوي ما يمكن أن يخشى ضياعه أو كشفه..

ولكن كتب ثقافية؟!

لا..

ليس هذا الطراز من البشر..

هناك شيء ما يختفي حتمًا، وراء تلك الشحنة الثقافية..

ودون أدنى شك..

جمد في مكانه لدقيقتين كاملتين، ثم عاد يتحرك بمنتهى الخفة بحثًا عن مدخل إلى المخزن..

وكان الأمر أسهل مما تصور..

لقد عثر على نافذة علوية، غير مغلقة، ولا يحيط بها أي حراس..

وبمرونته المعهودة، ربط طرف الحبل الذي يحمله، في إطار النافذة المعدني، ثم تدلى بواسطته إلى داخل المخزن..

كان المكان غارقًا في ظلام دامس، فيما عدا الضوء الخافت، المتسلل من النوافذ، والذ

يحمل لمحة من ضياء القمر..

ولكنه لم يشعل مصباحه اليدوي..

فقط توقف في مكانه صامتًا ساكنًا، حتى اعتادت عيناه ذلك الضوء الخافت، ثم عاد يتحرك في خفة..

كان المخزن ضخمًا، يحتل ما يزيد على ألفي متر، توزعت فيها صناديق البضائع على نحو متناثر غير منتظم، لا يتفق مع شركة ضخمة شهيرة، مثل شركة (السلباوي)..

ولكن (العقرب) كان يبحث عن شحنة بعينها..

تلك الشحنة التي وصلت ظهر اليوم، والتي لم يتم فرزها والتعامل معها بعد..

ولقد عثر عليها، في الركن الشمالي من المخزن..

ما يقرب من ثلاثمائة صندوق من الورق المقوى، محاطة بإحكام، بأشرطة معدنية رفيعة، تضمن قوتها وتماسكها، وهي متراصة بعضها فوق البعض، في عشرة صفوف متجاورة..

وفي رشاقة وسرعة، تسلق (العقرب) ذلك الهرم من الصناديق، ثم اخرج مطواته السويسرية، وراح يعالج أحد الصناديق، حتى فتحه، والتقط من داخله أحد الكتب، وراح يتأمله في اهتمام، على الضوء الخافت..

إنها كتب ثقافية بالفعل..

موسوعات بالغة الأناقة، ذات غلاف أحمر زاهٍ من الجلد الطبيعي، المزدان بنقوش ذهبية، تمنحه فخامة تفوق المعتاد..

ترى أهذا كل ما تحويه الشحنة؟!

فحص الكتاب عدة مرات، في اهتمام بالغ، ثم لم يلبث أن دسه في قميصه، مغمغما:

- الأمر يحتاج إلى فحص أكثر دقة.

لم يكد ينطقها، حتى اشتعلت أضواء المخزن بغتة..

وعلى الرغم من التوتر الشديد، الذي سرى في كل ذرة من كيانه، إلا أنه ثبت في مكانه لحظة وقد بهر الضوء المباغت عينيه، وأجبره على إغلاقهما، و....

"كنت واثقًا من أنني سأجدك هنا".

اخترقت العبارة الساخرة الشامتة أذنيه، ففتح عينيه في حركة سريعة، وحدق في ذلك المشهد أمامه..

فهناك، وعند كومة أخرى مجاورة من الصناديق، كان يقف (إدوارد)، محامي (رشاد

السلباوي)، وحوله أربعة من رجال الأمن الأقوياء، وهو يتابع في ثقة:

- يبدو أنني نجحت في قراءة أفكارك هذه المرة، أيها (العقرب).

كان الموقف عصيبًا يوحي بالعصبية بالفعل، إلا أن (العقرب) تطلع في صمت، وهو يقول:

- عظيم.. والآن وبعد أن قرأت أفكاري، وعثرت عليَّ هنا، ماذا تنوي أن تفعل؟! هل ستقتلني بحجة أنني دخلت مخزن رئيسك خلسة؟!

ارتفع حاجبا المحامي، في دهشة مصطنعة، وهو يقول:

- أقتلك؟! يا لها من فكرة!

ثم عادت أساريره تنبسط، في ثقة شامتة، وهو يضيف:

- خطأ أيها (العقرب).. خطأ.. أنا رجل قانون، وكل ما أفعله قانوني مائة في المائة.. لقد شككت في أنك تنوي سرقة مخازننا، واتخذت الإجراء القانوني تمامًا.

"هذا صحيح".

جاءت العبارة الأخيرة، من خلف مجموعة من الصناديق المجاورة، وعلى إثرها اندفع فريق من رجال الشرطة، من كل صوب، وصوبوا مدافعهم الآلية إلى (العقرب)، ثم لحقهم صاحب العبارة، وعيناه تتألقان في ظفر، وهو يتابع:

- ولقد كانت فرصة لا يمكن أن أضيعها؛ لألتقي بك وجهًا لوجه على الأقل.

وانعقد حاجبا (العقرب) في شدة..

فذلك القادم، كان آخر شخص يتمنى رؤيته، في مثل هذه الظروف..

لقد كان عدوه الأول، في صفوف الشرطة، والرجل الذي اعتبر أن هدفه الأول في الحياة هو الإيقاع بـ(العقرب)..

كان (مجدي)..

العقيد (مجدي)..

• • •

مهمة رسمية

4- الفـــخ..

كان من الواضح أن الموقف شديد التعقيد، وفي غير صالح (العقرب)، على طول الخط؛ فهو داخل مخزن يمتلكه (رشاد السلباوي)، ويحيط به رجال الشرطة بمدافعهم الآلية، ويواجه (إدوارد)، المحامي الثعلب، مع العقيد (مجدي)، رجل الشرطة، الذي لا هم له في الحياة سوى إثبات أن (نديم فوزي) ضابط الشرطة السابق، والمحامي الحالي، هو نفسه (العقرب)..

وفي موقف كهذا، لم يعد الأمر عسيرًا على الإطلاق..

يكفي أن يتقدم (مجدي) نحوه، وينزع قناعه، و...

"أظنك قد وقعت أخيرًا يا سيد (نديم)".

نطقها (مجدي) في ظفر شامت مبتهج، وهو يتطلع إلى (العقرب)، بقناعه الأسود، الذي يخفي معظم ملامحه، في حين ارتسمت ابتسامة كبيرة على شفتي (إدوارد)، وهو يلوح بيده، قائلًا:

- أرأيت؟! كل شيء قانوني مائة في المائة.

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي (العقرب)، وهو يلتقط الكتاب ذا الغلاف الأحمر الفاخر، من طيات ثيابه، ويرفعه إلى جوار وجهه، قائلًا:

- حتى هذا؟!

احتقن وجه (إدوارد) بشدة، وانقلبت سحنته على نحو مدهش، وهو يحدق في الكتاب، حتى إن حاجبي (مجدي) انعقدا في توتر، وهو يسأل في عصبية:

- ما أهمية هذا الكتاب بالضبط؟!

لم يبدُ حتى أن (إدوارد) قد سمعه، وهو يهتف برجال الأمن الأربعة، الذين يحيطون به:

- استعيدوا هذا الكتاب منه.. بسرعة.

لم يكد هتافه يكتمل، أو ربما قبل هذا بلحظة، حتى اندفع رجال الأمن الأربعة نحو (العقرب)، في شراسة عنيفة، وانتزع أحدهم مسدسه بحركة حادة، فصرخ العقيد (مجدي) في عصبية آمرة:

- لا تطلقوا النار.

اقترنت آخر حروف كلماته بفرقعة مكتومة..

ثم انقطع التيار الكهربي دفعة واحدة..

ومع انعدام الرؤية، دوى في المكان صوت طلق ناري، والتمع وهج رصاصة، مقترنًا بصرخة (مجدي)، وهو يقفز

- قلت: لا تطلقوا النار

ولكن صرخته ضاعت وسط هرج ومرج عجيبين، سادا المكان، وسط الظلام الدامس، بدا وكأن الجميع يتحركون على نحو عشوائي متخبط، وظهر وهج رصاصة أخرى، مقترنًا بدويها، مع صرخة (مجدي) الغاضبة:

- أغلقوا كل المداخل.. إنكم تفسدون كل شيء.

لم يكد يتم عبارته، حتى فوجئ بأصابع قوية تنغرس في كتفه، وسمع من يهمس في أذنه، بلهجة صارمة:

- لو أنني في مكانك، لما غادرت قبل أن أفحص هذه الكتب الأنيقة.

استدار بسرعة إلى مصدر الصوت، صارخًا:

- إنه هنا.

ولكن أصابعه قبضت على الفراغ، في نفس اللحظة التي انتزعت فيها تلك الأصابع القوية من كتفه، وارتفعت في الظلام ضحكة ساخرة مستفزة..

ضحكة (العقرب)..

وبكل غضبه وثورته، صرخ (مجدي):

- أغلقوا كل الأبواب.

وتبعه (إدوارد)، صائحًا:

- لا تسمحوا لأحد بالخروج من هنا.. سيعمل مولد الطوارئ بعد دقيقة واحدة.

واندفع الرجال يتخبطون ويتصادمون، وسط الظلام الدامس، وارتفعت الصرخات الغاضبة من كل صوب..

ثم بدأ المولد الاحتياطي عمله، واشتعلت الأضواء كلها دفعة واحدة، لتغمر المخزن كله، وبحركة واحدة، التفتت العيون كلها إلى حيث كان يقف (العقرب)، ثم اندفعت تبحث في كل صوب..

ولكن باستثناء (إدوارد) ورجال الأمن الأربعة، و(مجدي) ومن تبعه من رجال الشرطة، لم يكن هناك أثر لمخلوق آخر..

أدنى أثر..

• • •

"لم يكن أمامي سوى هذا".

غمغمت (غادة) بالعبارة، وهي تنطلق بسيارة (نديم) مبتعدة عن منطقة مخازن (رشاد السلباوي)، فانتزع (نديم) قناعه، وألقاه داخل حقيبة صغيرة، وهو يبتسم، قائلاً:

- كان هذا أعظم رد فعل رأيته في حياتي كلها.

هزت رأسها، قائلة:

لقد رأيتهم يدخلون المخزن، وأدركت أنهم سيحاصرونك، ولما لم أجد ما أفعله، فقد اتجهت إلى كشك الكهرباء الرئيسي، ونزعت المحولات الأساسية.

قال، وهو يستبدل ثيابه في سرعة:

- كانت مخاطرة كبيرة.

غمغمت:

- وماذا كان البديل؟! أن أتخلى عنك؟!!

ابتسم وهو يتمتم:

- مستحيل!

تضرج وجهها بحمرة الخجل، وهي تغمغم:

- لو تبدل الوضع، كنت ستفعل المثل.. أليس كذلك؟!

تطلع إليها لحظة، قبل أن يجيب برصانته المعهودة:

- بالتأكيد.

كان قد انتهى من نزع ثياب (العقرب) السوداء، التي يرتديها فوق ثيابه، فدسها في حقيبته مع القناع، والتقط سترته من الأريكة الخلفية للسيارة، وهو يقول:

- أتعشم أن يفعل (مجدي) ما نصحته به.

سألته في اهتمام، وهي تنحرف بالسيارة إلى الطريق الرئيسي:

- وما الذي نصحته به؟!

التقط نسخة الكتاب الفاخر، وناولها إياه، وهو يقول:

- أن يفحص شحنة الكتب هذه.

انعقد حاجباها، وهي تفحص الكتاب بمنتهى الاهتمام، قبل أن تقول:

- وما الذي تتوقع أن يجده فيها؟!

هز رأسه قائلاً:

- لست أدري.

وصمت لحظة، قبل أن يضيف في حزم:

- ولكن من المستحيل أن يستورد رجل مثل (رشاد السلباوي)، شحنة من كتب ثقافية، دون أن يكون وراء هذا هدف خفي.

قالت في اهتمام:

- ربما هي شحنة تمويهية.

هز كتفيه، ومط شفتيه، مغمغمًا:

- ربما.

لم يكد ينطقها، حتى سطع ضوء قوي في وجهيهما، وظهرت حواجز طرق تسد الطريق أمامهما، وعلى جانبيها عدد من رجال الشرطة، فغمغمت (غادة) في عصبية:

- هل نتوقف؟!

انعقد حاجباه، وهو يعتدل في مقعده، مجيبًا في صرامة:

- بالتأكيد.

تساءلت في عصبية أكثر:

- وماذا لو أنهم ينتظروننا بالتحديد؟! أعني لو أن العقيد (مجدي) قد اتصل بهم لاسلكيًا، وطلب منهم أن..

قاطعها في حزم:

- هذا هو الأرجح.

سألته في دهشة عصبية:

- ومازلت ترغب في أن نتوقف.

قال بكل الصرامة والحزم:

- بالتأكيد.

ضغطت فرامل السيارة في توتر، وتركتها تتوقف على جانب الطريق، على مسافة متر واحد من الحواجز، فاتجه أحد رجال الشرطة نحوهما، وهو يحمل سلاحه الشخصي، ثم انحنى يطلق ضوء مصباحه اليدوي في وجهيهما، قبل أن يبتسم، قائلاً:

- مساء الخير يا سيد (نديم).

واعتدل، ليضغط زر جهاز الاتصال اللاسلكي، قائلاً:

- من الحاجز الأول إلى سيادة العقيد (مجدي).. لقد استوقفنا الهدف بالفعل.. وفي المكان المتوقع.

وهنا شعرت (غادة) بكل غضب وسخط الدنيا، وهي تتطلع إلى حقيبة (نديم)، الملقاة في المقعد الخلفي، وبداخلها ثوب وقناع (العقرب)..

وفي أعماقها، بدا لها أن المصيدة قد أطبقت عليهما هذه المرة..

بمنتهى الوضوح..

والقوة..

• • •

"ما الذي تحتويه هذه الكتب بالضبط؟!".

ألقى العقيد (مجدي) السؤال في عصبية شديدة، على المحامي (إدوارد)، فانقلبت سحنة هذا الأخير في شدة، وهو يجيب:

- وما الذي يمكن أن تحتويه؟! ثقافة ومعلومات عامة.. إنها مجرد موسوعات.

رماه (مجدي) بنظرة نارية، وهو يسأله:

- لماذا إذن احتقن وجهك عندما رأيت أحدها في يد (العقرب)؟!

صاح (إدوارد) في حدة:

- ماذا دهاك أيها العقيد؟! هل فقدت القدرة على التمييز بين اللص والشريف؟! هل نسيت أنك هنا لتلقي القبض على ذلك المقنع، الذي اقتحم مخازننا عنوة؟!

قال (مجدي) في صرامة:

- أنا هنا لتطبيق القانون، وتحقيق العدالة.

صاح (إدوارد):

- حقاً؟! لماذا عجزت ورجالك عن الإمساك بذلك المقنع المتسلل إذن؟!

رفع (مجدي) جهاز الاتصال اللاسلكي، وهو يهتف:

- ألم تسمع بنفسك؟! لقد استوقفته دوريتنا على الطريق.

هتف (إدوارد):

- دوريتكم استوقفت (نديم فوزي)، وليس (العقرب).

انعقد حاجبا (مجدي) في شدة، وهو يقول في صرامة:

وكيف عرفت أنه (نديم فوزي)؟!

انتفض جسد (إدوارد)، وهو يقول في عصبية:

- ماذا تعني؟!

بدا (مجدي) شرسًا على نحو عجيب، وهو يلوح في وجهه بجهاز اللاسلكي، قائلاً:

- أعني أن أحدًا لم يذكر اسم (نديم فوزي) كاملاً قط.. لقد اتصلت برجالي، وطلبت منهم إيقاف سيارة (نديم) إذا ما وجدوها على الطريق، تتجه نحو القاهرة.. وعندما أبلغوني بإيقافها اكتفوا بقول: إنهم قد استوقفوا الهدف، فمن أين جئت باسم (نديم)؟!

صمت (إدوارد) لحظة، قبل أن يقول في حدة:

- إنه محامٍ مثلي، ومن الطبيعي أن أعرفه.

قال (مجدي) في سرعة وصرامة:

ولكن ليس من الطبيعي أن تربط بينه وبين (العقرب).

ثم تراجع في حركة حادة، مستدركًا:

- إلا إذا..

سأله (إدوارد) في عصبية:

- إلا إذا ماذا؟!

لم يجب (مجدي) سؤاله، وإنما تطلع إلى عينيه مباشرة، كما لو أنه يقرأ ما يدور في أعماقه، قبل أن يقول في بطء صارم:

- لو أنك نطقت اسم (العقرب)، أمام أي مواطن عادي، لما وجدت لديه أي صدى له، ولو أخبرته باسم (نديم فوزي)، لتذكر أنه قد شاهد لافتة على مكتب في وسط المدينة تحمل هذا الاسم، أو ربما كان يجهله تمامًا.. قلائل هم من يعرفون (نديم فوزي)، وندرة من يعرفون (العقرب)، وفئة واحدة فحسب هي التي يمكنها أن تربط بين هذا وذاك.

سأله (إدوارد) في حذر زائد:

- أية فئة تلك؟!

رمقه (مجدي) بنظرة صارمة أخرى، قبل أن يقول:

- قل لي يا سيد (إدوارد): هل يمكنني الحصول على أحد هذه الكتب الأنيقة؟!

تضاعف حذر (إدوارد)، وهو يسأله:

- ولماذا؟!

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتي (مجدي)، وهو يقول:

- سأدفع ثمنه بالطبع.

ران عليهما الصمت لحظات، وكل منهما يتطلع إلى عيني الآخر، بنظرة تحمل تحدياً غامضًا مكبوتًا، قبل أن يقول (إدوارد) في روية حذرة:

- غدًا سأرسل إليك موسوعة كاملة يا سيادة العقيد.

انحنى (مجدي) يلتقط نسخة من الصندوق الذي فتحه (العقرب)، قائلاً:

- سأكتفي بكتاب واحد، و...

أمسك (إدوارد) معصمه فجأة في قوة، وهو يقول في صرامة عصبية:

- كلا.

رفع (مجدي) عينيه إليه في تحدٍّ، قائلاً:

- وماذا لو أصررت؟!

أجابه (إدوارد) في حدة:

- في هذه الحالة، سأصر أنا على وجود إذن من النيابة.

غلفهما الصمت بضع لحظات أخرى، وكلاهما يتطلع إلى عيني الآخر مباشرة، قبل أن يقول (مجدي) في صرامة، وهو يفلت نسخة الكتاب:

- فليكن.. ما دمت تصر.

وأشار إلى رجاله، مستطردًا:

- سننصرف الآن يا سيد (إدوارد)، ولكن ثق بأننا سنعود غدًا.

ثم التفت إليه، وأطلت من عينيه نظرة غاضبة صارمة، وهو يضيف:

- مع إذن النيابة.

انعقد حاجبا (إدوارد) في شدة، وهو يتابع انصراف رجال الشرطة، حتى قال أحد رجال الأمن في توتر:

- هل ألقوا القبض على ذلك المقنع بالفعل؟!

ازداد انعقاد حاجبي (إدوارد)، وهو يقول:

- لا تشغل ذهنك بهذا الآن، فلدينا الكثير من العمل هنا الليلة.

والتقط هاتفه المحمول من جيبه، وهو يضيف في صرامة:

- أما ذلك المقنع، فسنستدعي من يمكنه التعامل معه.

قالها، وهو يضغط أزرار هاتفه الخلوي في سرعة، ثم أشار إلى الرجل، ليبتعد عنه، قبل أن يسمع صوت محدثه عبر المحيط، فيقول في حزم:

- هاي (شارلي).. إنه أنا (إدوارد).. أتحدث من القاهرة.. اسمعني جيدًا يا (شارلي).. هناك بعوضة تسبب لنا الأرق هنا.. أخبر الرفاق في (لوس أنجلوس) أننا نحتاج إلى مبيد قوي؛ ليخمد صوتها للأبد.. لا.. لن يمكنني الانتظار حتى ترسلوا مبيدًا من الولايات المتحدة.. دعهم يرسلوا أحد مبيدات (أوروبا).. نعم.. بأسرع وسيلة ممكنة.

ثم أنهى الاتصال، وحاجباه يكادان يمتزجان، من فرط انعقادهما، وهو يغمغم بكل سخط وغضب الدنيا:

- فليكن أيها (العقرب).. لقد أفسدت الأمور كلها هنا.. لنر كيف ستواجه مبيدًا محترفًا.

نطقها، ثم أعاد هاتفه إلى جيبه، وهو يلقي أوامره الجديدة لرجاله..

الأوامر التي ستشعل النيران في كل شيء..

كل شيء..

بلا استثناء..

• • •

مهمة رسمية

5- صراع الذئاب..

تألقت عينا العقيد (مجدي) في ظفر واضح، وهو يوقف سيارته عند حاجز الطريق، وغادرها في انفعال، واتجه في خطوات متئدة نحو سيارة (نديم)، التي جلس داخلها هذا الأخير في هدوء مستفز، على عكس زميلته (غادة)، التي بدت شديدة العصبية، وهي تهتف:

- هل يمكنني أن أفهم معنى ما يحدث هنا؟!

ابتسم (مجدي) في سخرية عصبية متشفية، وهو يقول:

- ألا تفهمين معناه حقًا؟!

أشار إليه أحد رجال الشرطة، قائلاً في توتر:

- إنهما يرفضان الخروج من السيارة.

انعقد حاجبا (مجدي) في غضب، وهو يقول في حدة:

- سنجبرهما على هذا.

أشار (نديم) بسبابته، قائلاً في هدوء صارم حازم:

- أحذرك من فعل هذا، ففي حكم القانون، تعتبر السيارة مكانًا خاصًا وتمامًا مثل المنزل، ولا يمكنك اقتحام كليهما، إلا بناء على أمر مباشر، أو إذن من النيابة، وإلا تعرضت للمساءلة، ولاحتمال التقاضي والتعويض أيضًا.

قال (مجدي) في حدة:

- وماذا عن الاشتباه؟!

هز (نديم) كتفيه، قائلاً:

- لابد أن تسبقه تحريات جادة، أو يقترن بعدم حمل الشخص لأوراقه الشخصية أو هويته، وبالنسبة لحالتنا هذه، لقد عملنا معًا لبعض الوقت، وهذا يعني أنك تعرفني جيدًا، ومن السهل إثبات هذا؛ مما يحتم أن..

قاطعه (مجدي) في غضب:

- وماذا لو ضربت بكل هذا عرض الحائط، وقمت بتفتيش سيارتك قسرًا، وعثرت فيها على زي (العقرب)؟

مط (نديم) شفتيه في لا مبالاة، وهو يقول:

- لن يكون لهذا أية أهمية؛ لأنه تفتيش غير قانوني، وكل ما ينجم عن خطأ فهو خطأ أيضًا، و...

قاطعه (مجدي) بصيحة هادرة:

- فليكن.. لن يعنيني أن ترفض النيابة الاعتراف بالدليل.. يكفيني أن أتيقن أنا من

الأمر بصفة شخصية.

هز (نديم) رأسه، قائلاً:

- كان يمكنك هذا بالفعل، لولا أنك أضعت وقتًا ثمينًا في هذه المحاورة.

سأله (مجدي) في عصبية شديدة:

- ماذا تعني؟!

ارتسمت على شفتي (نديم) ابتسامة، لم ترقَ له أبدًا، وهو يشير بسبابته إلى ما خلف (مجدي)، مجيبًا:

- أعني أن رئيسك قد وصل.

استدار (مجدي) إلى حيث يشير (نديم)، في حركة حادة، والتقى حاجباه في غضب شديد، عندما رأى سيارة اللواء (حلمي) تتوقف، ويغادرها هذا الأخير، وهو يقول في حدة:

- ماذا تفعل هنا أيها العقيد؟!

أطلقت (غادة) من أعمق أعماقها زفرة حارة، وهي تهتف:

- أخيرًا.

أما (مجدي)، فقال في عصبية:

- أؤدي عملي يا سيادة اللواء.

قال اللواء (حلمي) في غضب صارم، وهو يتجه نحوه:

- لست أذكر أنني قد نقلتك إلى قسم دوريات الطرق السريعة أيها العقيد.

صاح (مجدي) في حدة:

- لديَّ ما يبرر اعتقالي لهذا الرجل يا سيادة اللواء.

سأله في صرامة:

- وما مبرراتك؟

قال في عصبية شديدة:

- أشك في أنه (العقرب).

صاح اللواء (حلمي) في غضب:

- تشك؟! فقط تشك؟!

هتف (مجدي)، وقد تضاعفت عصبيته:

- لو أنني عثرت في سيارته على ثياب (العقرب)، فسوف...

قاطعه اللواء (حلمي) في حدة غاضبة:

- لو؟! أهذا ما تعلمته طوال عملك في الشرطة؟! لو؟!

قال (مجدي) في حدة:

- سيادة اللواء.. أرى أنك تنحاز بشدة لـ...

قاطعه (نديم) في سرعة:

- للقانون يا عزيزي (مجدي).. للقانون وحده.

احتقن وجه (مجدي) في شدة، وهو يدير عينيه إليه في حركة حادة، في نفس الوقت الذي عقد فيه اللواء (حلمي) ساعديه أمام صدره، قائلاً في صرامة:

- والآن، لو أنك تحمل إذنًا من النيابة بالتفتيش فافعل، أما لو لم تكن، فلينصرفا فورًا.

ثم التفت إلى رجال الشرطة، مكملاً بنفس الصرامة:

- ارفعوا الحواجز.

أسرع الرجال يزيحون حواجز الطريق، فأدارت (غادة) محرك سيارة (نديم)، وهي تغمغم في توتر شديد:

- سأغادر هذا المكان بأقصى سرعة.

ابتسم (نديم)، وهو يقول:

- بل بكل هدوء وثقة يا عزيزتي.. هذا سيستفز صديقنا (مجدي) أكثر.

لم يكد يتم عبارته، حتى ارتفع أزيز جهاز اللاسلكي، الذي يحمله (مجدي)، فرفعه هذا الأخير إليه في سرعة، قائلاً:

- العقيد (مجدي).. ماذا هناك؟!

اتسعت عيناه بشدة، على نحو جذب انتباه الجميع، وجعل (غادة) تتمتم:

- ترى ماذا؟!

قبل أن تتم عبارتها، هتف (مجدي) بانفعال شديد:

- سأحضر على الفور.

ثم أنهى الاتصال، واستدار إلى اللواء (حلمي) مستطردًا بكل انفعالاته:

- مخازن (رشاد السلباوي).. لقد اشتعلت فيها النيران كلها.

واتسعت عيون الكل عن آخرها..

فقد كانت مفاجأة..

مذهلة..



انتفاضة مباغتة سرت في جسد (غادة)، وجعلتها تهب من نومها مضطربة، قبل أن تتطلع فيما حولها، ثم تطلق زفرة عصبية، مغمغمة:

- آه.. مرة أخرى أقضي ليلتي في المكتب.

نهضت من الأريكة الوثيرة في حجرة مكتبها، وتثاءبت في إرهاق، وهي تلقي نظرة على ساعة يدها، قبل أن تضيف:

- السابعة والربع.. عظيم.. يبدو أن هذه أضمن وسيلة، لكي أصل إلى العمل مبكرًا، وأجد موضعًا لانتظار السيارة أيضًا.

مالت تتطلع إلى المرآة الصغيرة في حجرتها، ثم مطت شفتيها، مكملة:

- وأضمن وسيلة لأبْدُو قبيحة في الصباح أيضًا.

أخرجت حقيبتها، وراحت تولي زينتها عناية سريعة، قبل أن تغادر حجرتها، وتتجه إلى حجرة (نديم)، التي ترك بابها مفتوحًا على مصراعيه، وقالت وهي تدلف إليها:

- من الواضح أنك لم تنم لحظة واحدة منذ مساء أمس.

غمغم، وهو يقلب الكتاب الأحمر الفاخر بين يديه:

- لقد حاولت.. وفشلت.

ثم مال إلى الأمام، مستطردًا في شيء من التوتر، أفسد هدوءه التقليدي:

- فحصت هذا الكتاب أكثر من مائة مرة، ولم أجد شيئًا.

جلست على مقعد قريب، وهي تقول:

- ربما الأمر لا يكمن في الكتاب نفسه.. ربما في الصناديق التي تحوي الكتب، أو في مكان سري بالمخزن، أو...

قاطعها في حزم:

- كلا.. إنك لم تري وجه (إدوارد)، عندما لوحت له بالكتاب.. ثم إن إحراق المخازن يعني محاولة إخفاء أمر ما.. أمر يتعلق بشحنة الكتب هذه.

قلبت كفيها في استسلام، قائلة:

- ولكنك لم تجد شيئًا.

قلب الكتاب بين يديه مرة أخرى، قبل أن يقول في حزم:

- ربما لم أبحث بأسلوب سليم.

تراجعت في مقعدها، قائلة في توتر:

- كل مرة أتأكد من أنك عنيد للغاية يا (نديم).

قال في سرعة:

- هذا صحيح.

ثم مال نحوها، مستدركًا:

- ولكنني لست مكابرًا.

ظهر عم (أحمد) فراش المكتب، في هذه اللحظة، وبدت عليه الدهشة، وهو يقول:

- أنتما هنا؟! في هذه الساعة؟!

لوح (نديم) بيده، قائلاً:

- العمل مرة أخرى يا عم (أحمد).. ما رأيك لو أعددت لنا قدحين من القهوة المركزة؟!

ارتفع من خلف عم (أحمد) صوت صارم قاس، يقول:

- اجعلهما خمسة.

ثم برز (إدوارد) عند باب حجرة مكتب (نديم)، وخلفه اثنان من رجال أمن شركات (رشاد السلباوي)، بجسديهما الضخمين، وعضلاتهما المفتولة، وتلك النظرة الشرسة المتحفزة، المطلة من عيونهما..

وبحركة سريعة، أمال (نديم) يده الممسكة بالكتاب الأحمر الفاخر، خلف حافة المكتب، ودسه في درج مفتوح، ثم أغلق ذلك الدرج في بطء، وهو يقول هادئًا:

- يا لها من زيارة، في هذه الساعة المبكرة!

من حركة عيني المحامي، أدرك (نديم) أنه قد لمح ما فعله، ولقد أعلن هذا بلهجته الصارمة القاسية، وهو يقول:

- أظنك قد احتفظت بشيء يخصنا، من باب الخطأ يا سيد (نديم).

تراجع (نديم) في مقعده بهدوء، قائلاً:

- أي شيء هذا؟!

نقلت (غادة) بصرها بينهما في حذر، والمحامي يجيب في شراسة:

- كتاب أحمر أنيق، من القطع الكبير.. جزء من موسوعة عامة بالتحديد.

صمت (نديم) لحظة، ثم مال إلى الأمام، قائلاً بنفس الهدوء، وإن اكتست نبرته بشيء

من الصرامة هذه المرة:

- وبم يفيدكم هذا الجزء، وقد أحرقت الموسوعات كلها، حسبما سمعت؟!

احتقن وجه المحامي غضبًا، ومد يده إلى الأمام، قائلاً بكل صرامة:

- الكتاب يا سيد (نديم).

تبادلا نظرة طويلة متحدية، قبل أن يتراجع (نديم) في مقعده، ويلتقط سماعة هاتفه، قائلاً في صرامة واضحة:

- ليس لديَّ أي شيء يخصكم يا سيد (إدوارد)، ولو لم تغادروا مكتبي الآن، فسوف...

قبل أن يتم عبارته، تراجع المحامي الذئب خطوة حادة إلى الخلف، ثم أشار بيده في صرامة، فاندفع الحارسان في آن واحد وكل منهما يستل مسدسه، وأحاط أحدهما عنق عم (أحمد) بذراعه القوية، وألصق فوهة مسدسه بعنقه المتغضن، فشهق المسكين في رعب، في نفس اللحظة التي انقض فيها الثاني على (غادة)، وجذبها من شعرها في قسوة، قبل أن يلصق فوهة مسدسه بأذنها اليمنى، قائلاً في وحشية:

- كلمة واحدة وأصنع قناة مباشرة بين أذنيك.

هب (نديم) من مقعده، قائلاً في غضب:

- ما هذا بالضبط؟!

أجابه (إدوارد) في سرعة وصرامة:

- أسلوب أفضل في التعامل مع عقرب مثلك يا سيد (نديم).

صاح به (نديم):

- هذا الأسلوب ينقلك من قائمة المحامين إلى خانة البلطجية.

أجابه (إدوارد) في تحد:

- بالضبط.. ولكن بأسلوب قانوني وذكي أيضًا، فالمسدسان مزودان بكاتمي صوت، كما لابد أنك قد لاحظت، ولدينا عشرة شهود على الأقل، على أن ثلاثتنا لم نغادر مقر الشركة لحظة واحدة، منذ اندلع حريق المخازن، وحتى تحضر الشرطة لاستجوابنا.. ثم إن المسدسين مستعملان، وكلاهما سيتم تعرفه كسلاح مستخدم في جرائم سابقة في الصعيد.

تطلع (نديم) لحظة إلى الرعب المطل من عيني (غادة) وعم (أحمد)، وإلى الوحشية الواضحة في نظرات وتصرفات رجلي أمن شركات (رشاد السلباوي) ثم إلى تلك الصرامة القاسية الشرسة، في وجه (إدوارد)، قبل أن يقول في توتر:

- ماذا تريد بالضبط؟!

حملت كلمات (إدوارد) نبرة ظافرة، وهو يقول:

- الكتاب يا سيد (نديم)، وأية نتائج حصلت عليها من فحصه.

اخترقت العبارة الأخيرة مخ (نديم) مباشرة، وأطلقت صفارة إنذار كبيرة.. إذن فالكتاب يحوي شيئًا ما بالفعل..

شيء جازف (إدوارد) بهجوم مباشر لاستعادته..

وبأي ثمن..

"الكتاب والنتائج يا سيد (نديم)، وإلا".

أطلق (إدوارد) عبارته في صرامة وحشية رهيبة، فمط (نديم) شفتيه، قائلاً:

- فليكن.

وفي استسلام عجيب، انحنى يفتح درج مكتبه، و...

"انتظر".

هتف (إدوارد) بالكلمة في حدة، وهو يستل مسدسه، ويصوبه على (نديم)، مستطردًا في عصبية:

- ببطء، ودون أية مفاجآت.

ارتسمت ابتسامة ساخرة، على ركن شفتي (نديم)، وهو يقول:

- اطمئن أيها الحقير.. لست أهوى التعامل مع الأسلحة النارية.

ثم اعتدل، وهو يحمل ذلك الكتاب الأحمر الأنيق، مستطردًا:

- فالأسلحة لا تكون بالضرورة نارية.

مد (إدوارد) يده في لهفة، ليلتقط الكتاب، و...

وفجأة، ارتفع رنين جرس الباب، مع صوت قوي، يهتف:

- افتح الباب.. شرطة.

تراجع (إدوارد) بحركة حادة، وامتقع وجهه بشدة، واضطرب حارساه..

وبحركة مباغتة سريعة، وثب (نديم) عبر المكتب، وانقض على الرجال الثلاثة..

واشتعل الموقف كله دفعة واحدة..

بمنتهى العنف..

• • •

مهمة رسمية

6- الميـــد..

انحنى فني المعمل الجنائي يفحص بقايا الحريق في اهتمام، قبل أن يهز رأسه في حيرة مغمغمًا:

- عجبًا!

تثاءب العقيد (مجدي) في إرهاق، قبل أن يسأله:

- ماذا هناك؟!

هز الفتى رأسه مرة أخرى، قائلاً:

- لقد كان حريقًا مدمرًا، حتى إنه قد التهم كل شيء، كما لو أنه لا توجد أية نظم أمن مضادة للحريق، في المكان كله.

قال (مجدي) في اهتمام:

- ولكنها كلها كتب.. أوراق سريعة الاشتعال.

عاد الفتي يهز رأسه، ويقول:

- ولو.. أين نظم الأمن الصناعي إذن؟! لقد عاينت يومًا حريقًا ضخمًا، في مطبعة كبرى، استغرق ما يقرب من الساعة، وعلى الرغم من هذا، كانت هناك بعض الكتب، التي لم يصبها التلف تمامًا؛ لأن أجهزة إطفاء الحريق غمرتها بالماء أو الرغوة المطفئة.

تلفت العقيد (مجدي) حوله، مغمغمًا:

- من الواضح أنهم لا يستخدمون هذه النظم هنا.

نهض الفني، قائلاً:

- مستحيل! كيف حصلوا على الترخيص إذن؟!

ثم أضاف في سرعة:

- إلا إذا..

سأله (مجدي) بسرعة أكبر:

- إلا إذا ماذا؟!

هز الفني رأسه، وتردد لحظة، قبل أن يقول في حذر:

- إلا إذا كان أحدهم قد تعمد ألا تعمل أجهزة إطفاء الحريق.

انعقد حاجبا (مجدي) في شدة، وهو يسأله:

- هل تعني أن هذا الحريق متعمد؟!

تراجع الرجل، ولوح بكفه في ذعر، هاتفًا:

- أنا لم اقل هذا.. هذا قرار سابق لوقته، وليس من حقي حتى أن أتخذه.. لابد من إتمام الفحص أولا، و....

قاطعه (مجدي) في حدة:

- لست أسألك رأيًا رسميًا يا رجل.

تلفت الرجل حوله في هلع، قبل أن يهمس:

- أتعني أنني لست مضطرًا لتكرار هذا أمام وكيل النيابة، أو القاضي، أو...

قاطعه (مجدي) بزمجرة عصبية، قائلاً:

- لست مضطرًا لأي شيء.

تلفت الرجل حوله مرة أخرى، ثم همس في انفعال:

- لو أردت رأيي الشخصي إذن فهو حريق متعمد.

اعتدل (مجدي)، مغمغمًا في توتر:

- هكذا!

مال الرجل على أذنه، مكملاً:

- أما بالنسبة للكتب، فلم تحترق كاملة.

هتف (مجدي) في غضب:

- ولكنك قلت إن..

قاطعه الرجل في ذعر:

- اخفض صوتك بالله عليك.. إنني أقصد أن الكتب لم تكن كاملة، عندما تعرضت للحريق.

عاد حاجبا (مجدي) ينعقدان، وهو يتساءل في عصبية:

- ماذا تعني؟!

مال نحوه أكثر، وهو يلوح ببقايا غلاف أحمر محترق، وهو يجيب:

- لقد انتزعوا منه جزءًا مهمًا.

وانخفض صوته، وكأنما يخشى أن يسمع نفسه، وهو يضيف:

- الكعب.

واتسعت عينا (مجدي) عن آخرهما..

فقد كانت مفاجأة بحق..

مفاجأة جديدة..

ومدهشة..

• • •

من المؤكد أنه، وعلى الرغم من سنوات عمله في المحاماة، إلا أن (نديم فوزي) لم يفقد لياقته قط، كرجل شرطة سابق..

وكعقرب حالي..

فقد وثب عبر مكتبه، وركل مسدس (إدوارد) ركلة قوية، قبل أن يلقي الكتاب الأحمر بكل قوته، نحو حارس الأمن، الذي يمسك عم (أحمد)، في نفس اللحظة التي انزلقت فيها (غادة) بمرونة مدهشة، من يد الحارس الآخر، ثم دارت حول نفسها في رشاقة؛ لتهوي بقبضتها على أنفه مباشرة..

وفي لحظة واحدة، ارتفعت تأوهات الحارس الثاني، مع تحطم أنفه، وانطلقت شهقة مكتومة من الحارس الأول، الذي أصاب الكتاب رأسه، وألقاه أرضًا في عنف..

وبكل الرعب، تراجع عم (أحمد)، وانكمش في أحد الأركان، في حين دار (نديم) حول نفسه؛ ليركل الحارس الأول ركلة كالقنبلة في أنفه، ثم أخرى في معدته، في نفس اللحظة التي انقض فيها الحارس الثاني على (غادة)، وهو يطلق صرخة غاضبة وحشية..

وبنفس الرشاقة، انخفضت (غادة)، متفادية انقضاضة الحارس الثاني، وتركته يتجاوزها، ثم دارت حول نفسها، وركلته في ظهره بكل قوتها، فاندفع إلى الأمام، ليرتطم رأسه بحافة مكتب (نديم)، ثم يسقط أرضًا، وهو يطلق شخيرًا عجيبًا مختنقًا..

أما الحارس الأول، فقد تراجع مع ضربتي (نديم)، ثم عاد ينقض فجأة على (نديم)، ويكيل له لكمة عنيفة، تراجع معها (نديم) في حدة، وارتطم بالمحامي (إدوارد)، الذي كبل ذراعيه من الخلف، صائحًا:

- هيا يا جابر.. حطم عنقه.

هوت قبضة (جابر) بكل قوتها على عنق (نديم)، إلا أن هذا الأخير دفع جسده إلى الخلف بغتة، فاختل توازن (إدوارد)، وسقط معه أرضًا، فطاشت لكمة (جابر)، في نفس اللحظة التي ارتفعت فيها قدم (نديم)، لتركله في فكه ركلة قوية عنيفة، ألقته خلفًا، ليسقط على ظهره أرضًا، فاستقبلته (غادة) بركلة أخرى، هاتفة:

- هيا، اسقط أيها الوغد.

انطلق من حلق (جابر) خوار كالثور، ثم انهار جسده فاقد الوعي، في نفس اللحظة التي انفلت فيها (نديم) من ذراعي (إدوارد)، ثم وثب يلتقط مسدس هذا الأخير، ويصوبه إليه، قائلاً:

- أعتقد أن اللعبة قد انتهت هنا يا سيد (إدوارد).

أدار (إدوارد) بصره بين رجليه الفاقدي الوعي، قبل أن يقول في عصبية، وهو ينهض من سقطته:

- لو أنك تتصور أنك بهذا قد انتصرت، فأنت واهم.

ابتسم (نديم) في سخرية، وهو يقول:

- ولو أنك تتصور أنك عبقري، فهذا أكبر دليل على حماقتك، خاصة وقد خدعتك بجهاز إنذار بسيط، أوهمك بقدوم رجال الشرطة.

عدل (إدوارد) رباط عنقه، وهو يقول:

- خدعة طريفة يا سيد (نديم).. عيبها الوحيد هو أنه يستحيل تكرارها.

هز (نديم) كتفيه، قائلاً:

- مازال في جعبتي الكثير.

مال (إدوارد) إلى الأمام، وهو يقول في صرامة غاضبة:

- وأنا أيضًا.

مع آخر حروف كلمته، ارتفع رنين هاتفه الخلوي بغتة، فالتقطه بحركة آلية، وقال في عصبية:

- (إدوارد).

أتاه صوت أحد رجاله في المطار، وهو يقول:

- سيد (إدوارد).. إنه أنا.. لقد وصل المبيد من (إيطاليا).

تألقت عينا (إدوارد)، وهو يهتف:

- وصل؟!

ثم اتسعت ابتسامة ظافرة كبيرة على وجهه، وهو يكمل:

- عظيم.. قل له: إنني أريده أن يبدأ عمله فورًا.. وسيحصل على مكافأة سخية للغاية، لو أتمه بنجاح.

أنهى المحادثة، وأعاد الهاتف إلى جيبه، في نفس اللحظة التي استعاد فيها حارساه

وعيهما، فقال (نديم) في حذر:

- أراهن أنه خبر شرير، ذلك الذي أسعدك هكذا.

رمقه (إدوارد) بنظرة مستفزة، قائلاً:

- بالنسبة لي هو خبر ممتاز يا سيد (نديم).

ثم أشار إلى حارسيه، مستطردًا:

- أعتقد أنك لن تبلغ الشرطة بما حدث؛ لأن هذا يضعك أيضًا في دائرة التساؤل، خاصة وأن الكل رأى (العقرب) أمس، وهو ينصرف بنسخة الكتاب هذه، وهذا يعني أنه يمكننا أن ننصرف بكل هدوء.

قال (نديم) في صرامة:

- على ألا تعودوا مرة أخرى.

ثم انتزع خزانة مسدس (إدوارد)، وألقاها في سلة المهملات، وجذب مشط المسدس؛ ليفرغ الرصاصة المتبقية في ماسورته، قبل أن يلقيه إليه، مستطردًا:

- المسدسان الآخران سنتخلص منهما بمعرفتنا.

قال (إدوارد) في سخرية:

- لا بأس.. لدينا العشرات مثلهما.

وأشار مرة أخرى إلى رجليه، واتجه ثلاثتهم نحو الباب، فهتف به (نديم) في صرامة:

- تذكروا ألا تعودوا هنا مرة أخرى.

ابتسم (إدوارد) في سخرية، قائلاً:

- من يدري؟! ربما اضطررنا للعودة..

ثم استدار يتطلع إلى عيني (نديم) مباشرة، مستطردًا:

- للتعزية.

قالها، وأطلق ضحكة ساخرة عالية، وهو ينصرف مع حارسيه، فهتف عم (أحمد)، في ارتياع مستنكر:

- ألن تبلغ الشرطة حقًا؟!

ابتسم (نديم)، قائلاً:

- لا تقلق نفسك بهذا يا عم (أحمد).. هيا.. انسَ أمر القهوة، وسنكتفي بكوبين من النعناع الساخن لتهدئة أعصابنا.

حدق الشيخ في وجهه لحظة، ثم لم يلبث أن هز كتفيه في استسلام، مغمغمًا:

- يا للشباب!

ابتسم (نديم)، وسأل (غادة):

- أأنت بخير؟!

أشارت بيدها، قائلة:

- لم أكن أبدًا أفضل، ولكن هل تعلم ما الذي يعنيه ما حدث الآن؟!

انحنى يلتقط الكتاب الأحمر الملقى أرضًا، وهو يجيب:

- أهم ما يعنيه هو أن (رشاد السلباوي) مجرد واجهة لأمر إجرامي رهيب، يديره فعليًا ذلك الذئب (إدوارد)، و...

بتر عبارته بغتة، عندما انفصل كعب الكتاب بين أصابعه على نحو مفاجئ، فرفعه يحدق فيه، قبل أن يهتف:

- رباه! من كان يتصور هذا؟!

اندفعت (غادة) نحوه، قائلة:

- هكذا وجدت؟!

ولم تكد تتطلع إلى كعب الكتاب، الذي يحمله في يده، حتى سرت في جسدها كله ارتجافة قوية..

فقد كان ما تراه مدهشًا، وغير متوقع..

على الإطلاق..

• • •

مهمة رسمية

7- اغتيـــال..

فرك (رشاد السلباوي) كفيه، بكل توتر الدنيا، وهو يتحرك في مكتبه بعصبية بالغة، قائلاً:

- إذن فقد تركتم الكتاب هناك، على الرغم من كل ما حدث.

أجابه (إدوارد)، في هدوء صارم:

- لم يكن هناك حل آخر.

لوح (رشاد) بذراعه، هاتفًا:

- إنها كارثة.. كارثة بكل المقاييس.. لو كشفوا الموجود في كعب الكتاب، سن...

قاطعه (إدوارد) في صرامة قاسية:

- لا تقلق نفسك بهذا.

صاح (رشاد) في ثورة:

- لا أقلق نفسي بهذا؟! أي قول أحمق سخيف هذا يا (إدوارد)؟!! كلانا يعلم أن الشحنة واردة باسمي واسم شركاتي، وأن المسئولية المباشرة..

هب (إدوارد) من مقعده بحركة حادة، قائلاً في صرامة:

- أية مسئولية؟! أنت تعلم أن رجالنا يتولون الأمر كله منذ البداية، وأنني هنا، بكل خبراتي وبراعتي القانونية؛ لحمايتك وتأمينك، وضمان عدم وجود أي ثغرة، يمكن أن ينفذ منها القانون المصري إليك.

ثم مال نحوه، وبدت ملامحه شيطانية شرسة، وهو يضيف، متطلعًا إلى عيني (رشاد) مباشرة:

- إنها مليارات الدولارات، ولن نتركها حتمًا دون حماية قوية.

غمغم (رشاد) بصوت مرتجف:

- وماذا لو كشفوا الـ...

قاطعه (إدوارد) بشراسة أكثر:

- لن يكشفوا شيئًا.. لقد انتزعنا كل ما نريده، من تلك الموسوعات السخيفة، ثم أحرقناها كلها.

ازدرد (رشاد) لعابه في صعوبة، وغمغم:

- هناك نسخة لدى ذلك (العقرب).

تألقت عينا (إدوارد)، وتراجع قائلاً بلهجة مخيفة:

- هذا لا يهم أيضًا، فبعد دقائق قليلة، لن يكون هناك وجود لذلك (العقرب)، أو للمحامي (نديم فوزي)..

حدق (رشاد) في وجهه، متمتمًا:

- هل.. هل..

تابع (إدوارد)، وهو يشعل سيجارًا ضخمًا، وكأنما لم يسمعه:

- فقد استوردت له مبيدًا إيطاليًا خاصًا، يجيد عمله بمهارة المحترفين.

ردد (رشاد)، في حذر متوتر:

- مبيد؟!

تألقت عينا (إدوارد)، وهو يقول:

- نعم.. مبيد يدعى (ماريو).

قالها، ثم أطلق ضحكة طويلة ممطوطة..

ضحكة شيطان..

حقيقي..

• • •

حفرت الدهشة خطوطها العريضة، على وجه (غادة)، وهي تحدق في تلك القطع المتلألئة الصغيرة، التي تناثرت من كعب الكتاب الأحمر الفاخر، قبل أن تهتف:

- ماس؟!

أجابها (نديم) في انفعال، وهو يلتقط الماسات في حرص:

- نعم يا عزيزتي.. هذا ما تخفيه كعوب شحنة الموسوعات الفاخرة.. الماس.. الماس الثمين.

هتفت بدهشة أكبر:

- ولكن كعب هذا الكتاب وحده يحوي ست ماسات، ولو افترضنا أن هذا هو متوسط محتوى كل نسخة، من شحنة الموسوعات، فنحن أمام..

قاطعها مكملاً بنفس الانفعال:

- مليارات الدولارات يا (غادة)..

ثم اعتدل، وتألقت عيناه بشدة، وهو يضيف:

- من الواضح أننا أمام أضخم عملية غسيل أموال قذرة، في العالم كله.

رددت مبهورة:

- مليارات الدولارات؟! يا إلهي!

ثم أمسكت ذراعه في قوة، مستطردة:

- (نديم).. لابد أن نبلغ اللواء (حلمي).. فورًا.

التقى حاجباه، وهو يقول في حزم:

- سنبلغه بالتأكيد.

وصمت لحظة، ثم أضاف بصرامة أكثر:

- ولكن ليس الآن.

سألته في دهشة عصبية:

- ولمَ لا؟!

أجابها، وهو يضع الماسات في علبة صغيرة، دسها في جيبه:

- إنهم يدركون أننا نستطيع كشف أمرهم، ولو بالمصادفة البحتة، كما حدث الآن، ومن المؤكد أن حريق المخازن مجرد خطوة في خطة واسعة، تهدف إلى محو كل أثر لعملياتهم، ولو أبلغنا اللواء (حلمي) الآن، فلن يجد دليلاً واحدًا، يمكنه إدانة فرد واحد منهم به..

قالت في إصرار:

- ولكن من الضروري أن يعرف.

شرد ببصره لحظات، ثم أجابها في حسم:

- اللواء (حلمي) رجل شرطة، حتى ولو تعامل بمرونة في هذه القضية، فهو لن يخفي أمرًا على القيادات العليا، التي ستتحرك حتمًا في سرعة، وربما أفسد تحركها الأمر كله، وبخاصة مع ثعلب شرس مثل (إدوارد).

سألته في عناد:

- وماذا لو أخبرناه وطلبنا منه إخفاء الأمر عن القيادات العليا؟!

هز كتفيه، وأجاب بنفس البصر الشارد:

- ولماذا نضغط على مشاعره وأعصابه دون مبرر؟!

هتفت:

- ليمد لنا يد العون على الأقل.

انتزعته عبارتها الأخيرة من شروده، وجعلته يلتفت إليها، قائلاً:

- خطأ.

تراجعت بدهشة، فاستطرد في صرامة:

- في عملية ضخمة كهذه، لا ينبغي قط أن تنتشر الأخبار، أو أن تبلغ فردًا واحدًا، يزيد عن الحد الأدنى المحتم للقيام بها؛ فلا يمكنك قط ضمان عدم وجود خائن ما بين الصفوف.

هتفت مستنكرة في انزعاج:

- صفوف الشرطة؟!

أجابها في سرعة:

- الشرطة ليست كلها جنود وضباط.. ثم إن العاملين فيها مجرد بشر، وليسوا ملائكة، وغسيل مليارات الدولارات، يستلزم إنفاق الملايين لتأمين العملية، وربما ضعفت نفس البعض، أمام إغراء تلك الأرقام الهائلة، فتتحول إلى عين للمجرمين، في قلب جهاز الشرطة.

بدا عليها الذعر، فاستدرك بسرعة:

- مجرد احتمال.

غمغمت في عصبية:

- يفزعني مجرد التفكير فيه.

قال في حزم:

- لا ينبغي إهمال أية احتمالات، في عملية كهذه.

تطلعت إليه لحظة في صمت، ثم لوحت بذراعيها في توتر، متسائلة:

- ما الذي سنفعله إذن؟!

عاد (نديم) إلى شروده بضع لحظات، قبل أن يجيب في حزم:

- هذه الخطوة تحتاج إلى (العقرب).

سألته في توتر:

- وما الذي يمكن أن يفعله (العقرب) هذه المرة؟!

استدار إليها، مجيبًا:

- الكثير.

حدقت في وجهه لحظة، قبل أن تهز رأسها في قوة، ثم تتجه إليه، قائلة:

- اسمع يا (نديم).. هذه المرة تـ...

لم تكن قد أتمت عبارتها بعد، عندما لمح هو ذلك الوميض، عبر الشارع، من البناية العتيقة المقابلة..

وقبل حتى أن يستوعب عقله معناه ومغزاه، تحطمت النافذة بغتة..

وانطلقت صرخة (غادة) عالية..

وتناثرت الدماء في حجرة مكتب (نديم)..

وبعنف..

• • •

"ما الذي يثير توترك إلى هذا الحد أيها العقيد؟!".

ألقى اللواء (حلمي) سؤاله هذا في هدوء شديد، ضاعف من توتر العقيد (مجدي)، وهو يقول في عصبية:

- الأمر كله أعجز عن فهمه يا سيادة اللواء.. فبغض النظر عن الآراء الشخصية، نحن نعتبر (العقرب) مجرمًا خارجًا عن القانون، والمفترض أن نسعى للإيقاع به، وكشف أمره، لا أن نهرع لإنقاذه، من كل مأزق يقع فيه.

أخفى اللواء (حلمي) ابتسامته بصعوبة، وهو يقول:

- حسبما أذكر، وحسبما تقول الأوراق الرسمية، لا يوجد أي أمر من النيابة أو القضاء، بضبط وإحضار هذا (العقرب).

قال (مجدي) في حدة:

- أمر طبيعي، لأنه لا يوجد عمليًا ورسميًا شخص يدعى (العقرب) وكلنا نعلم أنه اسم مستعار، يتخذه ذلك المحامي الفاشل (نديم فوزي)، عندما يضع قناعه السخيف، ويخرج لمحاربة الجريمة، متصورًا أنه (زورو) أو (باتمان).

مال اللواء (حلمي) إلى الأمام، وهو يسأله في رصانة هادئة:

- هل يوجد رسميًا، ما يثبت أن (نديم فوزي) هو (العقرب)؟!

قال (مجدي) في عصبية:

- هذا ما نسعى لإثباته.

تراجع اللواء (حلمي) في مقعده، وقال:

- عظيم.. وإلى أن نثبته، سيظل (نديم فوزي) شخصًا مسالمًا بريئًا، لا يمت لأدنى صلة

ـ (العقرب).

هتف (مجدي) في حنق:

- أي عبث قانوني هذا؟!

ابتسم اللواء (حلمي)، على الرغم مما في أسلوب (مجدي) من تجاوز، وقال في هدوء:

- نفس العبث القانوني، الذي يسعى (العقرب) لتجاوزه، وهو يوجه خصومه، الذين يحتمون بثغرات وفجوات القانون.

أدرك (مجدي) ما يعنيه اللواء (حلمي)، فتراجع برأسه، ورفعه مع شد قامته، وهو يقول في اعتداد صارم:

- القانون هو القانون.

هز اللواء (حلمي) كتفيه، وقال:

- بالتأكيد.

ثم واصل في سرعة، وكأنما يسعى لتجاوز هذا الموقف:

- قل لي: ما الذي انتهى إليه تقرير البحث الجنائي، حول حريق مخازن (رشاد السلباوي)؟!

نجح أسلوبه في تحويل دفة الحديث؛ فقد قال (مجدي) في توتر:

- إنه حريق متعمد.

أومأ اللواء (حلمي) بكتفيه، مغمغمًا:

- أمر متوقع.

أضاف (مجدي):

- ولقد انتزعوا كعوب الكتب قبل إحراقها.

التقى حاجبا اللواء (حلمي)، وهو يقول في توتر:

- كعوب الكتب؟!

ورفع يده إلى ذقنه، وهو يفكر في هذه النقطة في عمق، و(مجدي) يقول:

- كانوا يخفون شيئًا ما فيها حتمًا.

أشار اللواء (حلمي) بسبابته، قائلاً في اهتمام شديد:

- السؤال هو : ما هذا الشيء؟! ما الذي أخفوه في كعوب الكتب، ونجحوا في تهريبه لـ البلاد؟

غمغم (مجدي) في حذر:

- من يدري؟!

نهض اللواء (حلمي) من خلف مكتبه، وهو يشير إلى رأسه، قائلاً:

- الأمر يحتاج إلى معادلة منطقية، فلو أن (رشاد السلباوي) مجرد واجهة لمنظمة خطيرة، تسعى لغسيل أموالها القذرة لدينا، فمن المؤكد أن ما حوته كعوب الكتب كان شيئًا صغير الحجم، غالي الثمن في الوقت ذاته، والشيء الوحيد، الذي يمكن أن تنطبق عليه هذه الصفة هو الـ..

قاطعه رنين هاتفه المباغت، فالتقط سماعته بحركة آلية، وقال في شيء من التوتر:

- اللواء (حلمي).

انعقد حاجباه في شدة، وهو يستمع إلى محدثه، قبل أن يقول في عصبية، بلغت حدًّا عجيبًا:

- سنحضر فورًا.

هتف (مجدي)، في فضول متوتر، لم يستطع كبحه:

- ماذا حدث؟!

التفت إليه اللواء (حلمي) بوجه شاحب ممتقع، قبل أن يقول في ارتياع واضح:

- (نديم) و(غادة) تم اغتيالهما.

واتسعت عينا (مجدي) عن آخرهما..

فعلى الرغم من اعتراضه على أسلوب (نديم)، كان الخبر بالنسبة إليه صدمة..

صدمة عنيفة..

للغاية..

• • •

مهمة رسمية



8- استيراد.. وتصدير..

لم يكد الهاتف المحمول الخاص بالمحامي (إدوارد) ينطلق، حتى التقطه هذا الأخير في سرعة، ووضعه على أذنه، قائلاً:

- كيف الحال؟!

أتاه صوت خشن جاف، يقول بالإيطالية:

- المهمة انتهت، تمت إبادة الهدف بنجاح.

تألقت عينا (إدوارد) في نشوة، وهو يقول بالإيطالية أيضًا:

- رائع.. غادر موقعك فورًا يا (ماريو).. الشرطة المصرية تتحرك بسرعة، في مثل هذه الحوادث.. نفذ فورًا.

قال (ماريو)، بصوته الخشن الجاف:

- ماذا عن السيارة؟!

أجابه في سرعة وانفعال:

- ستنتظرك في الموقع المتفق عليه.. ولا تنسَ أن تترك البندقية ذات المنظار خلفك.

غمغم (ماريو):

- بالتأكيد.

أضاف (إدوارد) في صرامة:

- اللحية والجلباب الأبيض أيضًا لهما أهمية بالغة.. هل تفهم؟!

صمت (ماريو) لحظة، قبل أن يقول في خشونة أكثر جفافًا:

- هذا أسخف أمر في العملية كلها.

أجابه (إدوارد) في صرامة شرسة:

- نفذ الأوامر؛ لتتقاضى أجرك كاملاً.

غمغم (ماريو):

- فليكن.

ثم أنهى المحادثة في عنف أحنق (إدوارد)، وجعل (رشاد) يتساءل في عصبية:

- هل.. هل اغتالهما؟!

رمقه (إدوارد) بنظرة ازدراء، وتجاهل تساؤله تمامًا، وهو يضغط أزرار هاتفه المحمول في سرعة، ثم يقول:

- (جابر).. إنه أنا.. المبيد الإيطالي أنهى مهمته.. اعملوا على استعادة كتابنا فورا.

لم يكد ينهي الاتصال، حتى قال (رشاد) في حدة:

- أسلوب التجاهل هذا لا يناسبني قط.

استدار إليه (إدوارد)، متسائلاً في برود:

- ما الذي يناسبك إذن؟!

صاح في غضب:

- أريد معرفة ما يحدث.

أدار (إدوارد) جسده كله إليه، وقال في صرامة جافة:

- الأمر ببساطة أن المبيد، الذي استوردناه من (إيطاليا)، قد أتم مهمته بنجاح وقام بتصدير المطرودين إلى الجحيم مباشرة.

لوح (رشاد) بذراعه، هاتفًا:

- مبيد، واستيراد، وتصدير، وجحيم.. أشعر وكأنني جزء من منظمة إجرامية ضخمة.

رمقه (إدوارد) بنظرة نارية، وهو يقول:

- أنت كذلك بالفعل.

امتقع وجه (رشاد)، وكأنما باغته الجواب، وارتعدت ساقاه؛ مما جعله يأوي إلى أقرب مقعد إليه، وهو يغمغم في شحوب:

- هذه الأمور لن تمضي على خير أبدًا.

أجابه (إدوارد) في صرامة:

- هذه الأمور تمضي على خير ما يرام.. لقد جعلت منك مليونيرًا، وأحد رجال الأعمال المعدودين في (مصر)، ومنحتك الكثير دون عمل.

انتفض (رشاد)، هاتفًا:

- دون عمل؟! إن كل ما تفعلونه يحمل اسمي يا رجل.. كل المسئولية المدنية والجنائية أحملها على كاهلي وحدي!

قال (إدوارد) في حدة:

- وتحصل على مقابل رهيب لهذا.

صاح (رشاد):

- وماذا لو انقلبت الأمور؟!

أجابه بكل صرامة:

- لن تنقلب.

لم يكد يتم عبارته، حتى ارتفع رنين هاتفه المحمول مرة أخرى، فالتقطه في عصبية، قائلاً:

- من المتحدث؟!

انعقد حاجباه بغتة بشدة، واحتقن وجهه حتى كادت تتفجر منه الدماء فهتف (رشاد) في ارتياع:

- ماذا هناك؟!

حدق فيه (إدوارد) بعينين زائغتين، دون أن ينطق بحرف..

حرف واحد..

فبالنسبة إليه كانت المفاجأة عنيفة..

ومذهلة..

بشدة..

• • •

لم يكد (جابر) يتلقى أمر المحامي (إدوارد)، حتى هتف بزميله:

- هيا.. سنستعيد ما لنا.

اندفع الاثنان يصعدان إلى حيث مكتب (نديم)، وهتف (جابر)، عندما بلغا الطابق المنشود:

- تولَّ أنت أمر عامل المكتب، وسأستعيد أنا الكتاب.

اقتحما المكتب في عنف، وهما يحملان سلاحيهما..

ولكن عم (أحمد) لم يكن هناك..

كان باب المكتب مفتوحًا، ولا أثر فيه للشيخ، في حين كانت ساق (غادة) تبدو واضحة، على أرضية حجرة مكتب (نديم)، وحولها بقع من الدم، فهتف الرجل الآخر:

- أين ذهب ذلك المأفون؟!

أجابه (جابر)، وهو يندفع نحو حجرة مكتب (نديم):

- أصابه الرعب وفر هاربًا حتمًا.. دعك منه الآن.. ينبغي أن نتم مهمتنا هنا قبل عودته.

كانت الحجرة تحمل آثار ما حدث في وضوح عندما اقتحماها، فقد كان زجاج النافذة محطمًا، والدماء متناثرة في كل مكان، و(غادة) ملقاة أرضًا، مع بقعة كبيرة من الدم في ظهرها، و...

"أين المحامي؟!".

هتف زميل (جابر) بالعبارة في دهشة مذعورة، وهو يحدق في أرضية الحجرة، ولم يكد يفعل، حتى انبعث من خلف الباب صوت صارم غاضب، يقول:

- هنا.

استدار الرجلان بسلاحيهما إلى مصدر الصوت بحركة سريعة.. ولكنها لم تكتمل أبدًا..

فقبل أن يكمل الأول التفاتته، كانت قبضة (نديم) تحطم أنفه بلكمة كالقنبلة، دفعته إلى الخلف في عنف، في نفس اللحظة التي انقض فيها (نديم) على (جابر)، بكل عنف وغضب الدنيا، هاتفًا:

- أيها الأوغاد.

أردا (جابر) أن يرفع فوهة سلاحه..

أو أن يفعل أي شيء..

ولكن الغضب الذي يملأ نفس (نديم)، بعد إصابة زميلته (غادة)، كان قد حوله إلى وحش كاسر وأسد هصور، لا يمكن لأي قوة في الأرض أن تعترضه أو توقفه..

وهذا ما شعر به (جابر)، عندما تلقى لكمة في معدته وكادت تقذف أحشاءه خارج حلقه، مع تلك الشهقة التي أطلقها، وهو ينثني على نفسه، قبل أن تتحطم أسنانه بلكمة أخرى أكثر عنفًا، انتزعته من مكانه، وألقته مترين كاملين إلى الخلف، ليرتطم بالجدار، ثم تستقبله لكمة أخرى في أنفه، تفجرت معها الدماء لتغرق كل وجهه وغامت بعدها الدنيا أمام عينيه، وحاول أن يندفع إلى الأمام، أو أن يضرب أي هدف عشوائي بقبضتيه، لولا أن ارتطم فكه بلكمة جديدة، أسقطته أرضًا فاقد الوعي..

وفي نفس لحظة سقوطه، نهض زميله مترنحًا، واستعاد مسدسه، وهو يهتف في ثورة:

- أيها الـ..

قبل أن يتم عبارته، اضطر مرغمًا لابتلاع ثلاث من أسنانه، حطمتها قبضة (نديم)، ودفعتها نحو حلقه، قبل أن يجذبه هذا الأخير من شعره، ويندفع به عبر الحجرة؛ ليضرب رأسه بالجدار، بكل ما يملأ جسده من قوة ويأس..

وسقط الرجل أرضًا، مع دوي أبواق سيارة الإسعاف وسيارات الشرطة، التي تهرع إلى

المكان، فالتقط (نديم) من ثلاجة حجرته الصغيرة زجاجة من الماء البارد، وسكبها كلها على رأس (جابر)، الذي انتفض في عنف، وهتف في ألم وذعر شديدين:

- ما الذي....

قبل أن يتم عبارته، جذبه (نديم) من شعره في قسوة، وسأله:

- من فعل هذا؟!

هز (جابر) رأسه لحظة، فتلقى قنبلة أخرى في معدته، جعلته يبصق الدم مع شهقته، قبل أن يكرر (نديم) سؤاله، بكل صرامة الكون:

- أعلم أنها أوامر ذلك الحقير (إدوارد)، ولكن من فعلها؟! من قام بالتنفيذ؟!

تعالى وقع أقدام رجال الشرطة والإسعاف على سلالم المبنى، مع لهاث (جابر)، وهو يجيب:

- لست أدري.. إنه شخص أجنبي.

سأله (نديم) في قسوة، وهو يلوح بقبضته:

- وما هي جنسيته؟!

لهث (جابر) على نحو أكثر عنفًا، وهو يقول، محاولاً حماية وجهه:

- إيطالي على الأرجح.

ثم هتف في ذعر وألم:

- أقسم أن هذا كل ما أعرفه.

هوى (نديم) على فكه بلكمة خطافية سفلية، وهو يقول:

- وهذا كل ما أردت معرفته.

في نفس اللحظة، التي سقط فيها (جابر) فاقد الوعي مرة أخرى، والتي التقط فيها (نديم) هاتفه المحمول من حزامه، اندفع رجال الشرطة والإسعاف إلى المكان، وخلفهم عم (أحمد) يهتف في ارتياع:

- أسرعوا بالله عليكم.. أسرعوا..

اعتدل (نديم)، ودس هاتف (جابر) في جيبه، قائلاً:

- أسرعوا.. إنها مصابة، وتحتاج إلى إسعاف عاجل.

حدق عم (أحمد) في وجهه، هاتفًا:

أستاذ (نديم).. حمدًا لله.. لقد تصورت أن....

أجابه (نديم)، قبل أن يتم عبارته:

- الرصاصة اخترقت جسد (غادة)، وجرحت ذراعي فحسب، يا عم (أحمد).

هتف به أحد رجال الإسعاف:

- الدماء تغرق ذراعك.. إنك تحتاج إلى إسعاف.

قال (نديم) في صرامة:

- (غادة) أولاً.

سأله أحد رجال الشرطة في توتر:

- ماذا حدث بالضبط؟!

أشار (نديم) إلى النافذة المحطمة، وهو يتابع حركة رجال الإسعاف، الذين ينقلون (غادة) إلى محفتهم، قائلاً:

- يبدو أنه حتى الأساليب الأجنبية يتم استيرادها هذه الأيام.

ثم أدار عينيه على رجل الشرطة، مضيفًا في حنق:

- إنه قاتل محترف.

اتسعت عينا رجل الشرطة، وهو يهتف:

- قاتل محترف؟!

أجابه (نديم) في توتر، وهو يشير إلى النافذة مرة أخرى:

- ألديك تفسير آخر؟!

حدق ضابط الشرطة في النافذة المحطمة، قبل أن يندفع نحوها، ويفحص ما أصابها، ثم يتطلع إلى المبنى المقابل، قائلاً في صرامة:

- هذه الأساليب لا تصلح هنا، ولو أنهم....

كان يلتفت إلى (نديم)، وهو يتحدث إليه، فبتر عبارته دفعة واحدة، وهو يدير عينيه في الحجرة، متسائلاً في حيرة:

- أين السيد (نديم)؟!

في نفس اللحظة، التي انطلق فيها تساؤله، كان (نديم) يهبط درجات السلم، وهو يلتقط من جيبه هاتف (جابر) المحمول، ويضغط رقم (إدوارد) في سرعة، ولم يكد يسمع صوت هذا الأخير، حتى قال في لهجة قاسية، صارمة، مخيفة:

- (العقرب) يرسل تحياته أيها الوغد.. قاتلك الحقير لم ينجح في إتمام مهمته.. حاول

أن تحيط نفسك بكل حراسة الدنيا؛ لأنني قادم إليك لأحطمك.

ثم أنهى المحادثة، وألقى هاتف (جابر) بعيدًا، وقد امتلأت نفسه بهدف واحد..

الثأر..

وبمنتهى العنف..

• • •

انتزع (ماريو) تلك اللحية المستعارة، التي أجبره (إدوارد) على ارتدائها، وألقاها بعيدًا في حدة، هاتفًا:

- لست أدري ما الداعي لكل هذه السخافات!

أجابه (إبراهيم)، أحد رجال (إدوارد):

- السيد (إدوارد) بعيد النظر، وما دام قد أمرك بهذا، فلديه أسبابه حتمًا.

سأله (ماريو)، وهو يخلع الجلباب الأبيض، ويلقيه بعيدًا بدوره:

- أين هو؟ لدينا أمور ينبغي أن نحسمها.

أشار (إبراهيم) بيده، قائلاً:

- إنه في انتظارك، ولقد أمر برفع درجة الأمن إلى الحد الأقصى.. يبدو أن الأمور لا تسير على النحو المطلوب.

مط (ماريو) شفتيه، مغمغمًا:

- كنت أتصور العكس تمامًا.

وعلى الرغم مما أخبره به (إبراهيم)، شعر (ماريو) بدهشة حقيقية، عندما استوقفه رجال الأمن ثلاث مرات؛ للتحقق من هويته، خلال الأمتار القليلة، التي قطعها، حتى مكتب (رشاد السلباوي)؛ لذا فلم يكد يلمح (إدوارد) داخله، حتى هتف في حدة وعصبية:

- ألا يبد ولكم أنكم تبالغون في نظم الأمن كثيرًا أيها المصريون؟!

أجابه (إدوارد) في حدة:

- كل هذا بفضلك، أيها الإيطالي الفاشل.

تسمر (ماريو) في مكانه، وهتف بمزيج من الدهشة، والغضب، والاستنكار:

- فاشل؟! أنا؟!

صاح به (إدوارد):

- نعم.. لقد فشلت في اغتيال خصمنا، وجعلته ينطلق خلفنا كالمسعور.

هتف (ماريو) في حدة:

- أنا لم أفشل.. لقد أطلقت عليه النار، وزميلته اعترضت طريق الرصاصة في اللحظة الأخيرة.

صاح (إدوارد):

- أرأيت؟!

أشار (ماريو) إلى صدره، وهو يهتف في غضب:

- ولكنني محترف يا سنيور (إدوارد).. محترف يدرك جيدا ما يفعله.. لقد اخترقت رصاصة بندقيتي جسدها، ثم عبرته إلى جسده.. تلك البندقية التي استخدمتها بعيدة المدى، ورصاصاتها قادرة على اختراق أقوى الدروع، و...

قبل أن يتم عبارته، انبعث رنين هاتف (إدوارد) المحمول، فالتقطه هذا الأخير بحركة آلية، قائلاً في عصبية:

- من هناك؟!

أتاه صوت أحد رجال أمن الشركة، وهو يقول في توتر:

- سيد (إدوارد).. هناك رجل شرطة يصر على مقابلتك فورًا.

ردد (إدوارد) في عصبية أكثر:

- مقابلتي أنا؟!

أجابه الحارس في حزم:

- شخصيًا.

صمت (إدوارد) بضع لحظات، محاولاً السيطرة على عصبيته وتوتره، قبل أن يسأل الحارس في حدة:

- هل تأكدت من هويته؟! أعني أهو ضابط شرطة بالفعل؟

أجابه الحارس في سرعة:

- إنه يحمل بطاقة هوية صحيحة..

ثم استدرك:

- ويعلم أنك هنا.

زفر (إدوارد) في توتر، وهو يقول بعصبية زائدة:

- فليكن.. سألتقي به.

وأغلق هاتفه المحمول، وهم بوضعه في جيبه، عندما عاودته شكوكه فجأة، فعاد يضغط أزراره، ليسأل الحارس بنفس العصبية:

- ذلك الشرطي.. هل...

قاطعه الحارس في سرعة، متصورًا أنه قد فهم ما يقصده:

- لقد سمحنا له بالدخول يا سيد (إدوارد).

صاح به (إدوارد) في حنق:

- اسمه أيها الغبي.. ما اسمه؟

راجع الحارس أوراقه في سرعة، قبل أن يجيب:

- (نديم) يا سيد (إدوارد).. (نديم فوزي).

اتسعت عينا (إدوارد)، في شيء من الارتياع، وهو يهتف:

- يا للشيطان! إنه هنا.

سأله (ماريو) في توتر:

- ماذا تقول؟! وجهك وصوتك يوحيان بحدوث أمر جلل.

تجاهله (إدوارد) تماما، وهو يهتف عبر الهاتف المحمول:

- إنه ضابط شرطة زائف أيها التعس.. أغلق أبواب المبنى كلها، ولا تسمح لأي مخلوق بالخروج، واضغط زر صفارة الطوارئ فورًا.. هل تفهم؟!

ضغط الحارس الزر على نحو غريزي، وهو يهتف في انفعال:

- كما تأمر يا سيد (إدوارد).. كما تأمر.

مع انطلاق صفارة الطوارئ، في المبنى كله، استل (ماريو) مسدسه بحركة غريزية، وهتف في توتر شديد:

- ماذا حدث؟!

أجابه (إدوارد) بالإيطالية:

- الهدف، الذي فشلت في تصديره في المرة الأولى، أتى بقدميه إليك هنا.

تألقت عينا (ماريو) في وحشية، وهو يقول:

- حقًا؟! سيروق لي كثيرًا أن أعيد الجولة، بأسلوب جديد..

ضغط (إدوارد) عدة أزرار على مكتبه، وهو يقول في انفعال:

- ولن تكون وحدك.

وبأوامر قصيرة محدودة، تحول رجال الأمن، في المبنى كله، بقيادة القاتل الإيطالي المحترف (ماريو)، إلى فرقة قنص، تنشد فريسة واحدة..

(العقرب)..

وبأي ثمن..

• • •

مهمة رسمية

9- حمايـــة..

انعقد حاجبا اللواء (حلمي) في شدة، وهو يستمع إلى العقيد (مجدي) في اهتمام، قبل أن يحك ذقنه بسبابته، مغمغمًا في شيء من التوتر:

- شخص ملتح، يرتدي جلبابًا أبيض؟! ما الذي يحاولون الإيحاء به بالضبط؟!

أجابه (مجدي) في سرعة:

إن محاولة اغتيال (نديم) ترتكز على سبب عقائدي محض.

تطلع إليه اللواء (حلمي) مباشرة، وهو يقول:

- وهل يبدو لك هذا منطقيًا؟!

هز (مجدي) رأسه في قوة، قائلاً:

- مطلقًا.

ثم شد قامته، في وقفة عسكرية قوية، وهو يضيف:

- صحيح أنني أختلف مع (نديم)، منذ كنا زميلين في الشرطة، ولكنني أعلم جيدًا أنه ما من سبب منطقي، لمحاولة اغتياله لسبب عقائدي.

نهض اللواء (حلمي) من خلف مكتبه، وهو يقول في حزم:

- أضف إلى هذا أن البندقية، التي تركها القاتل خلفه، من طراز غير مألوف هنا، واستخدامها أيضًا ليس بالأمر المألوف، بالنسبة لتلك الجماعات أو غيرها.

وتوقف ببصر شارد، ليضيف:

- إنني أشتم من هذا رائحة أجنبية.

ردد (مجدي) في حذر:

- أجنبية؟!

لم يجب اللواء (حلمي) تساؤله الحذر هذا، وهو يواصل الشرود ببصره وأفكاره بضع لحظات أخرى، قبل أن يلتفت إليه، ويسأله فجأة:

- أين (نديم) الآن؟!

لوح (مجدي) بيده، مجيبًا في شيء من العصبية:

- لقد اختفى، في أثناء معاينة رجالنا لمسرح الجريمة، على الرغم من أنه مصاب في ذراعه.

سأله اللواء (حلمي) في توتر:

- وماذا عن (غادة)؟!

أجابه في أسف:

- إصابتها خطيرة كما يقولون، وهي الآن في حجرة العمليات بالفعل، فالرصاصة اخترقت ظهرها، ونفذت من صدرها، وهناك احتمال أن..

قاطعه اللواء (حلمي)، متسائلاً في اهتمام بالغ:

- أين يمكن أن نجد (نديم) في رأيك؟!

تضاعف حذر (مجدي)، وهو يجيب:

- وكيف لي أن أعرف؟!

أشار اللواء (حلمي) بيده، قائلاً:

- إننا رجال شرطة، والمفترض أن تكتسب القدرة على استنتاج ما لا نراه بأعيننا.

غمغم (مجدي):

- بالتأكيد!

تابع اللواء (حلمي) في اهتمام:

- على الرغم من كل ما حاولوا الإيحاء لنا به، فكلانا يعلم أن (نديم) يستهدف (رشاد السلباوي) هذه المرة.

شعر (مجدي) بانفعال جارف، يسري في عروقه، وهو يقول في تحفز متوتر:

- بافتراض أنه (العقرب)..

تجاهل اللواء (حلمي) العبارة تمامًا، وهو يتابع:

- وتحرياتنا تؤكد أن (رشاد) على علاقة ببعض المنظمات غير الشرعية، في الولايات المتحدة الأمريكية، و(إيطاليا)، و(نديم) يعلم هذه الحقيقة أيضًا.

تساءل (مجدي) بنفس الانفعال:

- وكيف علمها؟!

مرة أخرى تجاهله اللواء (حلمي)، وهو يقول:

- الأسلوب الذي تمت به محاولة اغتيال (نديم)، هو أسلوب قاتل محترف، وهذا يقودنا إلى احتمال تورط (رشاد)، أو محاميه الداهية (إدوارد)، في تلك المحاولة.. وسقوط (جابر)، رجل الأمن بمبنى (السلباوي)، يمنحه الدليل القاطع على هذا.

غمغم (مجدي)، في انفعال شديد:

- سيادة اللواء، يلوح لي أن...

قاطعه اللواء (حلمي)، وهو يلتفت إليه مرة أخرى، مكملاً:

- ضع نفسك إذن مكان (نديم)، وأنت تعلم كل هذا، ثم تصاب زميلتك إصابة قاتلة أمام عينيك.. ما الذي تسعى إليه عندئذ؟

بذل (مجدي) جهدًا خطيرًا؛ للسيطرة على أعصابه، وهو يجيب:

- الانتقام.

هتف اللواء (حلمي)، في توتر بالغ:

- بالضبط.

ثم أمسك ذراعي (مجدي) في شدة، هاتفًا:

- يا إلهي! لابد أن نسرع يا (مجدي).. لابد أن نتحرك بأقصى سرعة؛ لو أردنا ألا نفقده.

هتف (مجدي)، في عصبية شديدة:

- نفقد من؟!

أجابه اللواء (حلمي)، وهو يندفع نحو باب حجرة مكتبه:

- سلاحنا السري يا رجل.. (نديم).. (نديم فوزي).

ومرة أخرى، تفجر انفعال جارف في أعماق (مجدي)..

فكل شيء من حوله كان يحمل ألف علامة استفهام..

بل آلاف..

• • •

تحت قيادة القاتل الإيطالي المحترف (ماريو)، انتشر رجال الأمن، في المبنى الإداري الضخم، لمجموعة شركات (رشاد السلباوي)، وراحوا يفتشون كل حجرة..

وكل شبر..

بل كل سنتيمتر..

وبكل صرامته وتوتره الإيطالي، راح (ماريو) يهتف:

- أوقفوا المصاعد كلها، وافصلوا التيار عنها تمامًا.. كل طابق يتم تفتيشه يغلق تمامًا، وتوضع عليه حراسة مشددة.. وليذهب فريق من أفضل رجالكم؛ لحماية الزعيم مباشرة.

سأله أحد رجال الأمن في حذر:

- هل تقصد (رشاد) بك بلقب الزعيم هذا؟!

كان (ماريو) يقصد الإشارة إلى (إدوارد) في الواقع، ولكن تساؤل رجل الأمن جعله يجيب في حدة:

- بالتأكيد أيها الغبي.. ومن غيره؟!

كان الرجال غير المدربين يشعرون بتوتر بلا حدود؛ لأنهم يواجهو ن هذا الموقف لأول مرة؛ لذا فقد تعلقوا بقيادة (ماريو) المحترف، وراحوا ينفذون أوامره بمنتهى الطاعة والدقة..

وفي الطابق الثالث من المبنى، كان رجلان من رجال الأمن يتحركان في توتر وسرعة؛ لتفتيش المكان كله، وأحدهم يسأل زميله:

- ترى ماذا يحدث هنا؟! الأمر يبدو كما لو أننا في حرب!

غمغم زميله:

- يبدو أن الشخص، الذي تسلل إلى المبنى، يثير قلقهم بشدة.

تساءل الأول:

- ومن ذلك الإيطالي الذي يدير الأمور هنا؟!

تنهد زميله، وقال، وهو يدفع باب حجرة أدوات النظافة:

- لا أحد يعلم أي شيء عنه، سوى أنه يحظى باهتمام السيد (إدوارد) شخصيًا، وهذا يعني أنه..

قاطعه صوت من داخل حجرة أدوات النظافة، يقول في صرامة:

- وغد مثله.

جفل الرجلان مع المفاجأة، وسحب أحدهما مسدسه في سرعة، وهو يهتف:

- يا إلهي! إنه..

قبل أن يتم عبارته، انقض عليه (نديم) كالصاعقة، وركل يده الممسكة بالمسدس، فأطاح به في قوة، قبل أن تثب قبضته، لتضرب فكه بلكمة كالقنبلة..

وفي نفس اللحظة، التي سقط فيها الرجل فاقد الوعي، كان زميله ينقض على (نديم)، صائحًا:

- أنت هو.

قالها، وهو يلكم (نديم) في صدره لكمة قوية، شعر معها هذا الأخير بألم عنيف، وهو يتراجع ليرتطم بالجدار، إلا أنه لم يلبث أن ارتد في سرعة، وهو يهتف:

- نعم.. أنا هو .

ومع قوله، غاصت قبضته اليمنى في معدة رجل الأمن، قبل أن يسحب مسدسه بلحظة واحدة، وما إن انثنى الرجل، من فرط الألم، حتى ارتفعت نفس القبضة، لتهوي على فكه كصاعقة، أعادته إلى وضعه، وزادته انحناء إلى الخلف، ليسقط على ظهره في عنف، وهو يصرخ:

- النجدة يا..

قبل أن تكتمل صرخته، ركله (نديم) في أنفه بعنف، فارتطم رأسه بالأرض، وغاب عن الوعي على الفور..

وفي سرعة، ودون أن يضيع لحظة واحدة، وعلى الرغم من ذراعه المصابة، جذب (نديم) الرجلين، داخل حجرة أدوات النظافة، وهو يغمغم:

- كان هذا ضروريًا للأسف، على الرغم من ثقتي بأنكما تجهلان ما يحدث هنا..

وفي إحكام، أغلق الباب خلفه وخلفهما، مستطردًا بكل صرامة، وعيناه تتألقان على نحو عجيب:

- ولكنه خطأ أولئك الأوغاد، الذين يستأجرون غير المحترفين للقيام بأعمال المحترفين.

وتضاعف تألق عينيه، وهو يضيف:

- وعليهم أن يدفعوا ثمن هذا.

ثم بدأ عمله..

• • •

"خطأ يا (إدوارد).. خطأ..".

هتف (رشاد السلباوي) بالكلمة، في غضب هادر، وهو يقف أمام نافذة حجرة مكتبه الكبيرة، قبل أن يلوح بذراعه كلها، مستطردًا بكل الحدة والانفعال:

- من الواضح أنك لم تستوعب وجودك في (مصر) بعد، ومازالت تتعامل وكأنك في (شيكاغو) أو (لوس أنجلوس).. هل تتصور أن الأمور تسير في العالم كله على وتيرة واحدة؟!

عقد (إدوارد) كفيه خلف ظهره في صرامة، وهو يجيب:

- هذا صحيح.

هتف به (رشاد):

- ما الصحيح؟!

أجابه في صرامة أكثر:

- الأمور تسير في العالم كله، على وتيرة واحدة، مع شيء يسير من التعديل، بين كل مكان وآخر.

ثم مال نحوه، مستطردًا في شراسة:

- فالقوة والنفوذ وحدهما، يحكمان كل شيء.

صاح به (رشاد) في غضب:

- وماذا عن القانون؟!

اعتدل (إدوارد)، مجيبًا:

- القانون أيضًا يخضع للقوة والنفوذ، ويتحور مع وجودهما، على نحو يرضي مالكهما.

صاح (رشاد):

- ليس في (مصر).

أجابه (إدوارد)، في صرامة مخيفة:

- بل في كل مكان في العالم.

لوح (رشاد) بذراعه مرة أخرى، قائلاً في حدة:

- وكيف تنقذك القوة، ويحميك النفوذ، من محاولة اغتيال، جلبت لنا، أول ما جلبت، محاولة انتقام مباشرة، من الشخص المفترض تصفيته؟!

أجابه (إدوارد) في حزم:

- القوة والنفوذ يبعدان الشبهات عنك من الأساس أيها الأحمق.

لم يكد يتم عبارته، حتى ارتفع صوت سكرتيرة مكتب (رشاد)، عبر جهاز الاتصال الداخلي، وهي تقول:

- سيد (إدوارد).. أحد رجال أمن المبنى هنا، ويصر على مقابلتك فورًا.

انعقد حاجبا (إدوارد) في شدة، وهو يقول:

- مقابلتي أنا.. ولماذا؟!

أجابته السكرتيرة، وصوتها يحمل رنة توتر:

- يقول إن هذا يتعلق بالمتسلل، و...

بترت عبارتها، لتصرخ فجأة:

- أنت.. ماذا تفعل.

لم يكد جهاز الاتصال الداخلي ينقل صرختها، حتى انتفض جسد (رشاد) في عنف، وتراجع بحركة عشوائية حادة،هاتفًا:

- ماذا يحدث؟! ماذا يحدث؟!

أما (إدوارد)، فقد قفزت يده بسرعة إلى جيب سترته، حيث يحتفظ بمسدسه الصغير، و...

وفجأة، اقتحم (نديم) الحجرة، وقال في صرامة، وهو يصوب فوهة مسدس كبير، إلى رأس (إدوارد) مباشرة:

- إياك أن تحاول..

تّجمدت يد (إدوارد)، قبل أن تبلغ مسدسه، وامتقع وجه (رشاد) بشدة، وراح جسده يرتجف في عنف، في حين لحقت السكرتيرة بـ (نديم)، صائحة:

- ليس من اللائق أن...

اختنقت صيحتها في حلقها، عندما وقع بصرها على المسدس المصوب إلى رأس (إدوارد)، وأطلقت شهقة مذعورة، فهتف بها هذا الأخير في حدة:

- اصمتي..

نقلت بصرها في ارتياع، بين (نديم) و(إدوارد)، فهتف (رشاد) في رعب:

- سنبلغ الشرطة.. (نسرين).. أبلغي الشرطة فورًا، قبل أن....

صاح به (إدوارد):

- اصمت يا رجل، وتمالك أعصابك.

ارتجف صوت السكرتيرة، وهي تقول:

- هل أبلغ الشرطة؟!

أجابها (إدوارد) في صرامة:

- كلا.. انصرفي إلى مكتبك، وسنستدعيك إذا ما احتجنا إليك.

عادت تنقل بصرها، بين وجه (رشاد) الشاحب، وملامح (إدوارد) العصبية الصارمة، والمسدس في يد (نديم)، قبل أن تغادر الحجرة، وتغلق بابها خلفها في عصبية، ولم تكد تفعل، حتى قال (نديم):

- من الواضح أن محاميك أكثر حكمة منك أيها الحقير.

اتسعت عينا (رشاد)، وهو يقول:

- حقير.. من تقصد بكلمة حقير هذه؟!

استوقفه (إدوارد) بإشارة صارمة من يده، وهو يقول:

- لماذا أنت هنا يا سيد (نديم)؟!

أجابه (نديم) في صرامة:

- السؤال الأكثر عملية هو: لماذا أثار وجودي توترك إلى هذا الحد أيها الوغد؟!

عقد (إدوارد) ساعديه أمام صدره، مجيبًا:

- لست أتذكر أن أحدًا قد دعاك إلى هنا يا سيد (نديم).

أجابه (نديم) في سرعة:

- الواقع أنني قد تلقيت دعوة الحضور في مكتبي، ولكن من أرسلته بها أخطأ العنوان، فمنحها لزميلتي (غادة)، التي لو أصابها مكروه، فلن تكفيني حياتكما معًا تعويضًا عنها.

ازداد امتقاع وجه (رشاد)، وارتبك على نحو ملحوظ، حتى إن ساقيه قد عجزتا عن حمله، فاستند إلى أقرب مقعد إليه، وهو يردد:

- يا إلهي! يا إلهي!

جلس على المقعد، وركبتاه تصطكان ببعضهما، في حين قال (إدوارد)، في شيء من البرود:

- لست أفهم بالضبط ما تعنيه يا سيد (نديم).

جذب (نديم) إبرة المسدس، الذي حصل عليه من أحد رجلي الأمن، اللذين أفقدهما وعيهما، وهو يقول في صرامة:

- أتظنني مضطرًا لمنحك دعوة مماثلة حتى أنعش ذاكرتك؟!

ابتسم (إدوارد) في شيء من السخرية، وهو يقول:

- أنا واثق من أنك لن تفعل.. هذا لا يتفق مع طبيعة شخصيتك.

قال (نديم) في غضب:

- حتى بعد ما فعلتموه بزميلتي أيها الوغد؟!

التقى حاجبا (إدوارد)، وهو يقول في توتر:

- إنك لم تقتل أحدًا طوال تاريخك كله.

سأله (نديم)، وهو يصوب المسدس، إلى رأسه مباشرة، وسبابته تتلاعب على الزناد:

- أي تاريخ تقصد؟! تاريخ (نديم فوزي)، ضابط الشرطة السابق، أم...

أكمل (إدوارد) في سرعة:

- أم تاريخ (العقرب) الحالي؟!

قال (نديم) في صرامة:

- لم يعد هناك فارق.

كاد (رشاد) يفقد وعيه، من شدة خوفه، وهو يتمتم في انهيار:

- كان ينبغي أن نبلغ الشرطة.. كان ينبغي أن نفعل.

أدار (نديم) عينيه إليه، قائلاً:

- إنني أتفق معك في هذا.. أي شخص شريف، في نفس موقفك، كان سيتصل بالشرطة مباشرة، ولكن يبدو أن محاميك لا يرغب في أن تدس الشرطة أنفها هنا.

عاد (إدوارد) يسأله في عصبية:

- لماذا أنت هنا يا سيد (نديم)؟!

أعاد (نديم) بصره إليه، قائلا:

- تستطيع أن تقول: إنني ألعب دور "البوسطجي".

ردد (إدوارد)، في حذر متسائل:

- "البوسطجي".

أجابه (نديم):

- نعم.. لتوصيل رسالة مباشرة.

اتسعت عينا (رشاد)، في رعب هائل، وهو يحدق في فوهة المسدس، الذي يمسك به (نديم)، وقد خيل إليه أنه قد فهم ما يعنيه، ولكن هذا الأخير تابع بنفس الصرامة:

- رسالة تقول: إنه إذا ما أردت أن أصل إليكم فسأفعل، مهما أحطتما نفسيكما بكل حماية ممكنة.

غمغم (إدوارد) في حذر أكثر:

- فقط.

قال (نديم) في صرامة:

- ضغطة واحدة على الزناد، وأضيف تأكيدًا جديدًا، لا يقبل الجدل، أو...

بتر عبارته بغتة، عندما لاحظ اعتدال (رشاد) على مقعده، وذلك التألق في عيني (إدوارد)..

وبسرعة، وبمزيج من براعة الاستنباط وغريزة المقاتل، استدار (نديم) خلفه في سرعة، ورفع فوهة مسدسه، ولمح لحظة وجه (ماريو)، الذي عبر بابًا خفيًا في الجدار، و...

وقبل أن تكتمل استدارته، هوت على رأسه ضربة عنيفة..

وأظلمت الدنيا دفعة واحدة..

تمامًا.

• • •

مهمة رسمية

10- قبضة العدو..

خفق قلب عم (أحمد) في عنف، وامتقع وجهه بشدة، وهو يقف أمام حجرة عمليات الطوارئ بالمستشفى، وراحت عيناه الزائغتان تتابعان في ارتياع ملهوف، كل من يدخل ويخرج منها، قبل أن يتعلق بذراع أحد الممرضين، ويسأله في توتر بالغ:

- كيف حالها؟!

أزاح الممرض يده، وهو يجيب في آلية:

- الأطباء يفعلون كل ما في استطاعتهم.

لحق به عم (أحمد) مرة أخرى، متسائلاً:

- هل.. هل اخترقت الرصاصة قلبها؟!

هز الممرض رأسه، قائلاً:

- لست أدري.. هذا أمر يفهمه الأطباء وحدهم.

حاول الرجل أن ينصرف لشأنه، ولكن عم (أحمد) عاد يتعلق بذراعه مرة أخرى، متسائلاً:

- قل لي بالله عليك: هل ستنجو؟!

صاح به الممرض في حدة:

- ومن أدراني؟!

تراجع عم (أحمد)، وانكمش على نفسه في ضعف، مغمغمًا:

- معذرة يا ولدي.. كنت فقط اسأل.

شعر الممرض بتأنيب الضمير، وبالشفقة على الشيخ، فربت على ظهره، مغمغمًا:

- سامحني يا والدي.. أعباؤنا كثيرة، وأعصابنا دائمًا في قمة التوتر.

أومأ عم (أحمد) برأسه متفهمًا، وقال:

- أعلم هذا يا بني.. أعلمه جيدًا، ولكنك لا تدرك كم أشعر بالخوف عليها.

انحدرت الدموع من عينيه، مع الجزء الأخير من عبارته، وارتجفت شفتاه في مرارة، فعاد الممرض يربت على ظهره، قائلاً:

- لا بأس يا والدي.. لا بأس.. سأعود إلى حجرة العمليات، وسأبلغك خيرًا بإذن الله.

تبعه عم (أحمد) ببصره، وهو يعود إلى غرفة العمليات، ثم غمغم:

ساعدها يا إلهي! ساعدها.

مضت دقائق، بدت له أشبه بدهر كامل، وهو يقف في انتظار عودة ذلك الممرض وتعلقت عيناه بباب حجرة عمليات الطوارئ، و....

وفجأة، انفتح الباب..

وخفق قلب عم (أحمد) في قوة، واشرأب ببصره، متوقعًا رؤية ذلك الممرض..

ولكنه لم يكن قادم..

كانت ممرضة شابة، اندفعت خارج حجرة العمليات، وانطلقت تعدو في الممر فصاح بها عم (أحمد):

- ماذا حدث؟!

صاحت به في توتر بالغ:

- لا وقت لهذا أيها الشيخ.. الموقف خطير للغاية!

وهوى قلب عم (أحمد) بين قدميه..

بمنتهى العنف..

• • •

انتفخت أوداج (ماريو)، وهو يصوب مسدسه إلى رأس (نديم)، الذي سقط فاقد الوعي، وقال في سخرية وحشية:

- إنه لم يكن ذكيًا كما تصور.

ثم جذب إبرة مسدسه، مستطردًا:

- هل أنسف رأسه؟!

قبل أن تنفرج شفتا (إدوارد) بحرف واحد، هب (رشاد) من مقعده صائحًا بكل عصبية الدنيا:

- لا.. ليس هنا.

تطلع إليه (ماريو) في سخرية، ولكن (إدوارد) قال في صرامة:

- إنه على حق.

هتف (ماريو) في عصبية:

- أي حق؟! إنه متسلل.. دخل المكان دون وجه حق، والمسدس الذي كان يمسك به، يحمل بصماته حتمًا، ويمكننا أن ندعي أنه حاول قتل سنيور (رشاد)، أو....

قاطعه (رشاد) في حدة:

- لا.. لا تقحم اسمي في هذا الأمر.

قال (ماريو) في حدة:

- لقد تم إقحامه بالفعل، فالمبنى كله يحمل اسمك، والصحف سوف..

قاطعه (إدوارد) في صرامة:

- الصحف لن تعلم بما حدث هنا.

رفع (ماريو) عينيه إليه بحركة حادة، قبل أن يقول في عصبية:

- كيف تفكرون هنا بالضبط؟!

أجابه (إدوارد) بزمجرة شرسة:

- بالأسلوب الصحيح، الذي لا يعلمه الحمقى أمثالك.

انعقد حاجبا (ماريو) في عصبية، فتابع (إدوارد)، بنفس الصرامة الشرسة العنيفة:

- أنت لا تعرف الصحافة هنا، وفي أي مكان آخر.. (السلباوي) يقيم مبنى ضخمًا، في قلب المدينة، وهذا المحامي أقام دعوى ضده بالفعل؛ لمنعه من إتمام المشروع، بحجة أنه نوع من التلوث البصري البيئي، والصحف ستفسر مقتله هنا، بأنه نوع من بلطجة أثرياء رجال الأعمال، وسيتحول اسم (السلباوي) إلى مضغة في الأفواه، ربما لعام كامل، والعمل الذي تقوم به هنا.. أقصد العمل الحقيقي، لا يتفق مع لفت انتباه الصحافة، حتى ولو وجدنا ألف مبرر قانوني لمقتله هنا.

لوح (ماريو) بذراعيه، هاتفًا:

- هل سنتركه يرحل إذن؟!

التقى حاجبا (إدوارد)، في صرامة وحشية، وهو يقول:

- كلا بالطبع.. إننا سنتخلص منه.

ثم شد قامته، مضيفًا:

- بعيدًا عن هنا.

تألقت عينا (ماريو)، وهو يقول:

- آه.. فهمت.

تابع (إدوارد)، في صرامة امتقع لها وجه (رشاد) أكثر:

- قل لـ (إبراهيم) أن يعاونك، وقيداه جيدا، ثم ضعاه في صندوق السيارة الكبيرة، واصعدا به إلى جبل المقطم، و....

كشر (ماريو) عن أسنانه القذرة، وهو يقول:

- لقد فهمت.

ثم انطلقت من حلقه ضحكة وحشية مجلجلة، وهو يلتقط هاتفه المحمول، ويضغط أزراره، قائلاً:

- (إبراهيم).. تعالَ إلى حجرة سنيور (رشاد) فورًا.. ادخل من الباب الخلفي، المتصل بحجرة الاجتماعات، وليس من الباب الرئيسي.

وبضغطة زر أخرى، أنهى الاتصال، وأعاد الهاتف إلى جيبه، فقال (رشاد) في عصبية:

- هذا لا يروق لي.

أجابه (إدوارد) في صرامة:

- هذا لا يهم.

قهقه (ماريو) ضاحكًا مرة أخرى، ثم مال يضرب مؤخرة عنق (نديم) بكعب مسدسه، فهتف (رشاد) في حنق:

- ولماذا؟! إنه فاقد الوعي بالفعل!!

تألقت ضحكة وحشية، في عيني (ماريو)، وهو يجيب:

- لا ضير من تأمين أكثر.

هز (رشاد) رأسه في عنف، وضرب سطح مكتبه بقبضته، هاتفًا في عصبية تمتزج بالمرارة:

- لم أعد أحتمل هذا.. لم أعد أحتمله.

أجابه (إدوارد) في صرامة، وهو يتابع (ماريو)، الذي انهمك في تكميم (نديم) وتقييد معصميه خلف ظهره:

- لابد أن تروض نفسك على احتماله إذن، فعملنا يحتاج إلى الأقوياء، وليس إلى الضعفاء الخائفين أمثالك.

صاح به (رشاد) في حدة:

- هكذا؟! لماذا لم يسندوا العملية كلها إليك إذن أيها المغرور؟!

رمقه (إدوارد) بنظرة ساخرة، قائلاً:

- لقد فعلوا في الواقع أيها العبقري.

هتف (رشاد):

- وماذا عني؟!

أشار بيده وهو يجيبه في صرامة:

- واجهة.. مجرد واجهة أنيقة للعملية كلها.

احتقن وجه (رشاد) في شدة، وهو يهتف:

- أيها الـ...

قبل أن يتم عبارته، ارتفع فجأة صوت السكرتيرة، عبر جهاز الاتصال الداخلي، وهي تقول في عصبية شديدة:

- (رشاد) بك.. رجال الشرطة هنا.

انتفض جسد (رشاد) على مقعده في عنف، واتسعت عيناه في ارتياع، وهو يحدق في (نديم) الفاقد الوعي، ويهتف:

- الشرطة؟ ألم يقل لك السيد (إدوارد)....

قاطعته السكرتيرة في سرعة عصبية:

- لقد أتوا من تلقاء أنفسهم.

انعقد حاجبا (إدوارد) بشدة، وأشار إلى (ماريو)، هامسًا في صرامة:

- احمله إلى حجرة الاجتماعات، وتعاون مع (إبراهيم)؛ لإخراجه من الباب الخلفي.. أسرع.

نفذ (ماريو) الأمر على الفور، في حين راح (رشاد) يدور حول نفسه في انهيار، مرددًا:

- يا إلهي! يا إلهي!

صاح به (إدوارد) في صرامة غاضبة:

- تمالك نفسك يا رجل.

وانتظر، حتى أغلق (ماريو) باب حجرة الاجتماعات خلفه، ثم انحنى يضغط زر جهاز الاتصال الداخلي، قائلاً:

- (رشاد) بك مريض يا (نسرين)، ولا يمكنه في الواقع مقابلة أحد، ولكننا لا نستطيع منع رجال الشرطة.

وأدار بصره بنظرة صارمة إلى (رشاد)، وهو يستطرد:

- دعيهم يتفضلون.

ثم اعتدل، ورفع يده عن زر جهاز الاتصال الداخلي، قائلاً لـ (رشاد) في صرامة:

- تمالك نفسك أيها الجبان.

بذل (رشاد) جهدًا مستميتًا؛ للسيطرة على أعصابه، وهو يجلس خلف مكتبه، إلا أن

جسده راح يرتجف في عنف، وهو يحدق برعب في باب حجرة مكتبه، الذي انفتح في هدوء، ودلف عبره اللواء (حلمي)، وخلفه العقيد (مجدي)، فاستقبلهما (إدوارد) بابتسامة هادئة، وصوت أكثر هدوءًا، وهو يصافحهما، قائلاً:

- مرحبًا أيها السيدان.. ترى ما الحدث السعيد الذي جعلنا نتشرف بزيارتكما؟!

تطلع رجلا الشرطة إلى وجه (رشاد) الشاحب الممتقع، قبل أن يقول اللواء (حلمي):

- رجال الأمن لديكم يقولون: إن متسللاً نجح في دخول المبنى ببطاقة شرطة غير صحيحة.

تضاعف شحوب وجه (رشاد)، وراحت شفتاه ترتجفان على نحو عجيب، وبدا صوت اصطكاك أسنانه مسموعًا، و(إدوارد) يبتسم، قائلاً:

- ولماذا يفعل أي شخص هذا؟! إنه مبنى تجاري، وأي شخص يمكنه الدخول، لو أن لديه ما يبرر هذا.

سأله (مجدي) في صرامة:

- هل تنكر ما قاله رجال أمنك؟!

هز (إدوارد) رأسه نفيًا، وأجاب بنفس الابتسامة:

- كلا، ولكن من الواضح أنهم قد أساءوا الفهم.. لقد كان أمرًا بسيطًا، ولكنهم حولوه إلى حرب مضحكة.

سأله (مجدي) مرة أخرى:

- وأين ذلك المتسلل؟!

أجاب (إدوارد) بسرعة:

- ومن أدراني؟!

انكمش (رشاد) في مقعده، وهو يحدق في باب حجرة الاجتماعات في رعب، و(إدوارد) يستدرك:

- لقد أدركت مدى سخافة الموقف كله، فأمرت بإنهاء كل هذا فورًا.

تطلع اللواء (حلمي) إلى (رشاد) مباشرة، وهو يقول:

- عجبًا! فعلى الرغم من هذا، كدنا نطلق النار على رجال أمنكم؛ حتى يمكننا الوصول إلى هنا.

هز (إدوارد) كتفيه، مجيبًا:

- من العسير العثور على خبراء أو أذكياء، في هذه المهنة.

هم (مجدي) بإلقاء سؤال آخر، لولا أن توجه اللواء (حلمي) نحو (رشاد) مباشرة، وهو يسأله:

- ماذا بك يا سيد (رشاد)؟!

خيل له أن (رشاد) سيفقد الوعي، من شدة شحوبه وامتقاعه، وهو ينكمش في مقعده أكثر فأكثر، ويقول بصوت رجل يحتضر:

- إنني.. إنني مريض.

رمقه اللواء (حلمي) بنظرة فاحصة، وهو يقول:

- يا له من مرض عنيف، إنك تبدو كما لو أنك ستفقد الوعي.

ارتجفت شفتا (رشاد) في عنف، وهو يحدق فيه، ويجاهد لانتزاع أية كلمات من حلقه ولكن اللواء (حلمي) استدار إلى باب حجرة الاجتماعات، وهو يتابع:

- ثم إنك تحدق طوال الوقت في هذا الباب.

انعقد حاجبا (إدوارد) في شدة، في حين قال (رشاد)، وهو على وشك أن يفقد الوعي بالفعل:

- هذا الباب؟!

اتجه اللواء (حلمي) نحو باب حجرة الاجتماعات مباشرة، وهو يقول في حزم:

- ترى ماذا يوجد خلف هذا الباب؟!

زاغت عينا (رشاد) في محجريهما، في حين عاد (إدوارد) يشد قامته في توتر، وهو يقول:

- ألديك إذن بالتفتيش يا سيادة اللواء؟

أمسك اللواء (حلمي) مقبض الباب، وهو يقول في بساطة:

- وهل يستحق الأمر هذا؟!

التقى حاجبا (إدوارد) مرة أخرى، دون أن يجيب، فأدار اللواء (حلمي) المقبض، و[...] الباب، و....

ولم يكن هناك أحد..

حجرة الاجتماعات كانت خالية تمامًا، على نحو شعر معه (رشاد) وكأن روحه قد ر[...] إليه، فاعتدل في مقعده، وقال:

- إنها خالية، كما كان ينبغي أن تتوقع يا سيادة اللواء.

استدار إليه اللواء (حلمي)، قائلاً:

- ومن الواضح أنه تعد دواء جيدًا لمرضك يا سيد (رشاد).

مع آخر حروف كلماته، ارتفع رنين هاتف العقيد (مجدي) المحمول، فالتقطه في سرعة، وتساءل:

- من المتحدث؟!

رأى الجميع حاجبيه ينعقدان في شدة وتوتر، فسأله اللواء (حلمي) في قلق بالغ:

- ماذا حدث؟!

رفع (مجدي) عينيه إليه، مجيبًا في عصبية:

- إنها (غادة).

سأله اللواء (حلمي) في لهفة:

- ما أخبارها؟!

ازدرد (مجدي) لعابه في صعوبة، وأجاب:

- لقد توقف قلبها عن النبض.

واتسعت عينا اللواء (حلمي)..

بكل الارتياع..

• • •

أوقف (ماريو) سيارة الشركة الكبيرة، عند تلك الحافة، أعلى جبل المقطم، والتفت إلى (إبراهيم)، قائلاً:

- هذا المكان يبدو مناسبًا.. أليس كذلك؟

غمغم (إبراهيم)، وهو يتلفت حوله:

- بلى.. إنه مرتفع بما يكفي، ولن يلمحنا أحد من هذه الزاوية.

فرك (ماريو) كفيه، قائلاً:

- عظيم.

وغادر السيارة، مضيفًا في جذل وحشي:

- الطبيعة عندكم جميلة للغاية، والمشهد رائع من هنا.

غمغم (إبراهيم) في عصبية، وهو يلحق به:

- هل أصبحت رومانسيًا فجأة؟!

قهقه (ماريو) ضاحكًا في شراسة، وقال:

- رومانسيًا؟! كلا بالتأكيد، ولكن عمليات القتل تملأ نفسي بنوع من النشوة، لا يمكنني وصفه.

غمغم (إبراهيم)، وهو يفتح حقيبة السيارة:

- يا للبشاعة!

قهقه (ماريو) مرة أخرى، وهو ينحني ليرفع جسد (نديم) على كتفه، ثم اتجه به نحو الحافة، قائلاً:

- انتظر حتى ترى جسده يهوي من حالق؛ لتدرك ما أعنيه بالنشوة.

مط (إبراهيم) شفتيه، وهو يسير إلى جواره، حتى بلغا الحافة، فقال (ماريو)، وعيناه تتألقان في وحشية:

- هيا أيها المحامي.. قل وداعًا لهذه الدنيا.

وفي هذه المرة، جلجلت ضحكته، في المنطقة كلها..

ضحكته الوحشية..

القاتلة..

• • •

مهمة رسمية

11- الفريسة..

"كل شيء قانوني تمامًا".

نطق العقيد (مجدي) العبارة في سخط واضح، وهو يجلس إلى جوار اللواء (حلمي)، داخل سيارة الشرطة، التي تنقلهما إلى المستشفى، الذي ترقد فيه (غادة)، فانعقد حاجبا اللواء، وهو يقول:

- هل يحنقك هذا؟!

لوح (مجدي) بيده، قائلاً:

- بالتأكيد.. إننا نعلم أن (نديم) وراء كل ما حدث هناك، في شركة ذلك الوغد (رشاد السلباوي)، وأن شحوب رجل الأعمال واضطرابه، كانا أقرب دليل على هذا، على الرغم من هدوء وثبات محاميه الذئب (إدوارد)، ولكننا عاجزون عن اتخاذ أي إجراء رسمي، دون دليل قانوني، وإذن من النيابة، وتقارير وتحريات، وألف إجراء ورقي آخر..

رمقه اللواء (حلمي) بنظرة جانبية، وهو يقول:

- ما الحل في رأيك إذن؟!

هتف في حدة:

- آه لو أننا نستطيع..

بتر عبارته دفعة واحدة، فابتسم اللواء (حلمي)، مكملاً:

- تجاوز الإجراءات القانونية قليلاً.

ثم مال نحوه، مضيفًا في خبث:

- مثلما يفعل (العقرب).

انتفض (مجدي) في عنف، هاتفًا:

- كلا.

ثم التقى حاجباه في شدة، مضيفًا في صرامة:

- القانون هو القانون.

زفر اللواء (حلمي) في ضجر، وهو يعود إلى الاعتدال، قائلاً:

- بالتأكيد.

ازداد انعقاد حاجبي (مجدي)، وهو يسند ظهره بقوة إلى مقعده، ويطبق شفتيه، وعقله يعيد دراسة الموقف كله..

كل صراعاته مع (نديم) عبرت ذهنه في لحظات..

كل خلافاتهما..

واختلافاتهما..

ثم توقف عند النتائج..

لقد نجح (نديم) عدة مرات، في مواجهة مجرمين، اتخذوا من القانون وثغراته درعًا؛ لإخفاء جرائمهم والتحايل على القواعد..

نجح في كل مرة، واجه فيها عتاة المجرمين، وعمالقة اللصوص، بأسلوب يناسب أمثالهم.

أسلوب المواجهة المباشرة..

ولكن لا..

القانون هو القانون..

ربما يفلح تجاوزه مع بعض المجرمين، ولكن الالتزام به يحمي الأبرياء حتمًا..

هذا ما آمن به، وما سيؤمن به دومًا..

القانون هو القانون..

مهما كانت الأسباب..

والجريمة أيضًا هي الجريمة..

المجرم عدو للمجتمع والشعب..

عدو للأخلاق والقيم..

والقضاء على المجرم والجريمة، هو هدف كل إنسان سوي شريف..

وهذا ما يفعله (نديم فوزي)..

العقرب..

ولكن بأسلوبه الخاص..

الخاص جدا..

اعتدل في مجلسه فجأة، عند بلوغه هذه النقطة، وقال في حزم صارم:

- لا يمكن أن نترك الأمور تسير على هذا النحو.

التفت إليه اللواء (حلمي) في دهشة، قائلاً:

- ماذا تعني؟!

أجابه في حماسة شديدة أدهشته:

- لا يمكن أن نترك (نديم) في قبضتهم يا سيادة اللواء.

واكتسى صوته بحزم لا مثيل له، وهو يضيف:

- إنه زميل.. زميل سابق.

كانت دهشة اللواء (حلمي) عارمة، إلا أنه تساءل في اهتمام:

- وما الذي تقترحه؟!

أجابه (مجدي)، وهو يحل حزام مقعده بالفعل:

- واصل أنت طريقك إلى المستشفى، للاطمئنان على (غادة) يا سيادة اللواء، وسأعود أنا إلى شركة (السلباوي).

قالها، وهتف بالسائق، يطالبه بالتوقف فسأله اللواء (حلمي) في حيرة، قبل أن يغادر السيارة:

- ولماذا تعود إلى الشركة؟!

أجابه (مجدي)، وهو يشير إلى إحدى دوريات الشرطة الراكبة:

- لا يمكن أن أترك (نديم) وحده.

وارتفع حاجبا اللواء (حلمي) إلى أقصى مداهما، في دهشة بالغة..

فما حدث الآن أمامه، كان تحولاً خطيرًا في شخصية العقيد (مجدي)..

خطير للغاية..



انطلقت ضحكة الإيطالي (ماريو) عالية وحشية، وهو يحمل (نديم)؛ ليلقيه من حافة جبل المقطم، وهتف وهو يشد عضلاته كلها:

- هيا.. اذهب إلى الجحيم أيها المصري.. الحق بزميلتك هناك.

نطقها بالإيطالية، وبلهجة عامية مبتذلة، وهو يدفع جسد (نديم) إلى الأمام، و...

ولكن فجأة، تشبثت أصابع (نديم) بذراعه، في قوة هائلة..

كان قد استعاد وعيه، في نفس اللحظة التي أطلق فيها (ماريو) هتافه، ووثبت إلى ذهنه صورة واحدة..

صورة (غادة)، وهي تصاب بالرصاصة في ظهرها، وتسقط بين ذراعيه، والدماء تتفجر

من موضع الإصابة في عنف..

وتفجر الغضب، في كل ذرة من كيانه..

وعندما هم (ماريو) بإلقائه، من حافة المقطم، تشبث (نديم) بذراعه في قوة، وهو يستنفر كل قوته وإرادته؛ ليدفع نفسه إلى الخلف، هاتفًا في غضب:

- لن تكمل جريمتك بسهولة أيها الحقير.

تلك المبادرة المباغتة غير المتوقعة، دفعت جسد (نديم) إلى الخلف؛ ليهبط على قدميه، وراء (ماريو)، الذي اختل توازنه مع المفاجأة، فضرب الهواء بذراعيه، محاولاً التشبث بأي شيء، وهو يطلق سبابًا إيطاليًا بذيئًا..

أما (إبراهيم)، فقد انتفض بعنف مع المفاجأة، قبل أن يندفع نحو (نديم)، هاتفًا:

- مستحيل!

وثب منقضًا على (نديم)، الذي لم يستعد كامل وعيه وتوازنه بعد، إلا أن غريزته، التي تذكر كل ما تدرب عليه وتفوق فيه، خلال فترة دراسته، في أكاديمية الشرطة، جعلته يميل جانبًا، متفاديًا انقضاضة (إبراهيم)، الذي اختل توازنه بدوره، مع اختفاء خصمه المفاجئ، فواصل اندفاعه لمتر آخر؛ ليرتطم بالإيطالي ارتطامة خفيفة..

وعلى الرغم من ضعف اصطدامه به، إلا أن هذا كان كافيًا تمامًا، لكسر ما تبقى من توازن القاتل المحترف، الذي أطلق صرخة رعب هائلة، وتضاعفت قوة ضرب ذراعيه للهواء، قبل أن يهوي جسده من حالق..

وبمنتهى العنف، ارتطم جسده بالصخور في أسفل، وتهشم بصورة مخيفة، جعلت (إبراهيم) يطلق شهقة ارتياع ورعب، وقد اتسعت عيناه عن آخرهما، وهو يتخيل نفسه في الموقف ذاته..

وعندما استدار، محاولاً الفرار إلى سيارة الشركة، ارتطم بصره بوجه (نديم)، الذي حمل نظرة صارمة قاسية، وهو يقول:

- إلى أين؟!

حاول (إبراهيم) أن ينتزع مسدسه من حزامه، إلا أن قبضة (نديم) كانت أسرع منه، وهي تهوي على فكه بلكمة كالقنبلة، تراجع معها مترًا واحدًا إلى الخلف، و...

واختل توازنه في عنف..

لقد بلغ الحافة بتراجعه، ومال جسده إلى الخلف، وصار السقوط حتميًا..

ولكن فجأة، قبضت أصابع (نديم) القوية على سترته، ثم جذبته إلى الداخل، لتهوي

قبضته الأخرى على فكه بلكمة ثانية، سقط الرجل بعدها على ركبتيه، وهو يهتف والدماء تتناثر من بين شفتيه:

- الرحمة.. أرجوك.. سأخبرك بكل ما تريد معرفته.. بكل شيء.. كل شيء..

وعندما رفع عينيه، المغروقتين بالدموع إلى وجه (نديم)، انتفض جسده في عنف وارتياع..

فوجه هذا الأخير كان يحمل المقت والقسوة والغضب..

كل الغضب..

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

احتقن وجه (إدوارد) في سخط، وهو يعيد هاتفه المحمول إلى جيبه، قائلاً:

لماذا لا يجيب (إبراهيم)؟! هاتفه يرن طويلاً دون إجابة وهذا يقلقني كثيرًا.

قال (رشاد)، وهو يستدير إلى لوحة كبيرة خلف مكتبه:

- أما أنا، فهذا يفزعني إلى حد الهلع.

انعقد حاجبا المحامي، عندما رآه يزيح اللوحة جانبًا؛ ليكشف خزانة سرية، تختفي خلفها:

- ماذا تفعل بالضبط؟!

أجابه (رشاد)، وهو يضغط أزرار رتاج الخزانة الإلكتروني، بأصابع مرتجفة:

- في موقفنا هذا، يصبح من الخطورة أن تحتفظ بهذه الملفات.

قالها، وفتح الخزانة؛ ليخطف من داخلها ثلاث أسطوانات مدمجة، فهتف به المحامي في حدة:

- ماذا تعني؟!

أجابه (رشاد) بعصبية مفرطة:

- أعني أنه من المحتم تدمير كل المعلومات والوثائق الإلكترونية، قبل أن تعثر عليها الشرطة، وينتهي أمري تمامًا.

انقض عليه (إدوارد) لينتزع الأسطوانات من يده، صائحًا في غضب:

- هل جننت؟! هذه الأسطوانات تحوي عناوين كل الجهات، التي نتعامل معها، وأرقام الحسابات السرية، في بنوك (سويسرا) و(مونت كارلو)، و(أمريكا)، (اليونان)..

صاح (رشاد)، وهو يقاومه في حدة:

- وما قيمة المال لو لم نجد الفرصة لإنفاقه؟!

صرخ (إدوارد):

- لقد جننت حتمًا.

وقرن صرخته هذه بلكمة غاضبة، حطم بها أنف (رشاد)، قبل أن ينتزع تلك الأسطوانات الثلاث من يده عنوة، مستطردًا في صرامة:

- الأصدقاء في (لوس أنجلوس) لن يعجبهم ما أصابك أبدًا.

مسح (رشاد) الدماء، التي تفجرت في أنفه، وهو يقول في عصبية بالغة:

- الأوغاد في (لوس أنجلوس) لا يعنيهم أمري، أو حتى أمرك.. كل ما يهمهم هو أموالهم القذرة، وبراعتنا في غسيلها هنا.

دس (إدوارد) الأسطوانات في جيبه، وهو يقول في صرامة:

- من الواضح أنك لم تعد تصلحّ للعمل.. إننا نحتاج إلى شخص قوي..

قال (رشاد) في حدة:

- وماذا ستفعل؟! هل ستقتلني؟!

دس (إدوارد) يده في جيبه، وأخرج مسدسا مزودًا بكاتم للصوت، وهو يقول بلهجة سخيفة:

- اقتراح لا بأس به.

اتسعت عينا (رشاد) عن آخرهما، وهو يتراجع ملوحًا بيده، وهاتفًا في رعب:

- لا.. لا.. لقد أخطأت.. أعترف أنني أخطأت.. سأفعل كل ما تأمرني به.. أقسم لك.. حتى الأسطوانات لن أحتفظ بها بعد اليوم.. إنها لك.. أرجوك.

جذب (إدوارد) إبرة مسدسه، وهو يقول في صرامة:

- لم تعد هناك فائدة يا رجل.. إنني أنفذ أوامر الأصدقاء في (لوس أنجلوس).. إنها ليست مسألة شخصية.

سقط (رشاد) على ركبتيه، هاتفًا:

- لا.. أرجوك.. الرحمة.

بدا صوت (إدوارد) قاسيًا كلوح من الصلب، وهو يقول:

- وداعًا يا (رشاد).

قبل أن يضغط الزناد، ارتفع رنين هاتفه المحمول فجأة، فالتقطه من جيبه بيسراه، في

حركة حادة، دون أن يبعد فوهة مسدسه عن (رشاد)، الذي انهار تمامًا من فرط الرعب، وقال في صرامة، بعد أن ألقى نظرة على الرقم، على شاشة الهاتف:

- أين كنت يا (إبراهيم)؟! إنني..

قاطعه صوت (نديم)، وهو يقول في صرامة:

- أنا لست مساعدك الوغد أيها الحقير.. أنا الكابوس، الذي لن يفارقك ليلة واحدة، لو أنه تبقى لك المزيد من العمر.

انتفض جسد (إدوارد) في عنف، واتسعت عيناه عن آخرهما، وهو يهتف في عصبية:

- أنت؟! مستحيل!

أجابه (نديم) بنفس الصرامة:

- المستحيل هو أن تفلت بأفعالك القذرة أيها الحقير.. لقد أتيت لأجبرك على دفع فاتورة قذاراتك، التي زكمت أنوف الشرفاء.

ظلت عينا (إدوارد) متسعتين لحظة من فرط الدهشة، التي لم تلبث أن تحولت إلى غضب هادر، وهو يقول:

- اسمع يا هذا.. سواء أكنت عقربًا أو حتى ثعبانًا، فلن أسمح لك بأن تمس شعرة واحدة مني.. سآمر الرجال بقتلك فورًا، ودون أدنى رحمة، لو حاولت مجرد محاولة، أن تقترب من هنا، أو...

قاطعه (نديم) بضحكة ساخرة، وهو يقول:

- أقترب من هنا؟! يا لك من غر ساذج، على الرغم من حقارتك.. إنني هنا بالفعل أيها الوغد.

ومع آخر حروف عبارته الساخرة، تحطم زجاج حجرة المكتب في عنف؛ ليثب عبره جسد قوي، يتشح بالسواد، من قمة رأسه، وحتى أخمص قدميه..

لقد كان (نديم).. (نديم فوزي)..

ولكن في الزي الذي يفضله، في مثل هذه الظروف..

زي (العقرب)..

• • •

مهمة رسمية



12- المواجهة الأخيرة..

لنصف دقيقة كاملة، راح المحامي (إدوارد) يحدق في وجه (العقرب) وقناعه الأسود في دهشة أقرب إلى الذهول، تمتزج بذعر عصبي، قبل أن يتمالك جأشه، ويقول في توتر:

- وسيلة عنيفة للدخول يا سيد (نديم)، ثم إن هذا القناع لم يعد بإمكانه أن يخدع أحدًا، في الوقت الحالي.

هز (نديم) كتفيه، وهو يعقد ساعديه أمام صدره، قائلاً في صرامة:

- إنه يشعرني بالارتياح على الأقل.

أدار (إدوارد) فوهة مسدسه المزود بكاتم للصوت نحوه، وهو يقول في حدة:

- أتعني لم يشعرني مسدسي هذا بالارتياح؟!

تطلع (نديم) إلى فوهة المسدس بلا مبالاة، قبل أن يقول:

- لو أن قوتك تكمن في سلاحك فحسب.

انعقد حاجبا (إدوارد) في غضب، وهو يلوح بمسدسه، هاتفًا:

- انزع قناعك السخيف هذا عن وجهك.. أريد أن أتحدث إلى (نديم فوزي)، وليس إلى (العقرب).

انتزع (نديم) قناعه في هدوء، وهو يتساءل، في لهجة حملت رنة ساخرة:

- أيصنع ذلك فارقًا؟!

أجابه في حدة:

- بالنسبة لي على الأقل.

ارتفع صوت (رشاد) من خلفه فجأة، وهو يهتف في انفعال مرتجف:

- الأسطوانات يا سيد (نديم).. خذ الأسطوانات من جيبه.. سأعترف بكل شيء، على أن تعتبروني شاهدًا، و...

قاطعه (إدوارد)، وهو يستدير إليه في حركة حادة، صائحًا:

- اخرس أيها الغبي.

ومع صيحته، ضغط زناد مسدسه..

وانطلقت الرصاصة بدوي مكتوم..

ومع انطلاقها، وقبل حتى أن تنطلق شهقة الموت، من بين شفتي (رشاد السلباوي)، وثب (العقرب)..

وثب لينقض على (إدوارد) في عنف، هاتفًا:

- خطأ أيها الوغد.

وبركلة قوية، أطاح بالمسدس من يد (إدوارد)، مستطردًا:

- لا تبعد عينيك عن خصمك، في ظروف كهذه أبدًا.

كانت قبضته تنطلق نحو فك المحامي الداهية، عندما ارتفع ساعد هذا الأخير بحركة سريعة ماهرة ليصد الضربة، قائلاً في غضب:

- مشكلتك أيها المقنع..

ودار حول نفسه برشاقة مدهشة؛ ليركل (العقرب) في صدره ركلة عنيفة، ألقت هذا الأخير إلى الخلف والمحامي يتابع:

أنك تتصور نفسك الأكثر براعة.

ثم وثب في مرونة مذهلة؛ ليهبط على مسافة نصف المتر من (نديم)، مستطردًا:

- والأكثر قوة.

كانت مفاجأة حقيقية لبطلنا، ولكنها لم تمنعه من صد لكمة كالقنبلة، صوبها المحامي إلى أنفه، قبل أن يتراجع بقفزة خلفية، قائلاً:

- من الواضح أنك تجيد الرياضات القتالية، على الرغم من حقارتك.

ابتسم (إدوارد) في سخرية، وقال وهو يتخذ وضعًا قتاليًّا حازمًا:

- منذ شبابي، وأنا أتفوق في هذه الرياضات أيها المهرج المقنع، وعندما قضيت بضع سنوات في الولايات المتحدة الأمريكية، حرصت على مواصلة التدريب، على يد عمالقة في هذا المضمار.

ثم وثب بغتة؛ ليركل (العقرب) مرة أخرى في صدره، هاتفًا:

- ما رأيك في النتائج؟!

كانت الضربة من القوة، حتى إنها دفعت (نديم) دفعة عنيفة، جعلته يرتطم بالجدار في شدة، في نفس اللحظة التي انقض فيها المحامي عليه، متابعًا في سخرية قاسية:

- أم نتركه هذا للطب الشرعي؟!

كانت قبضته تندفع نحو فك (العقرب) في قوة، إلا أن هذا الأخير خفض رأسه في سرعة؛ لترتطم قبضة المحامي بالجدار خلفه، قبل أن يعتدل، ويهوي بقبضته على فك المحامي، صائحًا:

- ما رأيك لو نتركه لمحاضر الشرطة.

تراجع المحامي مع عنف اللكمة، وانطلقت من حلقه صرخة غضب وألم، وهو يهتف:

- أيها المقنع الـ...

قبل أن يتم عبارته، وقع بصره على مسدسه الملقى أرضًا، فتألقت عيناه، وهو يهتف:

- أنت أيضًا أخطأت أيها (العقرب).

لمح (نديم) المسدس في اللحظة الأخيرة نفسها، وأدرك أنه بالفعل في متناول يد المحامي، فاندفع نحوه بكل قوته..

ولكن (إدوارد) كان الأكثر قربًا..

والأكثر خفة..

لقد استغل كل مهاراته لينحني كقطعة من المطاط، ويلتقط مسدسه، ثم يعتدل في سرعة مدهشة، وهو يصوب فوهته نحو (العقرب)، هاتفًا:

- آه.. خسرت أيها المقنع.

وجذب إبرة المسدس، مستطردًا في صرامة قاسية:

- ها هي ذي أسطورة جديدة تنمحي من الوجود.

وعلى الرغم من أن مسدسه مزود بكاتم للصوت، فقد رددت طرقات وممرات الشركة كلها دوي الرصاصة..

الرصاصة التي أصابت هدفها..

بمنتهى الدقة..

• • •

"رصاصة واحدة".

نطق كبير الجراحين العبارة، وهو يواجه اللواء (حلمي)، قبل أن يتابع في انفعال:

لقد أصابتها في ظهرها، ونفذت من صدرها، في موضع شديد الحساسية، حتى إن قلبها قد توقف في أثناء العملية، ونحن نسعى لإيقاف النزيف الداخلي.

ثم التقط نفسًا عميقًا ليستطرد في ارتياح:

- ولكننا نجحنا في إعادة النبض إليه، بتوفيق من الله (عز وجل)..

تنهد اللواء (حلمي)، مغمغمًا:

• • •

لم يكن هناك شيء، يمكن أن يحول بين (نديم) ورصاصة المحامي الداهية (إدوارد)..

أي شيء..

فالرجل يجيد التصويب، والمسافة التي تفصله عن (العقرب) محدودة، و...

ولكن فجأة اقتحم العقيد (مجدي) المكان..

ومنتهى العنف..

مع صرخة الاحتجاج، التي أطلقتها السكرتيرة (نسرين)، استدار (إدوارد) بحركة غريزية نحو القادم الجديد..

واستدارت معه فوهة مسدسه..

وكمحترف، لم يضيع (مجدي) ثانية واحدة..

وأطلق النار..

ودوت رصاصة مسدسه في الشركة كلها، وامتزجت بصرخة الرعب، التي أطلقتها السكرتيرة، وبصوت ارتطام الرصاصة بمسدس (إدوارد)، لتطيح به بعيدًا..

وانطلقت شهقة ألم مذعورة، من حلق المحامي..

وقبل حتى أن تكتمل، كان (العقرب) يثب نحوه، ويهوي على فكه وأنفه بلكمتين سريعتين، هاتفًا:

- انحسمت اللعبة أيها الحقير.

تراجع جسد المحامي في عنف، وارتطم مع تراجعه بجثة (رشاد)، فاختل توازنه، وسقط أرضًا، ليتلقى فكه ركلة أكثر عنفًا، من قدم (نديم)، الذي أضاف:

- لصالح (العقرب).

انعقد حاجبا (مجدي)، دون أن ينبس ببنت شفة، في حين أطلقت السكرتيرة صرخة رعب أخرى، وهي تحدق في جثة (رشاد)، وبركة الدم التي تحيط بها، فقال لها (نديم) في صرامة:

- أبلغي الشرطة.. أسرعي.

أدارت عينيها المتسعتين إلى (مجدي)، الذي لوح بمسدسه، قائلاً:

- افعلي ما آمرك به.

تراجعت السكرتيرة في سرعة، وهي تغلق باب حجرة المكتب خلفها، وأسرعت تنفذ ما أمروها به في حين انحنى (نديم)، يلتقط الأسطوانات المدمجة الثلاث، من جيب (إدوارد)،

ثم ناول (مجدي) إياها قائلاً:

- بهذه ستجد لديك قضية متكاملة، من قضايا غسيل الأموال القذرة، بالإضافة إلى جريمة قتل، ضحيتها (رشاد السلباوي)، ومجرمها المحامي (إدوارد).

أعاد (مجدي) مسدسه إلى غمده، والتقط الأسطوانات في حرص، فتابع (نديم)، وهو يشد قامته أمامه، في زي (العقرب):

وربما كانت هناك قضية ثالثة أيضًا.

أدرك (مجدي) ما يعنيه على الفور، فأومأ برأسه إيجابًا، وغمغم:

- القانون هو القانون.

التقط (نديم) نفسًا عميقًا، وقال:

- بالتأكيد.. أعلم أن هذا هو مبدؤك دومًا.

ثم أشار إلى قناعه، الملقى على مقربة من (مجدي)، مضيفًا:

- وها هي ذي الحقيقة أمامك بعد أن انكشف عنها القناع، والشك داخلك تحول إلى يقين.

عض (مجدي) شفتيه، وهو يكرر:

- القانون هو القانون.. إنه الحماية المثلى للأبرياء.

أدار عينيه إلى جثة (رشاد)، والمحامي الملقى فوقها، قبل أن يضيف في مقت واضح:

- أما المجرمون، فيحتاجون إلى قانون خاص.

وفي بطء، انحنى يلتقط قناع (نديم)، ثم ناوله إياه، مضيفًا:

- ومكافح للجريمة من طراز خاص.

ارتفع حاجبا (نديم) في دهشة، فابتسم (مجدي) ابتسامة متوترة، وهو يكمل:

- وربما تتحقق العدالة بحق لو امتزج هذا بذاك.

التقط (نديم) قناعه، ودسه في جيبه، قائلاً بابتسامة هادئة:

- نعم.. ربما.

صمت الاثنان بضع لحظات، وكلاهما يتطلع إلى عيني الآخر مباشرة، قبل أن يلوح (مجدي) بيده، قائلاً:

- هيا.. انصرف أنت، واذهب للاطمئنان على زميلتك، وسأنتظر أنا قدوم الزملاء، من رجال الشرطة.

صافحه (نديم) في صمت، قبل أن يبتسم، قائلاً:

- أعتقد أن عودتك إلى هنا لم تكن رسمية؛ لذا فهناك إجراء بسيط، يعفيك من المسئولية تمامًا.

ابتسم (مجدي)، قائلاً:

- بطاقتك.

أجابه (نديم) بابتسامة مماثلة:

بالضبط.

بعد كلمته باثنتي عشرة دقيقة فحسب، وصل رجال الشرطة إلى مبنى شركة (السلباوي)، وإلى حجرة مكتب هذا الأخير؛ ليجدوه أمامهم جثة هامدة، وفوقه سقط المحامي (إدوارد) فاقد الوعي، وعلى صدره بطاقة بيضاء صغيرة، تحمل رمزًا يعرفونه جيدًا..

رمز (العقرب)..

ولكن أحدًا منهم – باستثناء العقيد (مجدي) – لم يتصور قط أن هذه المهمة، كانت تختلف تمامًا عن كل مهمة سابقة له..

فقد كانت أول مهمة رسمية..

بحق..

• • •

تمت بحمد الله

الروايـة الرابعة

خلـف القنــاع

خلف القناع

1- التحـــدّى..

" من هنا أيها السادة، ووفقاً لكل ما أمامكم، فأنا أطالب ببراءة موكلى، من كافة التهم، المنسوبة إليه ... " ...

دوى صوت المحامى الشهير (فؤاد ثعلب)، فى قاعة المحكمة، وهو يقف بمظهره الفخم المهيب، أمام منصة القضاء، مشيراً إلى رجل، احتل مقعداً فى الصف الثانى من القاعة، محاطاً بعدد من أعوانه، على نحو لا يوحى أبداً بأنه المتهم، الذى تدور حوله المحاكمة ...

وعلى الجانب الآخر من القاعة، جلس (نديم فوزى)، رجل الشرطة السابق، والمحامى الحالى، صامتاً، يتابع الموقف دون تعليق، وإن انعقد حاجباه قليلاً، وبدا أكثر وسامة فى روب المحاماة الأسود، الذى يوحى بأنه الخصم، فى القضية ذاتها ...

وفى توتر، مالت مساعدته (غادة) على أذنه، تهمس:

- ماذا تتوقع ؟!...

غمغم فى حزم:

- البراءة .

تراجعت مستنكرة، وهى تقول:

- بعد كل ما فعلناه ؟!..

أشار إليها بالصمت والهدوء، فى حين انسحب القضاة إلى حجرة المداولة؛ للتشاور بشأن إصدار الحكم النهائى، فالتفت (ثعلب) إلى (نديم)، وقال فى تشف:

- أخطأت هذه المرة يا (نديم).

عقدت (غادة) حاجبيها فى ضيق، فى حين ظلَّ (نديم) محتفظاً بهدوئه، وهو يقول:

- القضية كانت تحوى كل الأدلة والبراهين والوثائق، التى تثبت فساد موكلك، ولو أن الأمور سارت على النهج السليم، لكان فى الـ ...

قاطعه المحامى الشهير بزمجرة قاسية، قبل أن يقول:

- أى قانون تتحدَّث عنه يا (نديم) ؟!... أنت تعلم أن الوثائق لم تعد فى حوزتك، والادلة كلها يعاد تفسيرها فى المعتاد، خاصة فى وجود من أقرَّ بالجرم.

واصل (نديم) هدوءه، وهو يقول:

- أظن أنهم يطلقون على هذا اسم (استغلال النفوذ).

مال المحامى الشهير عليه، وهو يقول فى تحد :

- نعم ... إنه (أسوأ استغلال للنفوذ).

بدت دهشة مستنكرة على وجه (غادة)، من هذا الرد المتبجِّح، واندفعت تهم بقول شئ ما،

ولكن (نديم) ضغط يدها فى رفق، يدعوها إلى التراجع، وهو يقول بنفس الهدوء:

- هل يمكنك تكرار هذا، فى حضور القضاة؟!

لوّح (ثعلب) بيده، هاتفاً:

- إنهم يعلمون.

ثم عاد يميل نحوه، مستطرداً فى تحد أكبر:

- ولكن ماذا بيدهم ليفعلوا؟!

واعتدل بحركة حادة، ملوّحاً بيده على نحو مسرحى، مضيفاً :

- إنه القانون .

غمغم (نديم) فى صرامة:

- نعم ... إنه القانون.

وصمت لحظة، ثم أضاف فى صرامة أكثر:

- ولكن ماذا عن العدالة ؟!

ارتسم الغضب على وجه (فؤاد ثعلب)، وهو يقول:

- اسمع يا (نديم)، لو أردت نصيحتى، فابعد تلك الأفكار، التى تدور فى رأسك الفارغ هذا عنه، ولا تنس أننا نعرف عنك كل شئ.

وبدا صارماً قاسياً، وهو يضيف بعينين ملتهبتين :

- هل تفهمنى؟!... كل شئ.

تبادل معه (نديم) نظرة متحدية بضع لحظات، قبل أن يقول فى هدوء، يحمل نبرة واثقة متحدية:

- من حسن الحظ أننى لم أرد نصيحتك.

تراجع المحامى فى غضب، وهم بقول شئ ما، ولكن أحد رجال المتهم وصل إليه، فى هذه اللحظة، ووضع يده على كتفه، وهو يهمس فى أذنه بكلمات، بدا من ملامحه أنها شديدة الأهمية، خاصة وأنه قد نهض بعدها مباشرة، متجهاً نحو المتهم، وإن لم ينس أن يقول قبل انصرافه:

- لا تنس ما قلته لك.

غمغم (نديم) بنفس الهدوء، الذى يحمل رنة صارمة:

- وكيف يمكن أن أنسى.

تابعت (غادة) ببصرها المحامى، وهو يلتقى بالمتهم، ويتبادل معه حديثاً هامساً، ثم مالت على (نديم)، تقول:

- لقد حذّرتك من البداية يا (نديم) .

أجابها فى حزم:

- القضية كانت مكتملة الأركان، عندما توليتها .

غمغمت فى توتر:

- ولكنها قضية ضد (أحمد عزيز) شخصياً .

قال فى هدوء:

- وماذا فى هذا ؟!... أليس مواطناً مصرياً مثلنا ؟!

قالت فى توتر أكثر :

- نعم ... إنه مواطن مصرى، ولا ... هو ليس مثّلنا .

انعقد حاجباه، دون أن يجيب، فتابعت بنفس التوتر :

- صحيح أنه لا يحتل أى منصب رسمى، ولكن الدولة كلها تعلم أنه الرجل الثانى فعلياً فى (مصر)؛ فهو يدير شئون الحزب، والمسئول الأوّل عن كل عضو فيه، وهو أكثر رجال النظام ثراء وقوة، و ...

قاطعها فى حزم:

- كنت أعلم كل هذا، عندما بدأت القضية .

قالت فى سرعة:

- ولقد حاولت تحذيرك .

صمت (نديم) لحظات، قبل أن يقول بكل الحزم :

- اسمعينى جيداً يا (غادة) ... أنا أعلم منذ البداية ، أن (أحمد عزيز) هذا هو الرجل الثانى فى (مصر)، وأنه سيستخدم كل ما له من نفوذ؛ حتى يطمس الحقائق، ويخرج من الاتهام مثل الشعرة من العجين ... وكنت واثقاً أيضاً من أنه سيحصل على البراءة فى النهاية، مهما قلنا أو فعلنا .

سألته فى دهشة :

- لماذا أثرت القضية إذن ؟!

أجابها بنفس الحزم:

- أوّلاً : لأن المصدر، الذى جلب لنا كل الأدلة والوثائق، هو أحد ضحايا (أحمد عزيز) وفساده وتجاوزاته، وعدد كبير من المحامين خشى الوقوف إلى جواره؛ بسبب نفوذ وقوة ومكانة (أحمد عزيز)، لهذا فقد وجدت أنه من واجبى، إحقاقاً للعدالة، أن أساند المظلوم

سألته فى اهتمام:

- وثانياً .

صمت لحظة، قبل أن يجيب :

- لأن هذا يمنحنى كل الحق، فى بدء الخطوة التالية .

بدا عليها توتر زائد، وهى تقول:

- حذار يا (نديم) ... حديث (ثعلب) يؤكّد أنهم يعرفون كل شئ عن هويتك السرية، وعن أنك كنت ذات يوم (العقرب) .

غمغم فى هدوء أدهشها :

- ليست لدى ذرة شك فى هذا .

ثم أضاف بابتسامة باهتة:

- ولكن لدى تصحيح صغير ياعزيزتى ...

وتطلّع إلى عينيها الجميلتين مباشرة، وهو يضيف:

- فأنا مازلت العقرب.

همّت بقول شئ ما، ولكن القضاة عادوا إلى المنصة، فى هذه اللحظة، فلاذت بالصمت، وانتبهت جيداً ...

ولم يأت الحكم بخلاف التوقعات ...

براءة (أحمد عزيز)، من كافة التهم المنسوبة إليه ...

وبينما يتلقى (أحمد عزيز) التهنئة من رجاله، فى تعال ملحوظ، عاد المحامى (ثعلب) إلى (نديم)، قائلاً :

- الأمر لم ينته بعد .

أجابه (نديم) فى تماسك :

- كنت اظن، وفقاً لما تعلمْناه، أنها المرحلة الأخيرة للتقاضى .

مطّ المحامى الكبير شفتيه، وقال :

- ربما انتهت المواجهة هنا، في ساحة القضاء، ولكنك أسأت إلى (أحمد) باشا، واتهمته علانية بالفساد واستغلال النفوذ .

غمغم (نديم) :

- أليس كذلك بالفعل ؟!

تجاهل المحامى تعليقه، وواصل وكأنه لم يسمعه :

- وهو ليس ممن يغفرون الإساءة أبداً .

هزَّ (نديم) كتفيه، قائلاً :

- يمكنه رفع دعوى رد شرف، أو ...

قاطعه المحامى بإشارة صارمة من يده، وهو يقول :

- أخبرتك أن اللعبة قد انتهت فى ساحة القضاء .

وقسا صوته فى شدة، مع إضافته :

- وبدأت فى ساحة الحياة .

تطَّلع إليه (نديم) لحظات، قبل أن يقول :

- وهى ساحتى المفضَّلة .

بدا المحامى أكثر قسوة وشراسة، وهو يقول :

- فليكن ... مادمت ترى هذه ... ولكن عليك أن تدرك جيِّداً، أن قناعك لن يجدى هذه المرة، ومناوراتك القانونية أيضاً لن تفلح، لأنك قد أغضبت الرجل الثانى فى الدولة، ولو أردت النصيحة الوحيدة؛ للنجاة من هذا الموقف، فهى تكمن فى كلمة واحدة .

ومال نحو (نديم) بشدة، حتى أن (غادة) شعرت بالتوتر، وخاصة عندما أضاف بلهجة مخيفة:

- هاجر .

مضت لحظات، وكلاهما يتطلَّع إلى عينى الآخر فى تحد سافر، قبل أن يقول (نديم)، فى بطء وصرامة:

- إننى أحيا فى وطنى، أظنننى سأبقى فيه.

تراجع المحامى، وهو يقول فى شراسة :

- ستنفتح لك أبواب الجحيم إذن ... لقد أغضبت (أحمد عزيز)، ولم يعد البلد يسمح بوجودكما معاً .

مال (نديم) نحوه هذه المرة، وهو يلتقط حقيبة أوراقه، قائلاً :

- انصحه إذن بأن يرحل .... وقبل فوات الأوان.

تراجع المحامى فى دهشة مستنكرة، فى حين كان (أحمد عزيز) يغادر القاعة، محاطاً بجيش من الصحفيين والإعلاميين، وغمغمت (غادة) بصوت مرتجف :

- أظنك فتحت بالفعل أبواب الجحيم، هذه المرة يا (نديم) .

قال فى صرامة، وهو يغادر القاعة :

- من يدرى ؟!

ومن خلفه، هتف المحامى الكبير فى غضب :

- تذكَّر أننى قد حذرتك ... وتذكَّر هذا اليوم جيداً ... الثالث والعشرين من يناير، عام ألفين وإحدى عشر... تذكَّر أنه بداية نهايتك .

أشار (نديم) إلى الباب، الذى خرج منه (أحمد عزيز)، وهو يقول فى حزم :

- أو نهايته .

امتقع وجه (غادة)، وهى تقول:

- (نديم) ... لقد تجاوزت كل الحدود هذه المرة بالفعل .

أجابها فى حسم، وهو يغادر معها مبنى المحكمة :

- بل هم من تجاوزوا كل الحدود يا عزيزتى ... قمعوا الرأى، وقهروا الفكر، وحوَّلوا الوطن إلى دولة بوليسية، لا يأمن فيها مخلوق واحد على نفسه، وحتى الانتخابات الاخيرة، زوَّروها على نحو سافر سافل، لا يقيم وزناً حتى لعقول المصريين وكرامتهم .

ثم التفت إليها، وهو يفتح باب سيارته، مضيفاً :

- صدقينى يا عزيزتى ... لقد حانت نهايتهم، ولكنهم ككل الطغاة، لا يدركون .

لم يكد يتم عبارته، حتى شعر بيد ثقيلة توضع على كتفه، وسمع من خلفه صوتاً غليظاً، يقول :

- أستاذ (نديم فوزى) .

التفت (نديم) إلى ضابط شرطة، يحمل رتبة عقيد، واصل حديثه بنفس الغلظة، قائلاً :

- معى أمر اعتقال بأسمك .

تراجعت (غادة) كالمصعوقة، هاتفة :

- أمر اعتقال ؟!... ولكن لماذا ؟!

وشد (نديم) قامته، وهو يقول فى حزم :

- أليس من المفترض، قانوناً، أن تسبق أمر الاعتقال تحريات واسعة، و ...

قاطعه الضابط فى تحد :

- كل شئ سليم يا سيِّد (نديم)، وفقاً لقانون الطوارئ ... لدينا سجل مراقبة وتحريات كامل، يثبت أنك نفس الشخص، المطلوب قانوناً، والمعروف باسم (العقرب) .

سأله (نديم)، وقد بدأ التوتر يتسلَّل إلى نفسه، مع قوات الأمن، التى أحاطت بسيَّارته :

- ألديكم دليل واحد يثبت هذا ؟!

لوَّح الضابط بيده، وهو يقول :

- ليس هذا من شأنى .

وأضاف فى سرعة :

- ولكن لدى ما هو أقوى من أى دليل .

وأخرج من جيبه ورقة، تحوى ختماً سيادياً، وهو يضيف، فى لهجة أقرب إلى التشفِّى :

- أمر من وزير الداخلية شخصاً باعتقالك .

تراجعت (غادة) أكثر، وهى تردِّد:

- يا إلهى !... يا إلهى!...

ومع قولها، أحاطت بهما قوَّات الأمن أكثر ...

وبدا من الواضح أنه ما من وسيلة للإفلات هذه المرة ...

على الإطلاق .

• • •

خلف القناع

2- الوزير ..

اندفع (مجدى) على نحو ملحوظ، إلى تلك الحجرة، التى يحتجزون فيها (نديم)؛ تمهيداً لترحيله إلى احد السجون، بناءً على أمر الاعتقال، الصادر من وزير الداخلية شخصياً ...

كانت (غادة) تجلس صامتة، إلى جوار (نديم)، الذى بدا، على الرغم من حساسية موقفه، شديد الهدوء والتماسك، حتى أنه رفع عينيه فى بطء إلى (مجدى)، فى حين هتفت (غادة) فور رؤيته:

- العميد (مجدى).

وقف (مجدى) يتطلّع إليها لحظات، قبل أن يجلس فى بطء، على مقعد مواجه لهما، ويشير إلى أحد الضباط، قائلاً:

- اتركونا وحدنا.

كان الضابط أقل منه رتبة، وعلى الرغم من هذا، فقد قال فى شئ من الصرامة:

- أوامر سيادة الوزير ألا ...

قاطعه (مجدى) فى حدة:

- قلت: أتركونا وحدنا.

نقل الضابط بصره فى توتر، بين (مجدى) و(نديم) و(غادة)، قبل أن يشير إلى جنودد بمغادرة الحجرة، وهو يكرّر:

- أوامر سيادة الوزير ألا ...

بدا (مجدى) شديد الصرامة والغضب، وهو يقول:

- هل سمعتنى جيِّداً أيها الرائد؟!

انعقد حاجبا الضابط فى توتر، ولكنه أطاع الامر، وغادر الحجرة، وما أن أغلق الباب خلفه، حتى التفت (مجدى) إلى (غادة)، يسألها فى شئ من الحدة:

- ماذا تفعلين هنا؟!... معلوماتى تشير إلى أن أمر الاعتقال صادر بحق (نديم) وحده.

قالت فى توتر:

- وأنا محاميته، ومن حقى ...

قاطعها (نديم) هذه المرة، قائلاً فى هدوء:

- عبثاً حاولت أن أشرح لها، أن هذه الحالة لا تندرج تحت البنود القانونية المعروفة.

غمغم (مجدى) فى أسى:

- للأسف .

بدت (غادة) عصبية، وهى تقول:

- اسمع يا سيادة العميد .

استوقفها (مجدى) بإشارة من سبّابته، وهو يغمغم :

- اللواء يا عزيزتى (غادة) ... لقد حصلت على الترقية، فى نفس النشرة الدورية، التى خرج فيها سيادة اللواء (حلمى) من الخدمة .

قال (نديم) فى هدوء:

- من الطبيعى أن تبقى أنت، ويخرج هو، فى زمن كهذا.

نظر إليه اللواء (مجدى) لحظات فى صمت، ثم خفض عينيه، وقال:

- عندما كنت أطاردك بهذا الإلحاح، وأسعى طوال الوقت؛ لإثبات أنك (العقرب)، لم أكن أفعل هذا بدافع شخصى يا (نديم)، وإنما حفاظاً على القانون، الذى أقسمت أن أحترمه وأدافع عنه .

قال (غادة) فى عصبية:

- مثل قانون الطوارئ .

أجابها فى سرعة وحزم :

- كلاً ..

وصمت لحظة أخرى، قبل أن يضيف:

- ذلك القانون موجود، منذ بدأ صراعنا يا (نديم)، ولكنك تعلم أننى لم احاول استخدامه ضدك مرة واحدة.

أجابه (نديم)، وهو يتساءل عن مغزى الحوار:

- هذا صحيح ... كنت دوماً خصماً شريفا .

صمت اللواء (مجدى) بضع لحظات أخرى، ثم قال :

- ولكن الخصم هذه المرة ليس شريفاً بالقدر نفسه يا (نديم)، وهو يمتلك نفوذاً أكبر مما تتصوّر... وبناءً على طلبه، تم تفتيش منزلك ومكتبك بمنتهى الدقة هذه المرة، وبوساطة طاقم فنى خاص جداً .

سأله (نديم) فى اهتمام:

- وما الذى عثروا عليه؟!

هزّ (مجدى) رأسه فى أسف، وقال:

- نفس ما سعيت أنا للعثور عليه، منذ سنوات.

قالها، وهو يخرج من جيبه قناع العقرب، ويضعه أمام عينى (نديم)، فانعقد حاجبا (غادة) فى شدة، وهى تحدّق فى القناع، فى حين ظل (نديم) محتفظاً بهدوئه، وهو يقول:

- لست أظن هذا يصنع فارقاً، فى ظل هذه الظروف .

غمغم اللواء (مجدى) :

- أنت على حق .

اندفعت (غادة) تقول فى توتر شديد:

- ولكنك تعلم أن (نديم) لم يرتد هذا القناع منذ سنوات، وأن (أحمد عزيز) هذا هو الذى يرتدى قناعاً زائفاً، أمام المجتمع كله ... قناع لا يمكن العثور عليه بتفتيش كل قصوره وممتلكاته.

أضاف (نديم) فى حزم:

- ذلك القناع، الذى أردت رفعه عن وجهه القبيح؛ لتبدو وحقيقته أمام الجميع .

تراجع اللواء (مجدى) ينظر إليه فى صمت، فى حين قالت (غادة) فى يأس مرير:

- يبدو أنهم قد أحكموا الخناق هذه المرة يا (نديم) .

بدا (نديم) هادئاً إلى حد مستفز، وهو يقول:

- نعم ... يبدو هذا ... دولة بأكملها، فى مواجهة رجل واحد ... ماذا تنتظرون من هذا؟!

رمقه اللواء (مجدى) بنظرة عجيبة، قبل أن يميل نحوه، ليسأله:

- ألا تبالى باعتقالك يا (نديم) ؟!

جاء دور (نديم)؛ ليصمت بضع لحظات، قبل أن يجيب فى حزم:

- اسمع يا (مجدى) ... لقد فعلت ما فعلت، وأنا أؤمن بكل خطوة خطوتها، ومادمت أؤمن بما أفعل، فأنا أتقبّل عواقبه بنفس راضية .

سأله (مجدى) فى بطء:

- أياً كانت ؟!.

أجابه (نديم) بكل الحزم:

- أياً كانت.

بدا شبح ابتسامة عجيبة، على شفتى (مجدى)، وهو ينتزع مسدسه، قائلاً:

- فى هذا نتفق .

ثم فجأة، ودون سابق إنذار، هوى بمسدسه ...

على رأس (غادة) ...

مباشرة ...

• • •

بدا الضابط المكّلف بحراسة (نديم) شديد التوتر، وهو يحدّث مساعد وزير الداخلية، قائلاً:

- أوامر سيادة الوزير كانت ألا يغيب المتهم عن نظرى لحظة واحدة، حتى يتم ترحيله إلى معتقل (وادى النطرون)، ولكن سيادة اللواء (مجدى) أصّر على البقاء معه وحدهما يا سيّدى، ولم يمكننى معارضته .

أجابه مساعد الوزير فى اهتمام:

- لا بأس ...(نديم فوزى) هو قضية (مجدى) منذ سنوات، ولا ريب فى ان لديه الكثير ليعرفه منه، بعد وقوعه فى قبضتنا .

قال الضابط، فى توتر أكثر:

- ولكن اوامر سيادة الوزير ...

قبل ان يتم عبارته، بلغ مسامعه صوت شجار عنيف داخل الحجرة، التى ترك فيها (نديم) ومحاميته، مع اللواء (مجدى)، فسحب مسدسه، وهو يدفع بابها فى قوة، هاتفاً برجاله :

- استعدوا .

توّقف دفعة واحدة عند باب الحجرة، وتوترت كل عضلة فى جسده، عندما وقع بصره على (غادة)، الملقاة أرضاً، والدماء تنزف من جرح برأسها، فى حين يقبض (نديم) على عنق اللواء (مجدى)، وهو يصوّب مسدس هذا الاخير إلى رأسه، واللواء (مجدى) يهتف فى عصبية:

- المتهم جن جنونه، واختطف مسدسى، وضرب به محاميته، و ...

رفع الضابط مسدسه فى سرعة، وهو يهتف:

- اترك سيادة اللواء، وإلا ...

قاطعه (نديم) فى لا مبالاة :

- وإلا ماذا؟!... هل تتوقع أن تفلح التهديدات الجوفاء، مع ضابط شرطة سابق،

يعرف جيداً كيف تسير الأمور؟!

هتف الضابط فى صرامة عصبية:

- لدى اوامر من سيادة الوزير، بإطلاق النار عليك بلا تردُّد، عند محاولتك الفرار.

قال (نديم) فى صرامة:

- وماذا عن اللواء (مجدى) ... ألديك اوامر بقتله أيضاً ؟!

ارتبك الضابط، ولم يدر أى قرار يتخذ، فى مثل هذه الظروف، فصاح به اللواء (مجدى) فى حدة:

- افسح الطريق يا رجل ... أننى أتحمَّل عنك المسئولية كاملة.

تردَّد الضابط لحظات، فصرخ فيه (مجدى) :

- قلت : افسح الطريق.

" هل جننت يا هذا؟!.. "..

صرخ وزير الداخلية بالعبارة، بكل غضب الدنيا، عبر هاتفه الخاص، قبل أن يواصل صارخاً فى الضابط:

- هل تخبرنى أنه قد غادر مديرية الامن، بكل جنودها وضباطها، وتجهيزاتها واستعداداتها، هكذا ... بكل بساطة !!...

بدا الضابط مرتجفاً، وهو يجيب :

- لقد كان يأسر اللواء (مجدى) يا سيادة الوزير، وبحكم كونه ضابط شرطة سابقاً، كان يعلم كل طرقنا ووسائلنا، ولقد احتاط لها كلها، ثم استخدم سيارة سيادة اللواء للفرار.

ساله الوزير فى عصبية:

- وأين اللواء (مجدى) ؟!

بدا الضابط شديد الارتباك، وهو يقول:

- اصطحبه فى فراره، يا سيادة الوزير .

صرخ الوزير:

- أغبياء .

ثم أنهى المحادثة فى عنف، والتقط هاتفه المحمول، وطلب رقماً خاصاً مميَّزاً، قبل أن يقول فى توتر:

- (أحمد) باشا .... لدى خبر مزعج بعض الشئ .

بدا (أحمد عزيز) هادئاً، وهو يقول:

- أتعنى خبر فرار ذلك المحامى، من مديرية الأمن ؟!

حمل صوت الوزير دهشته، وهو يقول فى توتر:

- كيف علمت بهذا؟!... الخبر بلغنى على التو!!

تجاهل (احمد عزيز) إجابة السؤال، وهو يقول:

- ولقد علمت أيضاً أن رجالك لم ينطلقوا بسيارات الشرطة خلفه مباشرة؛ لأنه هدَّد بقتل اللواء (مجدى)، لو حاولوا هذا.

أضيف الغضب إلى صوت الوزير، وهو يقول:

- كيف تعلم كل هذا؟!... ألديك عيون فى قلب وزارتى؟!

مرة أخرى، تجاهل (أحمد عزيز) إجابة الأسئلة، وهو يقول:

- ربما كان هذا من حسن حظنا يا سيادة الوزير.

قال الوزير فى دهشة متوترة:

- وكيف هذا؟!

أجابه (أحمد عزيز) فى حزم:

- فراره العلنى هذا، يعنى أنه لم يعد تحت مسئولية وزارة الداخلية، وأنه قد صار رسمياً، خارجاً على القانون .

قال الوزير فى انفعال:

- كونه خارجاً على القانون، يجعله تحت مسئولية وزارة الداخلية، فى كافة الاحوال.

أجابه (أحمد عزيز) فى صرامة هذه المرة:

- من الناحية الرسمية فحسب، وخاصة عندما تصدرون بيانكم الرسمى، عقب العثور على جثته.

غمغم الوزير بكل الدهشة:

- جثته ؟!

بدا (أحمد عزيز) هادئاً واثقاً، وهو يقول:

- بالتأكيد ... رجالى خلفه فى هذه اللحظة، وهم على عكس رجالك ... لا يلتزمون بأية قوانين...

ولم يحر الوزير جواباً هذه المرة ...

على الإطلاق ....

× × ×

" يمكنك النزول هنا يا سيادة اللواء ... " ...

قالها (نديم)، وهو يوقف سيارة (مجدى)، عند منطقة هادئة، من كورنيش (المعادى)، ثم التفت إليه، وحاول أن يبتسم، وهو يضيف:

- أعدك أن أبذل قصارى جهدى؛ للحفاظ على سيارتك.

التقط (مجدى) نفساً عميقاً، وهو يقول:

- عندما يجازف الإنسان بتاريخه كله، فلن تكون لسيارته عندئذ قيمة .

سأله (نديم) فى اهتمام:

- ولكن لماذا (غادة)؟!... ماذا كانت ضرورة أن توُجه إليها تلك الضربة القاسية .

ابتسم اللواء (مجدى) ابتسامة شاحبة، وهو يقول:

- ستحتاج حتماً إلى مقاتل فى الخارج، وتلك الضربة ستخرجها من دائرة المسئولية ... مؤقتاً .

قالها، وغادر السيارة، ثم التفت إلى (نديم)، قائلاً:

- اسمعنى جيداً يا (نديم) ... بفرارك من مديرية الأمن، على هذا النحو، صرت رسمياً خارجاً عن القانون، وهذا يعنى أن شخصية (نديم فوزى) لم تعد قادرة حتى على الظهور والمناورة، ولم تعد لديك سوى شخصية واحدة .

وأخرج قناع العقرب من جيبه، مع مجموعة من بطاقاته، وناول كل هذا لـ(نديم)، وهو يضيف فى حزم:

- (العقرب).

التقط (نديم) القناع، مع مجموعة البطاقات، وغمغم:

- كيف يمكننى أن أشكرك؟!

أجابه (مجدى) فى حزم:

- اقض على ذلك الوغد .

" (أحمد) باشا كان على حق ... " ...

نطقها رجل يجلس فى سيارة بعيدة، ويتابع ما يحدث عند سيارة (مجدى)، فأضاف آخر، وهو يسحب مسدسه، ويجذب أجزائه فى قوة :

- ذلك اللواء ساعده على الفرار .

غمغم الأوَّل :

- هل نقتنص اللواء أيضاً ؟!

أجابه الثانى فى حزم:

- كَلا ... الأوامر تقول: المحامى وحده .

رأيا اللواء (مجدى) يتراجع، وسيارته، التى يقودها (نديم) تواصل طريقها، نحو منطقة (حلوان)، فانطلقا خلفها، فى نفس اللحظة التى استوقف فيها اللواء (مجدى) سيارة أجرة، وطلب من السائق توصيله إلى طريق (صلاح سالم)، وهو يجرى اتصاله بمديرية الامن، قائلاً، متصنعاً التوتر:

- أين أنتم ؟!... لقد تركنى بالقرب من المقابر، وفر هارباً، فى اتجاه (مصر القديمة).

وبينما يدلى بعلوماته المضلِّلة إلى زملائه، كان (نديم) ينحرف بالسيارة، فى حركة حادة، نحو منطقة شبه مقفرة، فانحرفت خلفه سيارة مطارديه، وراكبها الأوَّل يهتف:

- لا تدعه يفلت منك .

كان الثانى يضغط دوّاسة الوقود بكل قوته، عندما لمح سيارة اللواء (مجدى) متوقفة، إلى جانب الطريق، فنقل قدمه إلى فرامل السيارة فى سرعة، وأصدرت السيارة صريراً مزعجاً، وهى تتوَّقف على نحو مفاجئ، ووثب منها الأوَّل فى سرعة، وهو يندفع نحو سيارة (مجدى) هاتفاً بزميله :

- أبق المحرِّك دائراً .

وبلا تردُّد ، وعلى الرغم من أن المنطقة ليست مقفرة تماماً، صوب مسدسه نحو مقعد السائق ...

وأطلق النار نحو هدفه ...

مباشرة.

• • •

خلف القناع

3- غـــادة..

" لماذا تحتجزوننى بالضبط ؟!... " ..

ألقت (غادة) السؤال فى عصبية، على الرجلين اللذين يقفان فى حجرة المستشفى، التى ترقد فيها؛ لعلاج إصابة رأسها، ولكنها لم تتلق جواباً منهما، وهما يتطلعان إليها فى صمت وصرامة ...

خبرتها فى العمل بالشرطة، أنبأتها بأنهما ليسا من رجال الشرطة ...

إنهما أقرب إلى اللصوص ...

أو البلطجية ...

اعتدلت محاولة مغادرة فراشها، وهى تقول فى حدة:

- إن لم أتلق جواباً، فسوف ...

اندفع إليها الرجلان، قبل أن تتم عبارتها، وأعاداها بالقوة إلى فراشها، فصرخت وهى تقاومهما :

- ليس من حقكما ... إننى محامية، واحتجازى يحتاج إلى إذن من نقيب المحامين.

كانت نظرات الرجلين تحمل شراسة وقساوة، مما جعلها تستكين فى فراشها، وهى تقول فى عصبية:

- إننى أصر على حقوقى القانونية .

فتح الباب فى هذه اللحظة، وظهر عنده وجه مألوف إعلامياً، فتراجع الرجلان عنها فى سرعة، ووقفا فى ركن الحجرة، فى حين دلف (أحمد عزيز) إلى حجرتها، وهو يقول فى هدوء:

- لماذا كل هذا الصراخ يا آنسة (غادة)؟!... المفترض أن هذه هو الجناح الهادئ من المستشفى.

أدهشها حضوره شخصياً، ولكنها قالت فى صرامة:

- بأى حق تحتجزوننى هنا؟!

هزَّ رأسه نفياً فى ثقة، وهو يجيب:

- بلا أية حقوق ... إننا نحتجزك فحسب .

قال فى دهشة:

- هكذا ؟!

هزَّ كتفيه، قائلاً:

- نعم ... هكذا.

ثم مال نحوها، قائلاً فى صرامة:

- لو أنك تصوَّرت أن لعبة إصابة رأسك هذه ستخدعنى، فأنت وعقربك واهمين.

غمغمت فى حذر:

- أى عقرب؟!

- تجاهل تعليقها تماماً، وهو يواصل:

- إنها وسيلة لإخراجك من الصورة، على نحو قانونى؛ حتى تصبحين سلاح العقرب الحر.

قالت فى حذر أكثر:

- إنك تكثر من الحديث عن العقارب، على نحو غير مفهوم.

اعتدل مبتسماً فى سخرية، وهو يقول:

- محاولتك هذه لن تجدى نفعاً، فأنا على معرفة تامة بما فعله (نديم) هذا، منذ سنوات، ولدى ملف كامل عنه، لا يتوافر حتى لوزارة الداخلية نفسها.

هزَّت راسها، قائلة:

- أياً كانت أوهامك، فليس من حقك إحتجازى هنا.

مطَّ شفتيه، وقال، وهو يشير من خلف ظهره:

- أنت على حق... صحيح أن المستشفى مملوك لى، ولكنه مكان عام، لا يصح احتجازك فيه؛ منعاً للقيل والقال.

مع إشارته، اقترب أحد الرجلين منها، وهو يحمل محقناً، فى حين اندفع الثانى نحوها، وكمم فمها بأحد يديه، وهو يكبل حركتها باليد الأخرى، وهى تقاوم فى شراسة، فتراجع (أحمد عزيز)، قائلاً:

- بحركة واحدة، سأجُرد العقرب من سلاحه الخارجى، وأضمن وسيلة مناسبة للإيقاع به، فى الوقت ذاته.

غرس الرجل الأوَّل المحقن فى عروقها، و(أحمد عزيز) يبتسم، مكملاً:

- وربما لا تكون هناك حاجة لكل هذا فى النهاية؛ فعقربك الآن يلقى مصرعه على الأرجح.

كان هذا أخر ما سمعته (غادة)، قبل أن تسقط فى هوة عميقة...

عميقة ...

بلا قرار...

• • •

لم تكن المنطقة، التى أوقف فيها (نديم) سيارة اللواء (مجدى) مقفرة تماماً، وعلى الرغم من هذا، فلم يتردَّد أحد الرجلين، من السيارة الأخرى، فى إطلاق النار عليها..

وعلى موضع السائق مباشرة...

كان يعدو نحو السيارة، عندما وثب (نديم) من خلفها فجأة، وهو يرتدى قناع (العقرب)، وانقض على الرجل فى رشاقة مذهلة، أخذت الرجل على حين غرة، فسقط أرضاً، وانطلقت من مسدسه رصاصة أخرى فى الهواء، قبل أن يهوى (نديم) على فكه بلكمة كالقنبلة، أفقدته وعيه على الفور...

وكرد فعل غريزى، وثب الآخرمن السيارة، وهو ينتزع مسدسه، صارخاً:

- أيها الـ ...

قبل أن يتم عبارته، اختطف (نديم) مسدس الأوَّل، واطلق منه رصاصة، أصابت مسدس الثانى مباشرة، وأطاحت به بعيداً....

تراجع الرجل بضع خطوات، ثم رأى فوهة المسدس فى يد (نديم) مصوَّبة إليه، فاستدار عائداً إلى السيارة...

ولكن (نديم) بدا كالفهد، وهو يثب فى الهواء، وينقض عليه من الخلف، ثم يجذبه من عنقه، ليسقطه أرضاً...

وعندما قاوم الرجل، واستدار بمسدسه، كان (نديم) يضم قبضتيه، ويهوى بهما على أنفه مباشرة...

وانطلقت رصاصة من مسدس الرجل، ضاعت فى الهواء، قبل أن يتلقى ضربة أخرى، من قبضتى (نديم) المضمومتين، فيهوى فاقد الوعى بدوره...

وعندما نهض (نديم)، ورفع رأسه، رأى العيون تحُدق فيه، من نوافذ البنايات القليلة فى المكان، وقد بدا فيها الرعب، ممتزجاً بالدهشة، من رؤية شخص مقنَّع، أشبه ما يكون بأفلام السينما...

ولم يتوَّقف (نديم) طويلاً أمام هذا، وانما وثب إلى سيارة الرجلين، وانطلق بها مبتعداً، تاركاً الرجلين خلفه فاقدى الوعى، وسيارة اللواء (مجدى)، المصابة برصاصاتهم مستقرَّة فى مكانها، وما أن ابتعد قليلاً، حتى خلع قناع (العقرب)، ودسَّه فى جيبه، وهو يتساءل فى أعماقه ...

أين يمكن أن يذهب، فى مثل هذه الظروف؟!...

أين؟!...

• • •

استعادت (غادة) وعيها فى صعوبة، مع ذلك الثقل الشديد، الذى تشعر به فى رأسها، فأغلقت عينيها وفتحتهما عدة مرات، قبل أن تتبيَّن طبيعة المكان، الذى توجد فيه ...

كان حجرة جيدة التأسيس، أشبه بحجرة فندق فاخر، ملحق بها حمام أنيق للغاية، مجهَّز بكل ما يلزم، وبها دولاب ملابس، يضمُّ ثياباً تناسب قياسها إلى حد مدهش ...

ولكنها كانت حجرة مغلقة تماماً ...

صحيح أنه بها مصدراً للتهوية الصناعية، يجعل جوها منعشاً، ولكنها بلا أية نوافذ على الأطلاق....

فقط باب من الفولاذ، يشبه أبواب السجون، به فتحة صغيرة علوية ذات قضبان فولاذية، ومغلقة من الخارج بشباك معدنى صغير وفتحة أخرى فى أسفل الباب، من الواضح أنها لإدخال الطعام ...

باختصار، كانت زنزانة خمسة نجوم ...

ولكنها، وفى كل الاحوال .... زنزانة ...

وفى غضب، هتفت (غادة) :

- أين أنا بالضبط؟!

لثوان، لم يأتها جواب لسؤالها، ثم فجأة، أضيئت شاشة التلفاز، المعلَّق على الجدار، وظهرت عليها صورة (أحمد عزيز)، وهو يقول:

- اطمئنى يا أنسة (غادة) ... انت ضيفتى.

قالت فى حدة:

- فى زنزانة .

ابتسم، وهو يقول:

- تسمونه فى الشرطة (إجراء احترازى) ... هذا لو أنك مازلت تذكرين أيام عملك فى حماية القانون .

قالت فى تحد:

- أمثالك لا يعترفون بالقانون .

لم يبد عليه الغضب، من قولها أو أسلوبها، وهو يقول:

- أمثالى هم من يضعون القوانين، لا من يتبعونها ... وهذا هو الفارق بينى وبين عقربك ... كلانا يرى القانون عائقاً، ولكن الصراع بيننا هذه المرة غير متكافئ .. فأنا أضع القوانين، وهو الآن خارج عن القانون...

قالت فى توتر:

- حديثك المستمر عن العقارب يـ .....

قاطعها فى شراسة مفاجئة:

- من السخافة الاستمرار فى هذه اللعبة يا إمرأة ... عقربك انكشف أمره، ولم تعد اللعبة حتى ممتعة.

صمتت (غادة) بضع لحظات، قبل أن تقول:

- إذن فلديك ملف كامل عن (العقرب).

أجابها فى زهو:

- ملف لا تملكه الداخلية نفسها.

حمل صوتها رنة التحُدى، وهى تقول:

- إذن فأنت تعلم أنه قد قهر عمالقة وأباطرة من قبلك، وأنه إذا ما بدأ الصراع بينكما، فأنت الخاسر فى النهاية.

صمت (أحمد عزيز) بضع لحظات، وهو يتطُلع إليها على الشاشة، ثم انفجر فجأة فى ضحكة عالية واثقة ساخرة...

واستمر يضحك، والشاشة تخفت ...

وتخفت ...

وتخفت ...

ومع غياب صورته، وجدت (غادة) نفسها تتساءل ..

ترى هل يمكن أن ينتصر (العقرب) هذه المرة؟!...

هل ؟!...

• • •

" (نديم)؟!... "

هتف اللواء (حلمى) بالعبارة، بكل دهشة الدنيا، عندما وجد (نديم) أمامه، داخل حجرة مكتبه، فى منزله الجديد، فى مدينة (الشروق)...

وبكل انفعاله، سأله:

- كيف وصلت إلى هنا؟!...

لم يحاول (نديم) إجابة سؤاله، وهو يغمغم:

- لقد بحثت عنك طويلاً، يا سيادة اللواء.

أسرع إليه اللواء (حلمى)، وهو يقول:

- لواء سابق يا ولدى ... لم يكن من الممكن أن أستمر فى العمل، فى وجود كل هذا الفساد.

رفع إليه (نديم) عينيه، فى صمت وإرهاق، فتابع فى حنان:

- ولكننى مازلت أعرف كل ما يدور هنالك.

كان من الواضح أن (نديم) شديد الإرهاق، وهو يسأل:

- هل تعلم أين (غادة)؟!

ربّت عليه اللواء (حلمى)، فى حنان أبوى، وهو يقول:

- إننى أعلم الكثير من الأمور يا ولدى، ولكنك تحتاج إلى بعض النوم والراحة أوّلاً.

غمغم (نديم):

- لهذا أتيت إليك.

قال اللواء (حلمى):

- توّقعت شيئاً كهذا ... ومادمت توقّعته، فهم أيضاً سيتوقعونه، ولهذا فوجودك هنا ليس آمناً.

لم يعلّق (نديم) على عبارته، وهو يحاول فتح عينيه فى صعوبة، فاتجه اللواء (حلمى) نحو مكتب صغير، وأخرج منه سلسلة مفاتيح، وهو يقول:

- من حسن حظك أن ابنتى وزوجها لن يعودا قبل أسبوع أو أسبوعين، ولقد أعطيانى مفتاح فيلتهما الصغيرة، وهى مجهّزة بكل ما يلزم، ولا أحد يعلم عنها شيئاً ... سأنقلك إلى هناك؛ لتحظى ببعض النوم والراحة، وبوجبة ساخنة، تسترد معها عافيتك، وبعدها....

قاطعه (نديم)، فى إرهاق وتوتر:

- ماذا فعلوا بـ(غادة)؟!

صمت اللواء (حلمى) لحظات، ثم قال:

- (مجدى) اخبرنى أنه تم نقلها إلى مستشفى خاص؛ لعلاج إصابة رأسها، إلا أنها اختفت، و ...

قاطعه (نديم) مرة أخرى فى توتر:

- اختفت؟!...

ثم نهض من مقعده، مستطرداً فى غضب:

- بل اختطفوها على الأرجح .... كنت أعلم أن رجلاً مثل (أحمد عزيز) لن يتورّع عن هذا.

حاول اللواء (حلمى) تهدئته، وهو يقول:

- ليس هناك دليل واحد على هذا ... ربما غادرت بإرادتها، أو ...

قاطعه (نديم) بإشارة من يده، وهو يقول:

- ليس بإرادتها ... لدينا إشارة متفق عليها بيننا ... رسالة نصية قصيرة، عبر الهاتف المحمول، تخبرنى فيها أنها حرة، وهى لم ترسلها حتى الآن.

تردّد اللواء (حلمى)، وهو يقول:

- ربما فقدت هاتفها.

هزّ (نديم) رأسه نفياً، وقال:

- يمكنها إرسالها من أى هاتف.

امتقع وجه اللواء (حلمى)، وهو يغمغم:

- إذن فهى فى خطر حقيقى.

أشار (نديم) بيده، قائلاً:

- لقد احتجزها (احمد عزيز) حتماً؛ ليجبرنى على الظهور، وخاصة بعد أن حطمّت أنف رجليه، اللذين أرسلهما لقتلى.

انعقد حاجبا اللواء (حلمى)، وهو يقول:

- (أحمد عزيز) لا يشبه من واجهتهم من قبل يا (نديم) ... حتى (العقرب)، لن يجد سبيلاً للوصول إليه.

صمت (نديم) لحظات، ثم قال فى حزم:

- لا يوجد شخص منيع إلى هذا الحد.

رفع اللواء (حلمى) سبّابته، وهو يقول محذراً:

- (أحمد عزيز) هو عملياً، الرجل الثانى فى الدولة، ويستطيع تجنيد كل إمكانيات الدولة ضدك، باعتبارك خارجاً عن القانون.

قال (نديم) فى تفكير عميق:

- ربما هنا تكمن نقطة ضعفه.

بدا التساؤل فى عينى اللواء (حلمى)، ولكن (نديم) تابع فى اهتمام:

- هل يمكنك أن ترشدنى إلى كل المعلومات، عن (أحمد عزيز)، وشركاته وممتلكاته.

مال اللواء (حلمى) نحوه، قائلاً:

- بالطبع يمكننى هذا، ولكن (أحمد عزيز) ليس مجرَّد شركات وممتلكات ... إنه قوة سياسية لا يستهان بها.

أشار (نديم) بيده، قائلاً:

- قديماً، قالت والدتى، رحمها الله، انه كلما علا شأن شخص ما، كان سقوطه مدوياً.

قال اللواء (حلمى) :

- المهم أن تجد السبيل لسقوطه .

لم يكد يتم عبارته، حتى ارتفعت أصوات أبواق سيارات شرطة، تحيط بالمنطقة، وانعكس ذلك الضوء الأزرق والأبيض على النوافذ، وارتفع فى الوقت ذاته صوت طرقات قوية، على باب المنزل...

وفى توتر بالغ، غمغم اللواء (حلمى) :

- لقد أتوا.

ولم يحر (نديم) جواباً ...

أى جواب.

• • •

خلف القناع

4- حصار..

رفع (أحمد عزيز) عينه فى لا مبالاة؛ ليلقى نظرة على وزير الداخلية، الذى يلقبونه بأنه أقوى رجل فى (مصر)، وهو يدلف إلى مكتبه فى مقر الحزب، وضغط زراً فى لوحة أزرار جهاز الكمبيوتر أمامه، وهو يشيح بنظره عن الوزير، قائلاً فى لهجة جافة:

- أهلاً ... ليس من المعتاد أن نراك هنا .

بدا وزير الداخلية شديد التوتر، وهو يقول:

- يتردَّد انك تحتجز زميلة ذلك المحامى .

بدا (احمد عزيز) أكثر برودا ولا مبالاة، وهو يقول:

- أى محام؟!

ارتسم الغضب، على وجه وزير الداخلية، وهو يقول فى توتر:

- لاحظ أنك تتحُدث مع وزير الداخلية .

ضاقت عينا (احمد عزيز)، وهو يقول فى صرامة، أقل ما توصف به، هو أنها شرسة:

- يبدو أنك أنت لم تلاحظ، أنك تتحُدث إلى الرجل، الذى يمكنه إقالة وزير الداخلية، بمحادثة هاتفية واحدة .

تراجع وزير الداخلية فى سرعة، وهو يقول، على نحو أكثر توتراً:

- هذه المرة تختلف ... قديماً كان رجالك يحرصون، على الا يتركوا خلفهم ما يرشد إليهم ... أو إليك ... أما هذه المرة، فهم يتجاوزون كل عرف وقانون.

سأله فى شراسة :

- أى قانون ؟!

تراجع وزير الداخلية، وهو يغمغم فى دهشة:

- قانون الدولة .

ضرب (احمد عزيز) سطح مكتبه بكل قوته، وهو يصرخ:

- أنا هنا القانون .

تراجع الوزير فى دهشة أكبر، وخاصة عندما اندفع الحرس الخاص لـ(أحمد عزيز)، إلى مكتب هذا الاخير، إثر صراخه، فأشار إليهم بالانصراف، وهو يكمل :

- القانون يسنه مجلس الشعب ... وأنا أختار مجلس الشعب ... إذن فانا القانون ... هل تستوعب هذا ؟!...

غمغم وزير الخارجية فى عصبية:

- البلد يغلى، والبعض يقول: إنه على وشك الثورة .

هتف (أحمد عزيز) فى استهزاء:

- ثورة؟!

ثم مال على سطح مكتبه، وهو يضيف فى حزم واثق:

- لقد خبرنا هذا الشعب طويلاً، وتوّصلنا إلى القاعدة الذهبية.

بدا الترقُب على وجه وزير الداخلية، فى انتظار سماع تلك القاعدة الذهبية، فصمت (أحمد عزيز) لحظات، ربما ليمنح التأثير المطلوب، قبل أن يكمل بمنتهى الحزم:

- الشعب المصرى لا يثور .

قالها، ثم اعتدل، وبدا وكأنه قد محا فى لحظة كل انفعالاته السابقة، مع قوله فى صرامة:

- تجاهل أمر تلك المحامية الشابة، وأطلق رجالك كلهم؛ لاقتناص ذلك الأحمق ذى القناع .

وانعقد حاجباه فى شدة، وهو يضيف:

- اثبت له أننا لسنا فى فيلم من أفلام (ديزنى) .

وفى هذه المرة، لم ينطق وزير الداخلية بحرف واح، مع ذلك الشعور العجيب، الذى ملأ نفسه ...

شعور أقوى رجل فى مصر بالضعف ..

كل الضعف ..

• • •

" ماذا هناك يا ولدى؟!... " ...

تثاءب اللواء (حلمى)، وهو يلقى السؤال على ضابط الشرطة، الذى طرق بابه، فى هذه الساعة المتأخرة، فارتبك الضابط، وهو يقول:

- معذرة يا سيادة اللواء .

ابتسم اللواء (حلمى)، مغمغماً:

- سابقاً يا ولدى ...سابقاً.

أومأ الضابط برأسه فى احترام، قائلاً:

- مازلت أستاذنا، الذى ندين له بالفضل، بعد الله سبحانه وتعالى، يا سيادة اللواء،

ولكننا كنا نبحث عن (نديم فوزى)، ويقول الخبراء إنه من المحتمل أن يلجأ إليك.

رسم اللواء (حلمى) الدهشة على ملامحه، وهو يقول:

- (نديم فوزى)؟!... زميلكم السابق؟!...لماذا؟!... ماذا فعل (نديم)؟!

مال الضابط برأسه، ليلقى نظرة على المنزل، من خلف كتف اللواء (حلمى)، وهو يجيب:

- لست أدرى ما تهمته بالضبط يا سيِّدى، ولكن صدر أمر باعتقاله، وسيادة وزير الداخلية شخصياً مهتم بالعثور عليه .

رفع اللواء (حلمى) حاجبيه، فى دهشة مصطنعة، وهو يقول:

- الوزير شخصياً ؟!

ثم أفسح الطريق، قائلاً:

- وتتصوَّرون أنه ربما لجأ إلىّ؟!... فليكن ... قم بواجبك يا ولدى، ومر جنودك بتفتيش المنزل.

تردَّد الضابط فى ارتباكه وهو يغمغم:

- تكفينى كلمتك يا سيادة اللواء.

بدا اللواء (حلمى) صارماً، وهو يقول:

- قم بواجبك يا ولدى.

تردَّد الضابط لحظات أخرى، ثم التفت إلى جنوده، قائلاً:

- أريد تفتيش المكان فى سرعة ودقة، وإياكم أن تمسوا شيئاً.

اندفع الرجال داخل المنزل، ووقف اللواء (حلمى)، مرتكناً إلى مكتبة كبيرة، يتابع عملهم فى هدوء، حتى عادوا يتجمعون أمام الباب، وأحدهم يؤدى التحية للضابط، قائلاً:

- ليس هنا يا سيِّدى .

غمغم الضابط:

- كما توقَّعت .

والتفت يؤدى التحية بدوره للواء (حلمى)، قائلاً:

- معذرة يا سيادة اللواء ... لم أرد هذا حقاً ... كانت ستكفينى كلمتك .

غمغم اللواء (حلمى) :

- لقد قمت بواجبك .

وما ان انصرف الضابط والجنود، وأغلق الباب خلفهم، حتى تمتم:

- كان من المستحيل أن أعطيك كلمتى، وأنا أعلم أنه هنا .

ثم التفت إلى المكتبة، التى يرتكن إليها، مكملاً بابتسامة:

- أليس كذلك يا (نديم) ؟!

لم يتلق جواباً، فانعقد حاجباه فى شدة، والتفت نحو المكتبة، مكرراً فى قلق:

- (نديم) .

أزاح ضلفة ذات نقوش أنيقة، فى الجزء السفلى من المكتبة، حيث اختبأ (نديم)، و ...

وتراجع فى حركة حادة ...

فعلى الرغم من أنه قد أغلق الضلفة عليه بنفسه، قبل أن يفتح الباب للشرطة، لم يكن هناك أثر لـ(نديم) خلفها بعد انصرافهم...

أى أثر !!...

• • •

طرقت (غادة) باب تلك الزنزانة فى حدة، وهى تهتف:

- أريد مقابلة (أحمد عزيز) ... فوراً .

أزاح أحدهم من الخارج، تلك النافذة المعدنية فى أعلى الباب، وأطلّ من خلف قضبانها بوجهه القبيح، وهو يقول فى خشونة :

- ماذا تريدين؟!

أجابت فى حدة:

- لقد سمعتنى ... أريد مقابلة (أحمد عزيز) .

زمجر، قائلاً:

- لا أحد يطلب مقابلة الباشا ... الباشا وحده يقرر متى وأين وكيف يقابل من يشاء

مالت نحو النافذة، قائلة فى تحد:

- وهل سيقابل الله (عزّ وجلّ) وقتما يشاء ايضاً؟!

بدت ملامح الرجل أشبه بوحش كاسر، وهو يقول:

- تحتاجين إلى درس فى الأدب.

تراجعت عن الباب، واتخذت وقفة صارمة، وهى تقول متحدية:

- لماذا لا تأتى إذن، وتلقننى إياه.

قال فى شراسة:

- ربما أفعل .

ثم تراجع فى سرعة، مستدركاً:

- بعد استئذان الباشا .

شعرت بخيبة أمل لإجابته ...

لقد كانت تتوقع أن تستفزه بقولها، وتدفعه لفتح الباب؛ حتى تنقض عليه، وتستعيد معه بعض دروس الرياضات القتالية، التى برعت فيها، إبان عملها بالشرطة.

وكمحاولة أخيرة لبلوغ هذا، قالت متحدية:

- أتخشى مواجهة إمرأة؟!

زمجر مرة أخرى، وأجاب فى عصبية خشنة:

- بل أخشى مواجهة الباشا، لو علم .

مع آخر حروف كلماته، انبعث صوت من جهاز اللاسلكى الكبير الذى يحمله، يقول صاحبه فى توتر:

- هناك دلائل على وجود دخيل.

وارتجف جسد (غادة)، عندما سمعت العبارة ....

دخيل؟!.... أيمكن أن يعنى هذا أن (نديم) قد اهتدى إلى مكانها؟!..

أمن الممكن أن يكون هو ؟!...

سمعت ذلك الغليظ يبتعد عن الباب، ناسياً أن يغلق نافذته المعدنية، وهو يقول، عبر جهاز اللاسلكى:

- قم بكل الإجراءات المطلوبة... أطلق الكلاب فى الحديقة، وأوصل التيار الكهربى للأسوار، ومر الرجال كلهم باتخاذ مواقعهم ... أنت تعرف الأوامر جيِّداً ... إطلاق النار دون إنذار، على أى دخيل ... هل تسمعنى جيِّداً ... دون إنذار.

وارتجف قلب (غادة) هذه المرة ...

إنه حصار كامل، يستحيل أن ينجو منه أى دخيل ...

لحظتها، وعلى الرغم من لهفتها، فقد تمنَّت ألا يكون ذلك الدخيل هو (نديم) ...

تمنَّت هذا، من كل قلبها ...

أو من كل خلية فيه ...

بلا استثناء ...

• • •

كان من الواضح جداً، مما حدث فى تلك الفيلا، التى يحتفظ فيها (أحمد عزيز) بـ(غادة)، أنه بماله من سلطة ونفوذ، وبما يملكه من ثروات طائلة، قد انتقى أفضل عناصر الأمن السابقين، ممن يملكون خبرة كبيرة، وقدراً هائلاً من الحنكة، مع قدر ضئيل من المبادئ، وزوّدهم بأحدث ما يمكن أن يشتريه المال من تكنولوجيا؛ لحماية هذه الفيلات بالذات ...

الفيلا الوحيدة، التى لم يسجّلها رسمياً بأسمه، والتى يحتفظ فيها بكل وثائقه الخاصة، وكل مستنداته ذات الأهمية البالغة ...

لم يكن أحداً، حتى ممن يحرسون الفيلا، يدرك ما تحويه، ولا أين يخفيه (أحمد عزيز) بالضبط ...

بل لم يكن شخص واحد، فى الوجود كله، يمكن أن يدركه او يعرفه ...

فهذه قاعدة (أحمد عزيز) الذهبية ...

" لا تثق فى مخلوق حى، فإذا ما تجاوز السر لسانك، لا يعود سراً" ...

ولكن طاقم الأمن لم يكن يفكّر حتى فيما تحويه الفيلا ...

إنهم يتلقون مرتبات باهظة، لم يحلموا بها يوماً، ليس ليعلموا ماذا هنالك، ولكن ليحموا فقط كل ما هناك ...

ولقد كانت لديهم إمكانيات، لم يحصلوا على مثلها، حتى عندما كانوا يعملون فى أجهزة أمنهم، التى يفترض أنها الاكثر تطوراً ...

وعندما تم الإبلاغ عن إحتمال وجود دخيل، تم تفعيل كل الوسائل دفعة واحدة ...

كهربة الأسوار ...

تشغيل أجهزة الرؤية الليلية، والرصد الحرارى ...

تشغيل مجسّات الحركة ....

إطلاق كلاب الحراسة الشرسة، المدرّبة على كشف الدخلاء ومهاجمتهم ...

توزيع القناصة على أسقف الفيلا ونوافذها ...

إغلاق القبو، الذى تم حجز (غادة) فيه، بحاجز فولاذى مزدوج ...

كان حصاراً أمنياً كاملاً ...

بكل معنى الكلمة ...

أما الرجال أنفسهم، فقد تحفزّت كل خلية فى أجسادهم ...

وتحفزّت سبّاباتهم، على أزندة مسدساتهم ...

وراحت الدقائق تمضى، والكل متحفّز ...

دقائق توالت، وكأنها ساعات، وساعات مرّت، وكأنها أيام وشهور، حتى قال قائد الحراسة فى حدة:

- من أعطى الإنذار بوجود دخيل؟!

اجابه أحد الرجال فى توتر:

- جهاز كشف الحركة أشار إلى ....

قاطعه قائد الحراسة فى غضب:

- جهاز كشف الحركة؟!... الجهاز الذى يمكن لقط يعدو، أن يقوم بتشغيله؟!... ألم يكن لديك أى تأكيد بصرى يا رجل؟!

هزّ الرجل رأسه نفياً فى قلق، فصاح به :

- أتعنى أننا هنا منذ ساعتين؛ لخطأ فى جهاز كشف الحركة فحسب؟!

أشار الرجل بسبّابته، قائلاً فى توتر :

- الأوامر أن نتحرّك بمجرّد الشك» و ...

استوقفته نظرة صارمة من قائد الحراسة، فبتر عبارته، وخفض عينيه، وهو يغمغم:

- فى المرة القادمة سأنتظر تأكيداً بصرياً .

رمقه قائد الحراسة بنظرة قاسية متوّعدة، ثم أشار إلى رجل آخر، قائلاً فى عصبية:

- سنلغى حالة التأهّب، فقد أوشك الفجر أن ينبلج ... ربما نحظى بقليل من النوم، قبل أن يمضى الليل .

فتثاءب الرجل الآخر فى إرهاق، وقال:

- كما تأمر أيها القائد .

مطّ قائد الحراسة شفتيه فى ضيق، والتقط هاتفه المحمول، ليرسل عبره رسالة قصيرة، لم تكد تصل إلى مستقبلها، حتى ارتفع رنين هاتف قائد الحرس، الذى ضغط زر الاستماع فى سرعة، وهو يقول:

- إنذار خاطئ يا باشا... مجرّد خلل فى جهاز كشف الحركة .

قال (أحمد عزيز)، عبر الهاتف فى صرامة:

- لا يمكننى أن أقنع بتفسير كهذا ... انا رجل اعتاد الشك فى كل شئ، وعدم ترك لمحة واحدة للاحتمال...

شد قائد الحراسة جسده فى توتر، قائلاً:

- وبم تأمر يا باشا؟!

أجابه بلهجة آمرة صارمة:

- ابق على التيار الكهربى، فى أسوار الفيلا، وارسل فريقين من الرجال، فريق لحراسة بوّابة الفيلا، والآخر لتفتيش كل ركن من حديقتها، وكل حجرة من حجراتها .

أجابه بلهجة عسكرية:

- علم وينفّذ .

قال (أحمد عزيز) بنفس اللهجة:

- قبل أوّل ضوء للشروق، أريد تقريراً مفصّلاً بالموقف.

قال قائد الحراسة:

- ربما قبل هذا أيضاً يا باشا .

تابع (أحمد عزيز)، وكأنه لم يسمعه :

- وبعدها أريد طاقم حراسة دائم، على مدخل اللقبو، وكل من يدخله أو يخرج منه، يخضع للتفتيش الدقيق، حتى ولو كان أكثر من تثق فيه من رجالك.

تردّد قائد الحراسة لحظة، قبل أن يقول فى حذر:

- ألن يكون هذا مبالغاً بعض الشئ؟!

صاح به (احمد عزيز) فى شراسة:

- نفذ الأوامر بلا مناقشة.

انعقد حاجبا الرجل فى ضيق، وهو يقول:

- كما تأمر يا باشا.

انهى الاتصال، وأضاف فى حنق:

- لماذا وظّفتنا إذن، مادمت من سيضع الخطة الامنية.

آتاه صوت يقول:

- ربما لأنكم فاشلون.

انتفض جسد الرجل فى عنف، خاصة وأن ذلك الصوت قد آتاه من أعلى، وسحب مسدسه فى حركة سريعة، وهو يرفع رأسه إلى السقف ...

وكان الانقضاض عنيفاً للغاية، ولكن آخر ما رآه قائد الحراسة، كان قناعاً ...

قناع العقرب.

• • •

خلف القناع

5- الثعلــب..

ارتفع حاجبا (فؤاد ثعلب)، المحامى الشهير، فى دهشة بالغة، عندما فوجئ باللواء (مجدى) أمامه، فى تلك الساعة، التى أوشك فيها الفجر على الانبلاج، فحدق فيه غير مصدق، فى حين بدا اللواء (مجدى) شديد الهدوء، وهو يقول:

- كنت أعلم أنك تواصل عملك دوماً، حتى مطلع الفجر .

ازدرد (فؤاد) لعابه، قبل أن يقول، فى شئ من الصرامة:

- ولكن هذا لا يعطيك الحق، فى أن ...

قاطعه (مجدى)، فى صرامة مفاجئة:

- أين (غادة)؟!

حدّق فيه (فؤاد)، فى دهشة أكبر، وهو يغمغم:

- (غادة) من ؟!

دفعه (مجدى) داخل مكتبه، وأغلق الباب خلفه، وهو يقول:

- من سوء حظك أنك تصرف العاملين فى مكتبك عندما تعمل فيه، فى قلب الليل، وكأنك لا تريد أن يشاركك أحد ظلماتك.

هتف (فؤاد)، فى حدة عصبية:

- ألا تعرف من أنا أيها اللواء؟!

امتزجت صرامة (مجدى) بشئ من السخرية، وهو يجيب:

- دعنى أسترجع ما أذكره من ملفك... نعم ... أنت (فؤاد ثعلب)، أقذر محام فى (مصر) كلها، والذى لا يقل المبلغ الذى يتقاضاه، عند دفاعه عن أحد الفاسدين، عن ستة أصفار.

قالها، وهو يدفع (فؤاد) أمامه، فصاح هذا الأخير، فى عصبية أكثر، حاول أن يخفى بها خوفه:

- عملائى كلهم من علية القوم، وبعضهم يضع رجال أمنه لحراسة مكتبى، وصرخة واحدة اطلقها، ستجلب جيشاً من الحرس الخاص إلى هنا، و ...

قاطعه (مجدى) مرة أخرى، وهو ينتزع مسدسه، ويجذب مشطه فى حزم:

- كم أتوق إلى هذا ... إلا أننى أتساءل: أى صوت سيكون أعلى؟!... صرختك، أم دوى رصاصة مسدسى؟!...

وألصق فوهة المسدس بجبهة (فؤاد)، مضيفاً بكل الصرامة:

- وأيهما سيسبق الآخر؟!

ارتجف جسد (فؤاد ثعلب)، مع ملمس الفوهة الباردة، وبدا صوته مرتجفاً، وهو يقول:

- هل تدرك ما تفعله أيها اللواء؟!

هزّ (مجدى) كتفيه، قائلاً:

- المشكلة أننى لا أدركه فحسب، ولكننى أستمتع به أيضاً، على نحو فاق كل ما شعرت به، فى حياتى كلها .. الآن فقط أدركت سر ما كان يفعله (العقرب)، طوال كل تلك السنوات.

ارتجف (فؤاد)، على الرغم من محاولته التماسك، وهو يقول:

- إننى المحامى الخاص بأقوى رجل فى (مصر) .... (أحمد عزيز) ... هل تعلم ما الذى يمكن أن يفعله لو علم بموقفك هذا؟!

هزّ (مجدى) كتفيه مرة أخرى، مجيباً:

- الوزير أخبرنى صراحة اليوم، أنه لا ينوى مد فترة خدمتى، فى حركة الضباط القادمة، وهذا أراحنى بأكثر مما أزعجنى فى الواقع؛ لقد أنبأنى بأنه لم يعد لدى ما أخسره.

غمغم (فؤاد) مرتجفاً:

- مع (أحمد عزيز)، ستخسر كل شئ.

بدت ابتسامة عجيبة، على وجه (مجدى)، وهو يقول:

- من الواضح أنك لم تفهمنى.

ثم مال نحوه بشدة، والصق فوهة مسدسه أكثر بجبهته، مستطرداً فى صرامة قاسية:

- كل هذا لم يعد يعنينى.

اتسعت عينا (فؤاد) عن آخرهما، وعجز لسانه عن النطق، فى حين بدا صوت (مجدى) مخيفاً، وهو يقول:

- والآن، فلنعد إلى السؤال الأوّل، أين يحتفظ سيّدك الحقير هذا بالمحامية (غادة)؟!

وفى هذه المرة، ارتجف جسد (فؤاد ثعلب) كله ...

وبمنتهى القوة ...

• • •

شعرت (غادة) بتوتر ما بعده توتر، مع الحركة التى تشعر بها فى الخارج، وإدراكها أن الأمر حتماً يتعلّق بـ(نديم)...

كانت واثقة من أنه سيسعى إلى إنقاذها، مهما كلفه هذا...

وأياً كان الثمن ...

وهذا أكثر ما يقلقها ...

فالخصم هذه المرة يختلف ...

إنه ليس زعيماً إجرامياً، أو امبراطور عصابات قوى....

إنه (أحمد عزيز) ...

الرجل الثانى فى (مصر)...

الرجل الذى يملك كل السلطات ...

وكل الإمكانيات ...

ومواجهته أشبه بمواجهة دولة ...

وهذا يعنى أن (نديم)، حتى ولو أرتدى قناع (العقرب)، يخوض أعنف وأشرس مواجهة فى حياته كلها...

إنه عقرب واحد ... فى مواجه دولة...

فى نفس اللحظة، التى دارت فيها هذه الأفكار فى رأسها، كان (نديم) يجثم فوق صدر قائد الحراسة، فى فيلا (أحمد عزيز)، والذى أفقده الوعى، وهو يكتم أنفاسه نسبياً؛ حتى يطمئن إلى أن أحداً لم ينتبه إلى الأمر...

كان قد بنى خطته على أنه ما من نظام أمنى منيع بنسبة مائة فى المائة، وأنه وعلى الرغم من أن (أحمد عزيز) قد أحاط فيلته، كمعظم عقاراته، بكل وسائل الحماية الاليكترونية، وبعدد كبير من حرَاس الأمن، إلا أن غروره سيجعل اعتماده الرئيسى على قوته، وخوف الناس منه، بأكثر مما سيعتمد على وسائل الأمن...

حتى رجال أمنه أنفسهم، سيتغلغل فى أعماقهم الشعور نفسه...

أنه لا أحد سيجرؤ على اقتحام فيلا مملوكة لثانى رجل فى (مصر) ...

ولهذا فقد تعاملوا من هذا المنطلق ...

حتى عندما طالبهم (أحمد عزيز) نفسه، بالمزيد من الانتباه، لم يستطيعوا التخلّى عن غطرسة الإحساس بالقوة ...

كانوا يتصوّرون دوماً أنهم الأعلى، وأن الشعب كله أسفلهم ...

ولهذا كانوا ينظرون دوماً إلى الأسفل...

إلى أسوار الفيلا ...

وليس إلى سطحها....

ومن هنا، وجد سبيله إليهم ...

بتر أفكاره صوت شخص يتحرك نحوه، فاعتدل فى سرعة، وجذب جسد قائد الحراسة إلى جانب الحائط، ثم التصق بالجدار، يرصد وقع الأقدام الذى يقترب...

ويقترب ...

و ...

فجأة، برز ذلك الرجل أمامه ...

عملاق ضخم الجثة، أشعث الشعر، غليظ الملامح، مفتول العضلات ...

كان يفوقه حجماً بمرتين على الأقل....

وكان يحمل مدفعاً آلياً قصيراً...

ولم يكن هو يحمل سلاحاً ...

أى سلاح ...

إلا أنه، وعلى الرغم من هذا، كان يمتلك مزية رائعة...

المفاجأة...

لقد بوغت العملاق برؤيته، فتراجع خطوة ذاهلة إلى الوراء، مع مرأى القناع الأسود...

ودون إضاعة ثانية واحدة، بادرة (نديم) بلكمة كالقنبلة، فى أنفه مباشرة، ثم وثب يلاحق تراجعه، بلكمة أشد قوة فى أسنانه، وركلة أطاحت بمدفعه الآلى القصير

وعلى الرغم من عنف اللكمتين، أطلق العملاق خواراً كالثور، وتجاهل الدماء التى تنزف فى غزارة، من أنفه وفمه، وانقض على (نديم) ...

كان أكثر قوة...

ولكن (نديم) أكثر رشاقة ..

لذا فقد تفادى الانقضاضة بوثبة جانبية مرنة، ولكم العملاق فى معدته، بكل ما يملك من قوة وبأس..

ومرة أخرى، انطلق ذلك الخوار، قبل أن يقبض العملاق على [illegible] ويرفعه عن الأرض فى قوة، وكأنه يحمل طفلاً صغيراً...

ثم ألقاه نحو الجدار ...

ويكل قوته ...

وكان الارتطام بالجدار مؤلماً بحق، شعر معه (نديم) وكأن كل عظمة فى جسده قد صرخت من فرط الألم...

ورأى العملاق ينقض عليه فى غضب، فدفع نفسه جانباً، ودار حول جسده فى سرعة، ولكن العملاق أمسك ساقه، وجذبه إليه فى قوة، وضربه مرة أخرى بالجدار...

فى هذه المرة، شعر (نديم) أنه يوشك على فقدان الوعى، وأدرك أن العملاق سينقض عليه مرة ثالثة...

وفى هذه المرة، لن يتوانى عن قتله...

وبلا رحمة ...

ومن طرف عينيه، لمح ذلك المدفع الآلى القصير، على قيد مترين منه، فاستنفر كل قواه، ودفع جسده نحوه ...

وفى هذه المرة، أمسك العملاق عنقه من الخلف بكفيه، وهو يقول فى غضب:

- أراهنك أن أحداً لن يشعر بـ...

قبل أن يتم عبارته، دارت يد (نديم)، لتضربه بالمدفع القصير فى وجهه مباشرة ...

وعلى الرغم من قوة العملاق وبأسه، كانت الضربة من العنف، حتى أنها أرخت قبضتيه عن عنق (نديم)...

وكان هذا يكفى ...

لقد انزلق (نديم)، مفلتاً عنقه من قبضتيه، ثم هوى على رأسه بذلك المدفع مرة ثانية..

وثالثة ..

ورابعة ...

ومع الدماء التى تفجَّرت من رأس العملاق، وامتزجت بدماء أنفه المكسور، وأسنانه المحطمة، جحظت عينا الرجل، ودارتا فى محجريهما...

ثم هوى ...

ودون أن ينتظر لحظة واحدة، تحرَّك (نديم) فى سرعة، حاملاً ذلك المدفع الآلى القصير، باحثاً عن المكان، الذى يمكن أن يحتفظوا فيه بزميلته (غادة)...

لم يكن الأمر سهلاً، فى فيلا كبيرة، احتشدت برجال الأمن ...

ولكن لم يكن هناك مجال للتراجع ...

أى مجال ...

فى نفس اللحظة، كانت (غادة) تتحُرك فى عصبية، فى محبسها الفاخر ...

شئ ما أنبأها بأن (نديم) هنا...

على مقربة منها ...

ولم تدر حتى لماذا راودها هذا الشعور!!...

ولكنها ... ولسبب ما، كانت واثقة من شعورها بشدة ...

ودون مقدمات، أضيئت فجأة تلك الشاشة الكبيرة، وظهر عليها وجه (أحمد عزيز)، يبتسم فى زهو وثقة، قائلاً:

- أظن أن فترة احتجازنا لك قد شارفت نهايتها أيتها الحسناء.

التفتت إلى الشاشة فى حركة حادة، قائلة فى عصبية:

- وما الذى يفترض أن يعنيه هذا؟!

لوّح بيده، فى حركة مسرحية مزهوّة، وهو يجيب:

- كنا نحتجزك، حتى نجبر عقربك على الظهور فحسب.

قالت فى عصبية، وذلك القلق يتصاعد فى أعماقها:

- لست أظنه من الحماقة، بحيث يلقى بنفسه بين أيديكم.

أطلق (أحمد عزيز) ضحكة ساخرة طويلة، قبل أن يقول:

- من الواضح أنك لا تعرفين عقربك جيّداً.

ثم مال نحو الشاشة، مستطرداً فى سخرية:

- كنت أظنكما حبيبين، وليس مجرّد زميلين.

ازدردت لعابها فى صعوبة، دون أن تقول شيئاً، فاعتدل هو، وقال فى صرامة:

- من سوء حظك وحظه، أننى رجل شديد الشك، ولا أمنح ثقتى لأى مخلوق حى، ولهذا، وعلى الرغم من كل رجال حراسة الفيلا، فقد زرعت فى كل ركن فيها كاميرات خفية دقيقة، لا يدركون هم أنفسهم وجودها.

ومال بحركة واحدة نحو الشاشة، لتمتزج صرامته بسخريته، وهو يضيف:

- ولهذا حصلت على تسجيل ممتع.

اختفت صورته من الشاشة دفعة واحدة، وحملت فيلماً، تم تصويره من مكان مرتفع، لقتال (نديم) مع ذلك العملاق...

وشهقت (غادة) فى ارتياع...

ومع شهقتها، اختفى الفيلم عن الشاشة، وعاد وجه (أحمد عزيز) إليها، وهو يقول:

- تستطيعين أن تقولى وداعاً لعقربك يا حسناتى، فقبل أوّل ضوء للنهار، سأكون قد سحقته سحقاً.

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة، مضيفاً:

- حتى التاريخ لن يذكر عنه شيئاً....

قالها، وأطلق ضحكة ساخرة ظافرة عالية، وصورته تتلاشى عن الشاشة تدريجياً، فى حين هوى قلب (غادة) بين قدميها...

بمنتهى العنف....

• • •

" أقسم أننى لست أعلم شيئاً... "...

نطقها (فؤاد ثعلب)، وهو يرتجف على نحو عجيب، فى حين بدا اللواء (مجدى) شديد الهدوء، إلى حد مخيف، وهو يقول:

- أمن المفترض أن أصدّق هذا؟!... إنك المحامى الخاص بـ(أحمد عزيز)، ولاريب فى أنك تعلم عنه كل شئ .

لوّح (فؤاد) بذراعيه فى شدة، هاتفاً:

- ما يخص قضاياه فحسب...

تلاعب اللواء (مجدى) بمسدسه، قائلاً بنفس الهدوء المخيف:

- حقاً؟!...

هتف (فؤاد)، وحلقه الجاف يعوق كلماته:

- إنك لا تعرف (أحمد عزيز) ... إنه رجل لا يمنح ثقته لأى مخلوق... الشك يمتزج بخلاياه، ويسرى فى عروقه مسرى الدم.

غمغم (مجدى) ساخراً:

- هذا لو أن عروقه يسرى فيها دم بشرى مثلنا.

بدا (فؤاد) منهاراً، وهو يقول:

- (أحمد عزيز) ثانى أقوى رجل فى الدولة، من الناحية النظرية، ولكنه أقوى رجل فى الدولة، من الناحية العملية ... إنه يسيطر تماماً على كل شئ... حتى الرئيس وولديه ... كلهم يستمعون إليه، ويثقون فى نصائحه وخياراته ... ولكى يحافظ على هذه المكانة، فهو لا يثق فى مخلوق واحد.

قال (مجدى) فى صرامة:

- ولكن هناك مكان حتماً، يحفظ فيه أدق أسراره.

أجابه (فؤاد)، فى صوت مرتجف مبحوح:

- تلافيف مخه وحدها، وربما ...

بتر عبارته دفعة واحدة، فى ذعر ملحوظ، فابتسم (مجدى) فى ظفر، ومال نحوه قائلاً:

- وربما تلك الفيلا الصغيرة القديمة، المطلة على النيل ... أليس كذلك؟!

كان صوت (فؤاد ثعلب) أشبه بالبكاء، وهو يغمغم مرتجفاً:

- أنا لم اخبرك شيئاً.

أخرج (مجدى) من جيبه جهازاً رقمياً صغيراً، وهو يتراجع، قائلاً:

- بل اخبرتنى كل شئ.

ضغط زراً صغيراً فى جانب الجهاز، فانبعث منه صوت (فؤاد) واضحاً، فى تسجيل لكل ما دار بينهما، فاتسعت عينا (فؤاد) فى ذعر كبير، وهو يهتف بصوت مختنق:

- سيقتلنى لو علم.

هزَّ (مجدى) كتفيه، وهو يعيد مسدسه، وذلك الجهاز الرقمى إلى جيبه، قائلاً:

- لن يعلم ... لو حافظ كلانا على سرية هذا اللقاء.

انهار (فؤاد ثعلب)، وهو يقول:

- لن أخبره ... أقسم أننى لن أخبره.

ابتسم (مجدى) فى سخرية مزدرية، واتجه نحو الباب، وهو يقول، دون أن يلتفت إلى (فؤاد):

- تمالك نفسك يا هذا؛ فكل الشواهد تؤكِّد أن أيام (أحمد عزيز) شارفت نهايتها.

وصفق الباب خلفه...

فى قوة....

• • •

لاريب فى أن اطقم الحراسة، فى فيلا (أحمد عزيز)، كانوا مرهقين للغاية ...

أو أن أقتراب الفجر، قد أصابهم بذلك التراخى التلقائى، الذى يصيب كل من لم ينعم بالنوم ليلاً...

لقد كانت الفيلا تبدو وكأنها خالية، حتى أن (نديم) استطاع التجوُّل فى معظم ممراتها دون أن يعترضه أحد...

وفى حذر، هبط إلى الطابق الأرضى، وهو يتساءل: أين يمكن أن يحتجزوا (غادة)؟!..

أين؟!...

كان يتحرَّك فى خفة شديدة، عندما لمح مدخل القبو، أسفل السلم الذى يقود إلى الطابق العلوى، فتوقَّف يدرس موقفه جيداً...

الفيلا قديمة الطراز نسبياً، على الرغم من التجديدات الواضحة فيها ...

وفى مثل هذا الطراز، يوجد قبو كبير، يحتل مساحة الفيلا كلها، ويحوى عدة حجرات...

هذا هو المكان الأمثل إن، للاحتفاظ بزميلته (غادة) واحتجازها ...

ألقى نظرة على ساعة يده، وتساءل فى قلق: كيف يمكن أن يخلو الطابق الأرضى من أطقم الحراسة على هذا النحو؟!...

التفسير الوحيد، الذى جال بذهنه، هو أن أحدهم لم يتوَّقع أن تأتى المواجهة من داخل الفيلا ...

وأنهم جميعاً يحرسون خارجها ...

ولكن هناك حتماً من يحرس مقر احتجاز (غادة)...

هذا لو أنهم يحتجزونها بالفعل فى القبو ...

وعندما وصل إليه، تيَّقن من صحة استنتاجه ...

فباب القبو لم يكن مجرَّد باب عادى ...

لقد كان مصنوعاً من الصلب، وله رتاج خاص، لا يمكن فتحه إلا من خلال بطاقة ممغنطة، تحوى شفرة سرية...

وها هى ذى عقبة جديدة توضع أمامه ...

اختفى أسفل السلم، يبحث عن وسيلة؛ لتجاوز هذه العقبة الرقمية الجديدة، و...

وفجأة، أضيئت كل أنوار الطابق الأرضى ...

والتفت (نديم) بكل سرعته ...

وتحفزت كل عضلة فى جسده ...

ثم تجمَّد فى مكانه تماماً...

لم يدر من أين جاء كل هؤلاء الرجال، الذين تشع من ملامحهم كل القسوة والشراسة...

ولكن ما أدركه، وبكل وضوح، هو فوهات مدافعهم الآلية، المصوَّبة نحوه مباشرة، على نحو يوحى بأنها النهاية ...

نهاية (العقرب).

• • •

خلف القناع

6- الفــخ..

" تنتظر أوامرك يا باشا ....." ...

تراجع (أحمد عزيز) فى مقعده بانتعاظ شديد، وأشرق وجهه بنشوة الظفر، قبل ان يقول فى حزم:

- لو سألتنى رأيى، فأنا أرغب فى سحقه سحقاً.

لم يفهم قائد الحراسة مغزى العبارة بالضبط، فتساءل، فى شئ من الحذر:

- نقتله؟!

أجابه (أحمد عزيز) فى استمتاع واضح:

- ليس بهذه البساطة.

ثم مال نحو الشاشة، متسائلاً فى شئ من الصرامة:

- لماذا لم تنزعوا قناعه على الفور؟!

أجابه قائد الحراسة، فى سرعة وقلق:

- تصوَّرت أن سعادتك ترغب فى نزعه بنفسك.

اتسعت ابتسامة (أحمد عزيز)، وهو يقول:

- لأوَّل مرة، تكون على حق.

ثم فرد قامته، وأضاف فى صرامة :

- سأصل إليكم، خلال عشرين دقيقة.

وانعقد حاجباه فى شدة، وهو يضيف:

- وإياكم أن يفلت من بين أيديكم.

أجابه الرجل بنفس السرعة:

- مستحيل!.... لقد احتجزناه مع زميلته، فى تلك الزنزانة الحصينة.

قال (أحمد عزيز) فى حدة، وهو ينهض من أمام الشاشة:

- هذا لا يكفى .... أريد خمسة رجال مسلحين أمام الزنزانة، ومراقبة دقيقة طوال الوقت.

ثم أضاف، قبل أن يطفئ الشاشة مباشرة:

- وعند أوَّل بادرة للشك ... أطلقوا النار على الاثنين.

فى نفس اللحظة التى نطقها، كانت (غادة) تتطلَّع إلى (نديم) فى يأس، وهى تقول فى

مرارة:

- كنت أعلم أن هذه المواجهة لن تنتهى لصالحنا.

أدهشها أنه بدا هادئاً أكثر من اللازم، وهو يقول:

- لكل شئ نهاية.

همَّت أن تقول شيئاً، ولكنه أضاف، فى لهجة أسكتتها:

- ولكل شخص نهاية أيضاً.

ولأنها تعرفه جيداً، أكثر من أى شخص آخر، فقد انتبهت إلى أنه لم ينطق عبارته الأخيرة على النحو الذى اعتاده...

لقد نطقها وكأنه يرسل إليها رسالة ما، مع معرفته أنهما مراقبان حتماً ...

وفى أعماقها، ارتجف شئ ما ...

إنهما سجينان، داخل زنزانة حصينة، فى قبو فيلا أقوى رجل فى (مصر)، ومحاطان بحراسة تمنع فرار جيش كامل، وعلى الرغم من هذا فهو يخفى شيئاً ما ...

حاولت أن تستنبط طبيعة هذا الشئ...

ولكنها لم تنجح فى هذا...

أبداً ...

فبكل الحسابات المنطقية، وحتى غير المنطقية، كان فرارهما من هذا المكان مستحيلاً...

وبكل المقاييس ...

لذا فقد طرحت الأمر كله عن رأسها، وسألته، فى شئ من الحذر:

- لماذا أبقوا على قناعك؟!

هزَّ كتفيه، وابتسم ابتسامة هادئة، وهو يقول:

- ربما لم يحن وقت نزعه بعد.

قالت فى عصبية:

- ولكننا الآن فى قبضتهم.

استرخى على مقعد كبير، وهو يجيب فى مبالاة مستفزة:

- هذا صحيح.

شعرت بتوتر شديد، جعلها تقول فى حدة:

- (نسيم) ... أنت تثير أعصابى فى شدة.

اعتدل، قائلاً:

- لماذا؟!... ألأننى أواجه الواقع؟!

قالت فى عصبية:

- هذا الواقع يقول: إن أمرك قد انكشف، وقناعك لم تعد له جدوى، وهؤلاء لن يتعاملوا معنا بذرة واحدة من الرحمة.

عاد يسترخى على مقعده، وهو يقول:

- ومن ينتظر الرحمة، ممن خلت قلوبهم منها؟!

ثم اعتدل فجأة، يسألها فى اهتمام:

- ما الذى تتوقعين حدوثه، يوم الخامس والعشرين من يناير؟!

حدّقت فيه مندهشة من السؤال، فتابع وكأنه لا ينتظر منها جواباً:

- هناك دعوات للخروج فى مظاهرات غضب، يوم عيد الشرطة.

قالت فى عصبية:

- ما صلة هذا بموقفنا الحالى؟!

مرة أخرى تابع حديثه، متجاهلاً تعليقها:

- من الواضح أن الشعب لم يعد يحتمل كل هذا الفساد، وهذه التجاوزات.

صاحت به:

- (نديم) ... ماذا أصابك؟!

ابتسم، واسترخى مرة أخرى فى مقعده، قائلاً:

- لا شئ ... كنت أفكّر بصوت مرتفع فحسب.

ومرة أخرى، لم تفهم شيئاً...

أى شئ...

• • •

شعر رجال (أحمد عزيز) بدهشة حقيقية، عندما طلب هو إعداد موكبه، فى تلك الساعة، التى أوشك فيها الفجر على الانبلاج، وتصوّروا كالمعتاد، انه استدعاء عاجل من رياسة

الجمهورية ...

ولكن الموكب لم يتجه نحو رياسة الجمهورية كما توقعوا ...

- لقد اتجه نحو تلك الفيلا الصغيرة القديمة، المطلة على كورنيش النيل، في حي (المعادي) ...

وكما اعتادوا، لم يطرح أحدهم سؤالاً واحداً ...

ومع تلون الشفق، بأضواء الفجر الأولى، وصل الموكب إلى تلك الفيلا الصغيرة...

وفي زهو، استقبله قائد حراسة الفيلا، وهو يقول:

- العقرب في القفص.

أجابه (أحمد عزيز) في خشونة:

- هذا لن ينجيك من عقابي.

بدا الرجل منزعجاً، وهو يقول في ارتباك:

- ولكننا أوقعنا به.

أجابه في غضب، وهو يدلف إلى الفيلا:

- أوقعتم به داخل الفيلا.

أدرك الرجل ما يعنيه (أحمد عزيز)، فانكمش وهو يتبعه في صمت، إلى قبو الفيلا، حيث توقف (أحمد عزيز) أمام باب زنزانة (نديم) و(غادة)، وهو يقول في زهو:

- الذي فشلت فيه الداخلية كلها في فعله، خلال سنوات، انجزه (أحمد عزيز)، في أقل من ثمان وأربعين ساعة.

ثم أشار إلى رجاله، ففتح أحدهم باب الزنزانة، في حين شهر الآخرون أسلحتهم في تحفز، وتقدم قائد الحراسة مع اثنين من رجاله، يصوبون أسلحتهم إلى (نديم) و(غادة)، ثم تبعهم (احمد عزيز)، وهو يبتسم في زهو ظافر شامت ...

ولقد أدهشه في الواقع أن ظل (نديم) هادئاً، مسترخياً على مقعده، وهو يستقبله بابتسامة، قائلاً:

- كنت أعلم أنك لن تقاوم فكرة المجئ شخصياً.

أجابه (أحمد عزيز) في سخرية:

- تماماً كما وصفوك أيها المتحذلق ... تحتفظ بهدوئك دوماً، حتى في أحلك المواقف.

بدت (غادة) شديدة التوتر، فى حين اعتدل (نديم) على مقعده، وهو يقول:

- وأنت كما وصفوك تماماً يا هذا ... قصير، مغرور، متغطرس ... لا تتصوُر أنه هناك من يمكنه هزيمتك.

صاح قائد الحراسة فى (نديم)، وهو يصوِّب مدفعه إليه فى عصبية:

- قف وأنت تتحدث مع الباشا.

هزُ (نديم) كتفيه فى استهتار، وهو يقول:

- إننى أفضل الجلوس.

همَّ قائد الحراسة بالصراخ فى وجهه مرة أخرى، ولكن (أحمد عزيز) استوقفته بإشارة من يده، وهو يقول:

- لا بأس ... لن يصنع هذا فارقاً ... عقربنا يفضُل الموت جالساً.

هزُ (نديم) كتفيه مرة أخرى، قائلاً:

- من تحدث عن الموت؟!... إننى سأقف متفرجاً فقط، عندما يضعونك خلف القضبان.

شعر رجال (أحمد عزيز) بالغضب، وهتف أحدهم:

- هل أطلق النار عليهما؟!

توترُت (غادة) فى شدة، ودارت لتقف خلف مقعد (نديم)، وكأنها تحتمى به، فأطلق (أحمد عزيز) ضحكة ساخرة، وهو يقول:

- هذا القناع لن يحميك يا حسنائى، كما لن يحمى صاحبه.

مال (نديم) نحوه، قائلاً فى هدوء:

- وماذا لو فعل؟!

رمقه (أحمد عزيز) بنظرة، حاول أن يخفى فيها غضبه، وهو يقول:

- إما أن الغرور قد سيطر عليك، وأنك فقدت عقلك، مع أوُل وآخر هزيمة تلقاها أيا العقرب التافه.

قالت (غادة) فى حدة:

- لا أحد يمكنه أن يصف (العقرب) بالتافه.

أطلق (أحمد عزيز) ضحكة ساخرة طويلة، قبل أن يقول:

- عقربك ليس تافهاً فحسب يا حسنائى ... إنه عقرب فقد ذيله السام أيضاً.

عاد (نديم) يسترخى فى مقعده، وربُت على يد (غادة)، التى تقبض على مسند المقعد

من خلفه، وهو يقول:

- ولكنه لم يفقد قناعه بعد.

ارتسمت ابتسامة ساخرة، على شفتى (أحمد عزيز)، وهو يقول:

- لن يفقد قناعة فحسب، ولكن حياته كلها أيضاً.

قالها، واتجه نحو (نديم)، فى حين سبقه رجاله الثلاثة، يصوبون مدافعم نحو رأس هذا هذا الأخير مباشرة، وشعرت (غادة) بخوف شديد، لم تنجح تربيته يد (نديم) فى تهدئته، فى حين قال هو فى هدوء عجيب:

- هل تعلم لماذا لم تنطلق الدفاعات الجوية، على الرغم من هجوم الطائرات الإسرائيلية، فى الخامس من يونيو، عام 1967م؟!

لم يبد للسؤال أى محل من الاعراب، فى مثل هذا الموقف، فانعقد حاجبا (أحمد عزيز)، وهو يواصل تقدُّمه نحو (نديم)، ويمد يده لينزع عنه قناع العقرب، فتابع هذا الأخير بنفس الهدوء:

- لأن القائد الأعلى للقوات المسلحة، كان داخل طائرة، فى سماء (سيناء)؟!

مال (أحمد عزيز) نحوه، وهو يقول فى غلظة:

- أتعشَّم أن تفيدك دروس التاريخ هذه فى الآخرة.

ارتسمت ابتسامة عجيبة، على شفتى (نديم)، وهو يقول:

- لقد كنت واثقاً، من أنك لن تقاوم فكرة نزع قناعى بنفسك.

ومع قوله، ضغط زر ضبط العقارب فى ساعته، و....

ودوت عدة انفجارات صغيرة مباغتة...

وانقطع التيار الكهربى دفعه واحدة...

وساد الظلام داخل القبو ...

وفى سرعة مدهشة، ومع الجزء الأوَّل، من الثانية الأولى، التى انقطع فيها التيار الكهربى، انحنى (نديم) فى خفة، وركل (أحمد عزيز) بين ساقيه فى قوة، ثم لم ينتظر حتى ليسمع تأوُّه هذا الأخير، وإنما دفع المقعد الذى كان يجلس عليه للخلف، وسمع دوى الرصاصات فوق رأسه، أعقبها صراخ قائد الحراسة:

- لا تطلقوا النار أيها الأغبياء ... الباشا فى القبو.

فى اللحظات التى استغرقها هتاف قائد الحراسة، شعرت (غادة) بيد (نديم) تجذبها فى

قوة، ثم أحاطت يده بوسطها، وهو يدفعها دفعاً، إلى حيث لا ترى، وسمعت لكمة أو لكمتين، ثم راحت تعدو مع (نديم)، دون أن تدرى إلى أين يتجه...

وعلى الرغم من كل هذا، فقد لاذت بالصمت تماماً، ولم تنبس ببنت شفة، ولكنها شعرت أنهما يعدوان عبر الممر الطويل، الذى يقود إلى القبو...

وسمعت (غادة) لكمة ثانية ...

وثالثة...

ثم سمعت صوت (نديم)، يقول فى حزم:

- سنصعد إلى السطح...

كان كل رجال أمن (أحمد عزيز) يندفعون نحو القبو، عندما عاد التيار الكهربى، عبر المولِّد الاحتياطى للفيلا، وشاهدت (نديم) لأوَّل مرة، وهو يعدومعها، عبر سلالم الطابق الثانى، فهتفت به:

- كيف يمكن أن نفلت منهم، إذا ما صعدنا إلى السطح؟!

أجابها، وهم يقطعون الدرجات القليلة، التى تقود إلى سطح المبنى:

- هل شاهدت من قبل أفلام (طرازن).

مرة أخرى، لم تر ارتباطاً واضحاً، بين سؤالها وجوابه، ولكنه شعرت بالحركة العنيفة أسفلها، وسمعت قائد الحراسة يصرخ برجاله:

- السطح ... إنهما يتجهان إلى السطح.

وقفت مع (نديم) على سطح الفيلا حائرة، وشاهدته يغلق باب السطح فى إحكام، فهتفت به:

- سيقتحمونه فى دقائق قليلة.

أجابها فى حزم:

- هذا أكثر مما نحتاج إليه.

رأته يندفع نحو حبل، يمتد من أعلى بناية قريبة، ومربوط فى قائم طبق الاستقبال الفضائى، ورأته يحل الطرف، فغمغمت فى توتر:

- (نديم) ... لست أظنك ...

كان رجال (أحمد عزيز) قد بدأوا يضربون باب السطح بالفعل، عندما أحاط هو وسطها بذراعه القوية، وهو يقاطعها قائلاً:

- تشبثى بقوة.

أدار طرف الحبل حول ساعده، وأمسك به فى قوة، ثم انطلق يعدو معها نحو حافة السطح، وعند نهايتها، وثب...

وعلى الرغم منها، أطلقت (غادة) شهقة قوية، عندما طار جسداهما فى الهواء، والحبل الطويل يدور بهما حول الفيلا، ثم يدفعهما نحو حديقة خلفية، لمجموعة من البنايات القريبة...

وفى ذهول، شاهد رجال حراسة الحديقة ذلك المشهد العجيب، وأطلق بعضهم رصاصاته فى الهواء، يشق سكون لحظات الفجر الاولى، فى محاولة لاصطياد ذلك المقنّع الطائر، ولكن المفاجأة، مع سرعة الانزلاق الهوائى لهما، جعلت الرصاصات تطيش فى الهواء، قبل أن يقول (نديم) فى حزم:

- معذرة ... الهبوط لن يكون سهلاً.

قالها، وهو يفلت طرف الحبل...

وهوى جسداهما ...

ومن ارتفاع أربعة أمتار...

وعلى نحو غريزى، أطلقت (غادة) صرخة، أيقظت من لم يوقظهم دوى الرصاصات بعد، قبل أن يسقط كلاهما على أرضية تلك الحديقة...

وعلى الرغم مما شعرت به من آلام، شعرت بـ(نديم) ينهض فى سرعة، ويجذبها من يدها، قائلاً:

- إننا لم نبتعد بعد.

انطلقت تعدو إلى جواره فى آلية، وهى تهتف لاهثة:

- يا إلهى! ... لقد فعلتها يا (نديم) ... لقد فعلتها.

هتف بها:

- ليس بعد.

قفز متجاوزاً سور الحديقة القصير، ورأى ثلاثة كلاب حراسة تعدو نحوهما، وهى تنبح فى شراسة، فعاونها على عبور السور، وهو يكمل:

- المنطقة كلها ليست آمنة ... لابد وأن نبتعد بقدر الإمكان.

هتف لاهثة فى شدة، من فرط الإرهاق والانفعال:

- سيطلق شرطة (مصر) كلها خلفنا.

جذبها من يدها، وراح يعدو بكل قوته، قائلاً فى حزم:

- الأمر لن يقتصر على الشرطة وحدها...

فى نفس اللحظة، كان (أحمد عزيز) يصرخ، فى مزيج من الألم والغضب:

- لو أفلت منكم، سأقتلكم جميعاً ... هل تفهمون؟!... سأقتلكم جميعاً.

وثب الرجال داخل سيارتهم، وانطلقوا بها، إلى كل الشوارع المحيطة بالفيلا، وسمعت (غادة) هدير السيارات، فغمغمت بنفس اللهاث:

- لقد انطلقوا خلفنا يا (نديم)، و...

قبل أن تتم عبارتها، توقفت أمامها فجأة سيارة رباعية الدفع، بصرير فرامل عنيف، وانبعث منها صوت يقول:

- لقد عثرت عليكما.

وأسقط فى يدها...

تماماً.

• • •

خلف القناع

7- العقرب والثعبان ..

لم تشهد (القاهرة) كلها انتشاراً لدوريات الشرطة، مثلما شهدته فى ذلك اليوم ...

كانت الدعوات إلى الخروج الغاضب، فى اليوم التالى، الذى يوافق عيد الشرطة، تتصاعد على نحو غير مسبوق...

حتى خطة الخروج، وتوزيع المتظاهرين على الميادين، تم نشرها فى وضوح، عبر شبكة الانترنت، من خلال مواقع التواصل الإجتماعى ...

ولقد تصوُر البعض، أن انتشار دوريات الشرطة، هو تداع لتلك الدعوات ..

ولكن المدهش أن شبكات التواصل لاجتماعى كانت فى واد، ومسئولو الدولة كلهم، بما فيهم جهاز الشرطة ووزارة الداخلية، كانوا فى واد آخر ...

(أحمد عزيز) بالذات، كان يشتعل غضباً، على نحو لم يعهده أحد فيه من قبل!!...

وفى مكتب وزير الداخلية، قال هذا الأخير فى عصبية:

- (أحمد) باشا ... لقد نفذت ما طلبته، وأطلقت جيشاً من دوريات الشرطة؛ للبحث عن عقربك هذا.

أجابه (أحمد عزيز) فى حدة:

- ولكنها الواحدة ظهراً، ولم يعثروا له على أثر بعد.

مال وزير الداخلية على مكتبه، قائلاً فى توتر:

- (القاهرة الكبرى) ليست مدينة صغيرة يا (باشا) ... إنها واحدة من أكثر مدن العالم ازدحاماً، وتعداد سكانها يربو عن الثمانية عشر مليوناً ... أى أنها تزيد فى تعدادها عن كثير من الدول، والبحث عن شخص واحد فيها، أشبه بالبحث عن إبرة فى كومة من القش.

صرخ (أحمد عزيز) بكل غضبه:

- ولكن هذه الإبرة أهانتنى، وأفلتت من بين أصابعى، كما لو أنها تفلت من قطعة من الزبد.

تردُد وزير الداخلية لحظة، ثم قال فى حسم:

- الواقع أنك أنت منحته الفرصة يا (باشا) .

صاح (أحمد عزيز) فى وجهه، غاضباً ومستنكراً:

- أنا؟!

حاول وزير الداخلية تهدئته، بإشارة من يده، وهو يقول:

- اتحدُث من منظور مهنى، وليس من منظور شخصى.

بذل (أحمد عزيز) جهداً؛ للسيطرة على أعصابه، سائلاً فى توتر:

- وكيف هذا؟!

اعتدل وزير الداخلية، وتنحنح مرتين، قبل أن يقول:

- إصرارك على ان تنزع قناعه بنفسك، منحه فرصة لوضع خطة الفرار، وحفظ سبيل الخروج، ثم أنه كان من الذكاء، بحيث أدرك أن وجودك بشخصك وسط رجالك، عند انقطاع التيار الكهربى، سيمنعهم من إطلاق النار عليه، وخطة دخوله وخروجه إلى الفيلا، كانت مبتكرة وغير نمطية، و...

قاطعه (أحمد عزيز) فى حدة:

- هل يثير إعجابك إلى هذا الحد؟!

ارتبك وزير الداخلية، وهو يلوّح بكفه، قائلاً:

- اخبرتك أننى أتحُدث من منظور مهنى بحت.

ثم عاد يميل نحوه مستطرداً:

- ودعنا لا ننسى أن هذا الرجل كان أحد ضباط الشرطة، أى أنه تلقى تدريبات على أعلى مستوى، وملفه يقول: إنه كان يتمتع بمرونة وخفة، فاقت كل أقرانه؛ وهذا يعنى أننا لا نواجه خصماً عادياً.

صاح (أحمد عزيز):

- أياً كان ... إنه مجرد رجل واحد.

ثم أضاف بكل الحدة:

- وقناعه السخيف هذا، لن يضيف إليه شيئاً.

أطلق وزير الداخلية زفرة متوترة، مغمغماً:

- ليس القناع، وإنما ما خلف القناع.

رمقه (أحمد عزيز) بنظرة غاضبة، قائلاً:

- وهل تعجز وزارة الداخلية كلها، عن ضبط رجل واحد، حتى ولو أرتدى ألف قناع؟!

قال الوزير، فى شئ من العصبية:

- وزارة الداخلية كلها مشغولة بتجهيزات عيد الشرطة، وهناك تلك الدعوات التى ...

قاطعه (أحمد عزيز) فى حدة:

- دعوات؟!... لا تقل لى أنك تولى عبث الشباب هذا اهتماماً كبيراً... إنهم مجرُد

مجموعة من الفاشلين، لا عمل لهم سوى الجلوس أمام شاشات الكمبيوتر، وتبادل السخافات والتظاهر بالفهم والوعى...

قال الوزير فى توتر:

- ولكنهم يضعون خطة للتظاهر لأوّل مرة، ودعواتهم منتشرة فى طول البلاد وعرضها، والتقارير تحذر من أن ينقلب الأمر إلى ثورة، و ....

عاد (أحمد عزيز) يقاطعه، فى حدة أكثر:

- ثورة؟!... ألم تتعلَّم شيئاً من تاريخ هذا الشعب يا رجل؟!... هذا الشعب قد يغضب، وينفعل، ويلعن ويسب أيضاً، ولكنه لا يثور.

غمغم وزير الداخلية فى عصبية:

- لابد من اتخاذ كل الاحتياطات، على أية حال.

هتف (أحمد عزيز)، فى سخرية شديدة العصبية والغضب والاستنكار:

- احتياطات؟!...

ثم مال هو نحو مكتب الوزير، مضيفاً فى حدة صارمة:

- اسمعنى جيداً ... أياً كانت الاحتياطات أو التوقعات، أريد وضع العثور على ذلك (العقرب) على رأس أولويات الوزارة.

واعتدل بحركة حادة، ملوّحاً بذراعيه معاً، وهاتفاً:

- أريد أن أعرف كيف اختفى ذلك الحقير؟!... وأين؟!

وكان هذا هو السؤال، فى تلك اللحظة ...

كيف اختفى (نديم)؟!...

وأين؟!...

• • •

الإجابة على السؤال، تحتم علينا العودة بعقارب الساعة عدة ساعات إلى الوراء ...

إلى نسمات الفجر الاولى لذلك اليوم ...

إلى تلك اللحظة، التى عبر فيها (نديم) و(غادة) سور الحديقة القصير، وتوقّفت أمامهما تلك السيارة رباعية الدفع...

" لقد عثرت عليكما ..."...

نطقها قائد السيارة، فحدَّقت فيه (غادة) لحظة، قبل أن تهتف غير مصدِّقة:

- اللواء (مجدى).

دفع اللواء (مجدى) باب السيارة، وهو يقول فى حزم:

- دعونا لا نضيع لحظات ثمينة، ولنبتعد من هنا بأقصى سرعة.

وثب الإثنان داخل السيارة، التى انطلقت بهما بأقصى سرعتها، و(غادة) تهتف فى سعادة:

- كيف عثرت علينا؟!

أجابها (مجدى)، وهو ينحرف فى طريق جانبية، ومنها إلى أخرى:

- الضجة التى أحدثتماها، كافية لجلب جيش كامل.

قال (نديم)، وهو يستقر على المقعد المجاور له:

- إنك لم تأت إلى هنا بمحض الصدفة.

أجابه (مجدى)، وهو يواصل الغوص، فى شوارع حى (المعادى) المتشابكة:

- كلا بالطبع ... لقد استعنت بصديق.

ردَّدت (غادة) فى حيرة قلقة:

- صديق؟!

غمز (مجدى) بعينه، مجيباً:

- (فؤاد) ... (فؤاد ثعلب).

تفجَّرت الدهشة فى ملامحها، فى حين قال (نديم) فى هدوء، زاد من دهشتها:

- هذا سيارته ... أليس كذلك؟!

أطلق (مجدى) ضحكة قصيرة، قبل أن يقول:

- لاريب فى أنه يبلغ عن سرقتها الآن.

ومع قوله، أوقف السيارة إلى جانب الطريق بغتة، مضيفاً:

- ومن المؤكَّد أن شياطين (أحمد عزيز) قد رصدوها أيضاً ... ولهذا...

غادر السيارة، وأشار إليهما بمغادرتها معه، وهو يشير إلى سيارة صغيرة، مكملاً بابتسامة:

- سنتركها لهم هنا، ونستبدلها بهذه.

هتفت (غادة) فى سعادة:

- رائع.

أسرعت تدلف إلى المقعد الخلفى للسيارة، واستقر (مجدى) خلف عجلة القيادة، فقال (نديم) فى حزم:

- انتقلى إلى المقعد الأمامى.

تطلّع إليه الإثنان فى حيرة، فالتفت إلى (مجدى)، يسأله:

- ألديك مأوى آمن لها؟!

أجابه (مجدى)، وهو يتطلّع إليه بنظرة متسائلة:

- بالتأكيد .. لن يمكنهم العثور عليها فيه، حتى ولو نبشوا الأرض نبشاً.

هتفت (غادة) :

- لماذا تسأل ؟!... ولماذا لم تدخل السيارة معنا؟!

غمغم (مجدى):

- بل سليه: لماذا لم ينزع قناّعه بعد ؟!.

شدّ (نديم) قامته، والتقط نفساً عميقاً، وهو يقول فى حزم:

- لم يحن وقت نزعه بعد.

حاولت (غادة) ان تقول شيئاً، إلا أن (مجدى) استوقفها بإشارة من يده، وهو يسأله:

- هل تعرف ماذا تفعل؟!

أجابه فى حزم واقتضاب:

- بالتأكيد.

ثم مد يده إليه، مستطرداً:

- سيادة اللواء ... من كان يصدّق أن نصافح بعضنا يوماً، على هذا النحو.

صافحه (مجدى)، وهو يقول:

- كنت أنفذ القانون، وأعمل من أجله.

سأله (نديم) مبتسماً:

- واليوم؟!

بدا (مجدى) قوياً حازماً، وهو يجيب:

- من أجل (مصر).

تصافحا فى قوة واحترام، ثم لوّح لهما (نديم) بيده، فسألته (غادة)، والسيارة تنطلق:

- إلى أين؟!

ابتسم ابتسامة هادئة، مجيباً:

- إلى حيث لا يمكن أن يتوقَّعوا.

وما هى إلا لحظات، حتى كان قد اختفى تماماً...

مع أوَّل أضواء الفجر...

• • •

صرخ (أحمد عزيز)، فى من تبقوا من رجاله، داخل تلك الفيلا القديمة، مع مطلع الفجر:

- كيف يحدث هذا؟!... المفترض أنكم من أفضل رجال الأمن والحراسة، فى (مصر) كلها، فكيف يفلت منكم رجل وامرأة بهذه البساطة.

أجابه قائد الحراسة بكل توتره:

- إنه مغامر من طراز لم نعتده، ولم نستعد لمواجهته ... بل ولم نتصوَّر حتى إمكانية وجوده ... لقد وضع خطته فى حرفية شديدة، واعتماداً على وجودك يا (باشا)؛ فمن منا كان سيجرؤ على إطلاق النار، داخل حجرة مظلمة، تتواجد فيها بشخصك.

صاح فيه (أحمد عزيز) فى غضب:

- بل قل إنه قد استغل غباءكم وغفلتكم، عندما تركتم السطح بلا حراسة.

قال قائد الحراسة، مدافعاً عن نفسه:

- الإنذار الذى انطلق، معلناً وجود دخيل، دفعنا للانتشار فى الحديقة، وحوْل الفيلا، ولم نكشف أنها مجرَّد حلقة معدنية، ألقاها نحو كواشف الحركة، إلا بعد وقوعه فى قبضتنا.

قال (أحمد عزيز) فى حدة:

- وعلى الرغم من هذا، فقد فرَّ أيضاً عبر السطح.

بدا قائد الحراسة شديد الضيق، وهو يقول:

- الموقف كله كان مضطرباً مرتبكاً، وهو تحُرك فى سرعة، وبخطة فرار معدَّة مسبقاً.

ثم شدَّ قامته، محاولاً استعادة صلابته، مضيفاً:

- وعندما يعود الرجال من مطاردته والبحث عنه، سنعيد توزيع خطة الحراسة، ولن نسمح بتكرار هذا الأمر أبداً.

صرخ (أحمد عزيز) فى وجهه فجأة:

- تكرار؟!... لو تكررَ أمر واحد، مما حدث هنا الليلة، لن يجد أحدكم فجوة فى جدار، يستطيع الاختباء فيها منى.

قالها، واندفع نحو باب الفيلا، فهتف به قائد الحراسة فى توتر:

- هل ستغادر يا باشا؟!

أجابه فى حدة:

- حتى لا يعوقكم وجودى مرة أخرى.

لحق به قائد الحراسة، هاتفاً:

- وماذا لو ظفر الرجال به؟!... هل...

قاطعه (أحمد عزيز) بكل صرامته، وهو يتجه نحو سيارته:

- أقتلوه.

ثم التفت إليه، مضيفاً فى غل:

- وفور رؤيته.

ودلف إلى سيارته، وانطلق موكبه مبتعداً عن الفيلا الصغيرة، فتنفس قائد الحراسة الصعداء، مغمغماً فى مقت:

- لو قال غيرك نصف ما قلت، لمزَّقت عنقه بأظافرى.

ثم التفت إلى أحد رجاله، متسائلاً فى صرامة:

- كم رجلاً بقى هنا؟!

أشار الرجل بمسدسه، مجيباً:

- خمسة فقط أيها القائد، وهذا يشملنا معاً ... والباقون كلهم يمشطون شوارع (المعادى) بسيارتهم، بحثاً عنه.

قال قائد الحراسة فى صرامة، كمن يفرغ كل الغضب المختزن فى أعماقه:

- عندما يعودون، سأعقد اجتماعاً مع الجميع ... سنضع خطة جديدة لحراسة الفيلا، وسنقوم بوضع نقطة حراسة دائمة على سطحها.

تساءل الرجل فى اهتمام:

- وماذا عن الآن؟!

كانت أشعة الشمس قد بدأت تنساب على الحديقة، فأجابه قائد الحراسة فى صرامة:

- لن يجازف ذلك المغامر المقنّع بهجوم نهارى، فأمثاله لا يخرجون إلا ليلاً.

تطّلع إليه الرجل، فى شئ من الحذر، فأضاف فى حدة:

- هل تتصوَّر مثله يسير فى وضح النهار، مرتدياً ذلك القناع الأسود السخيف؟! ... أعقل يا رجل.

قالها، وعاد إلى داخل الفيلا، التى بدت بحاجة إلى إعادة ترتيب، بعد موقعة الساعات الماضية، وصعد إلى الطابق العلوى، وهو يقول فى مقت:

- ذلك المغرور يتصوَّر، لأنه أقوى رجل فى (مصر)، انه يستطيع إهانة الجميع، دون أن يجرؤ أحد على الاعتراض ... ياله من قصير فاشل ... كيف يتهمنا بالفشل والخيبة، بعد كل ما نفعله هنا.

فاجأه صوت من أعلاه، يقول ساخراً:

- لقد أخبرتك من قبل.

رفع رأسه فى سرعة، وحاول أن يرفع سلاحه، مع العبارة المكملة:

- لأنكم فاشلون بالفعل.

وفى هذه المرة، كانت انقضاضة (العقرب) عنيفة قوية...

وإلى أقصى حد.

• • •

خلف القناع

8- بالقانون..

فى نفس اللحظة، التى غادر فيها (أحمد عزيز) مبنى وزارة الداخلية، ارتفع رنين هاتفه المحمول، فالتقطه وألقى نظرة على شاشته، التى حملت ما يشير إلى أن رقم المتصل غير متاح، مما جعله يعتدل، ويلتقط نفساً عميقاً، قبل أن يجيب الهاتف فى احترام:

- أفندم.

كان يتصور أن الاتصال جاء، من أحد ابنى الرئيس، أو حتى من الرئيس نفسه، إلا أنه باغته صوت (نديم)، وهو يقول فى هدوء ساخر:

- خذها نصيحة منى، وتخلَّص من طاقم حراسة فيلتك القديمة.

كانت صدمة عنيفة له، جعلته يقبض على هاتفه فى قوة، بحركة غريزية عصبية، وهو يقول فى حدة:

- من أى هاتف تتحُدث؟!

أجابه (نديم) بنفس اللهجة:

- على الرغم من شغفك الشديد بالتكنولوجيا، فسيدهشك ما يمكن أن تفعله فعلياً، عبر شبكة الانترنت.

حاول (أحمد عزيز) أن يكتم غيظه وغضبه، أمام رجاله، الذين يقفون فى انتظار ركوبه سيارته، وقد فتح له أحدهم بابها فى احترام، وسأل:

- من أين حصلت على هذا الرقم الشخصى؟!

ارتفعت نبرة السخرية فى صوت (نديم)، وهو يقول:

- ليس هذا فقط ما حصلت عليه.

اندفع (أحمد عزيز) نحو سيارته، وهو يقول فى عصبية:

- أنت مجرَّد متحذلق مغرور، يجيد التعامل مع التكنولوجيا.

أجابه (نديم):

- التكنولوجيا لا بديل عنها، فى هذا العصر.

لم يكد (أحمد عزيز) يستقر داخل سيارته، حتى أوصل هاتفه بجهاز خاص، يتيح له تتبُّع الاتصال، عبر شبكات الهواتف المحمولة، وتطَّلع إلى شاشته فى اهتمام، فى حين قال (نديم)، وكأنه يعلم ما يفعله:

- وبالمناسبة ... لا ترهق نفسك بتتبع المحادثة، فأنا أجلس فى حجرة مكتبك القديمة، فى الطابق الأرضى من فيلا (المعادى)، استمتع بمطالعة تلك المستندات، التى

كنت تخفيها فى خزانتك السرية، فى قاع المكتبة الخشبية الصغيرة.

اشتعل غضب الدنيا فى نفس (أحمد عزين)، وخاصة عندما فشلت شاشة جهاز التتبُّع فى أن تؤكد أن (نديم) يتحُدث بالفعل من الفيلا القديمة، واكتسب صوته نبرة وحشية شرسة، وهو يقول فى حدة، أدهشت سائق وحارسيه الخاصين:

- إنك تحفر قبرك بيديك أيها (العقرب).

أجابه (نديم)، فى استهتار واضح :

- لست أعتقد هذا ... بل أعتقد أننى أحفر قبرك أنت يا (باشا)؛ فما تحويه تلك المستندات، يكفى لإلقائك خلف القضبان، لمائة عام على الأقل.

صرخ (أحمد عزيز) بكل غضبه وانفعاله:

- أنت واهم.

ثم أنهى الاتصال فى عنف، وصرخ فى سائقه:

- إلى فيلا (المعادى) فوراً .... وبأقصى سرعة.

غمغم السائق، وهو يزيد من سرعة السيارة فى توتر:

- الطرق مزدحمة الآن، و ...

صرخ فيه، قبل أن يتم عبارته:

- سر فى عكس الاتجاه ... أو ارتطم بالسيارت لو اقتضى الأمر ... من سيجروء فى (مصر) كلها على ايقاف أو اعتراض (أحمد عزيز)؟! .... من؟!...

صرخها، وهو يدرك فى أعماقه أنه، حتى وان كانت (مصر) كلها فى قبضته، فهناك شخص واحد، لا يقيم له وزنا...

شخص واحد ...

أو عقرب واحد....

• • •

" لن أبقى هنا ... " ...

قالتها (غادة) فى إصرار شديد، وهى تنهض من مكانها فى حركة حادة، فنهض (مجدى) بدوره، قائلاً:

- لا داع للمجازفة يا بنتى ... رجال (احمد عزيز) كلهم يبحثون عنك، ولما له من سلطة وسطوة، سيطلق وزارة الداخلية كلها خلفك وخلف (نديم) أيضاً.

قالت فى عناد:

- ولهذا لا ينبغى أن أظل هنا، وأتركه يواجههم وحده فى الخارج.

حاول استيقافها، وهويسألها:

- وكيف يمكنك مؤازرته فى مثل هذا الموقف؟!... إننا لا نعرف حتى أين هو الآن، ولا ماذا يفعل؟!...

توقفت حائرة، وبدت شديدة التوتر، وهى تقول:

- وماذا لو أنهم قد ظفروا به؟!

لم يجد لديه جواباً، فتمتم:

- سأحاول معرفة هذا.

التقط سترة زيه الرسمى، وحاول أن يبتسم، وهو يضيف:

- مازلت أعمل رسمياً فى وزارة الداخلية ... أليس كذلك؟!

سألته فى توتر أكثر:

- وهل سيخبرونك، لو أنهم فعلوا؟!

ارتدى سترته الرسمية فى صمت، وهو يبحث عن جواب مناسب فى ذهنه، قبل أن يغمغم:

- ربما ... لو أنهم هم من ظفر به.

تضاعف توترها، ولوحت بذراعها، وهى تقول فى عصبية:

- ولكننى لا أحتمل البقاء هنا ساكنة، وهو يواجه كل هذا فى الخارج.

ربت على كتفها فى حنان أبوى، وهو يقول:

- فى كثير من الاحيان، يكون العامل الأهم فى النصر، هو الصبر والانتظار، حتى تحين اللحظة المناسبة.

منحها ابتسامة مشجعة، وهو يضيف:

- سأحاول العودة بأسرع ما يمكننى ... انتظرينى، ولا تغادرى مكانك هذا أبداً، حتى أعود.

كان يهم بمغادرة المكان، عندما غمغمت:

- (نديم) كان على حق.

التفت إليها بنظرة متسائلة، فتابعت:

- من كان يتصوَّر أن ينقلب موقفك، من جانب إلى آخر، على هذا النحو؟!

توقف لحظات صامتاً، أمام الباب، ثم قال فى حزم، دون أن يلتفت إليها:

- ومن كان يتصوّر أن تبلغ تجاوزاتهم هذا الحد؟!

قالها، وغادر المكان، وأغلق الباب خلفه ...

وبكل هدوء...

• • •

تفجّر غضب (أحمد عزيز) إلى ذروته، وهو يقف أمام باب فيلته القديمة، وقبل حتى أن يفتحه...

فمنذ اللحظة الأولى، أغضبه أن وجد باب الحديقة مفتوحاً، ولم يجد أثراً لرجال حراسته فى الحديقة نفسها...

ومع غضبه، اندفع اثنين من حرسه الشخصى، يعبرون الحديقة نحو الفيلا ...

وامام باب الفيلا توّقفوا، وتفجّر غضبه هو إلى الذروة...

فالباب، الذى لم يكن مغلقاً فى إحكام كالمعتاد، كانت ملصقة عليه بطاقة صغيرة ...

بطاقة تحمل رسماً لعقرب...

وبكل غضبه، انتزع (أحمد عزيز) البطاقة، ومزّقها فى حدة، وألقى قطعها خلف ظهره، وهو يدفع الباب، هاتفاً:

- أين ذهب أولئك الحمقى؟!

كانت الفيلا كلها مضاءة، ولكنها خالية تماماً، على الرغم من أن كل سيارت رجاله تقف امامها، فصاح بحارسيه الشخصيين، وهو يندفع نحو حجرة مكتبه القديمة:

- ابحثوا عن الفاشلين.

شهر حارساه مسدسيهما، واندفعا يفتشان الفيلا، فى حين عضّ هو شفته السفلى فى غضب، حتى كاد يدميها، وهو يحدّق فى باب حجرة مكتبه القديمة المفتوح، والذى يحرص دوماً على إغلاقه بمزلاج خاص، لا يمكن كسره، واندفع نحو خزانته السرية، ليشتعل غضبه أكثر وأكثر...

لقد فعلها (العقرب) !!...

عثر على خزانته السرية ...

واقتحمها ...

واستولى على كل مابها من مستندات شديدة الخطورة ..

ولكن كيف؟!...

طرح على عقله السؤال، وغضب هادر يتصاعد فى أعماقه، مع شعور لم يشعر به، منذ سنوات طوال، حتى كاد ينسى وجوده ...

شعور بالهزيمة...

أقوى رجل فى (مصر)، ينهزم أمام عقرب بشرى واحد ...

كان غضبه يغلى فى أعماقه ...

ويغلى ...

ويغلى...

وطرح عقله المشتعل بالغضب سؤالاً آخر ...

أين كان رجال حراسته، ، الذين انتقاهم فى دقة شديدة، مع كل هذا؟!...

أين؟!...

" عثرنا عليهم يا (باشا)..." ...

نطقها أحد الحارسين الشخصيين فى قوة، فانتفض جسد (أحمد عزيز)، بكل تلك الانفعالات الجارفة فى أعماقه، وهو يسأله فى حدة:

- أين؟!...

أجابه حارسه فى سرعة حذرة، وكأنما يخشى رد فعله:

- كلهم هناك ... فى تلك الزنزانة الحصينة فى القبو.

كان (أحمد عزيز) يهم بالصراخ بكلمة ما، عندما اضاف الحارس الشخصى، فى توتر ملحوظ:

- فاقدى الوعى.

تراجع (أحمد عزيز) بحركة حادة، وهو يقول مصدوماً:

- كيف؟!

ثم اندفع يسبق حارسه الشخصى إلى القبو، والسؤال يشعل نيران غضبه أكثر وأكثر، على نحو لم يشعر به، فى حياته كلها...

كيف فعلها (العقرب)؟!...

كيف؟!..

• • •

" لا أحد يدرى "...

قالها مدير المباحث فى وزارة الداخلية، فى توتر كبير، للواء (مجدى)، قبل أن يلوّح بذراعه كلها، مكملاً فى عصبية:

- لم تعثر له دورية شرطة واحدة على أدنى أثر، وكأنما ذاب وتلاشى، فى قلب (مصر).

أخفى اللواء (مجدى) إعجابه، وهو يتساءل:

- وكيف هذا؟!... ألم يتم توزيع صورته على كل الدوريات الراكبة؟!

هتف مدير المباحث فى عصبية أكبر:

- ونشرة كاملة بأوصافه أيضاً، وبكل مكان يمكن أن يلجأ إليه.

تردّد اللواء (مجدى) لحظة، قبل أن يتساءل فى حذر:

- ربما ظفر به رجال (أحمد عزيز).

حدّق فيه مدير المباحث لحظات، وكأنما لا يصدّق أنه قالها، ثم تلفّت حوله، وكأنه يخشى أن يسمعه أحد، قبل أن يهمس فى توتر:

- لو حدث هذا، لأوقفوا عمليات البحث بأية حجة.

ثم تراجع، مكملاً فى شئ من الحدة:

- والواقع أننى لست أدرى سر الاهتمام المفاجئ بذلك (العقرب)، وسط كل هذه الظروف... مهما تكن أهميته أو خطورته، فأمامنا الكثير من الاستعدادات لعيد الشرطة غداً، وهناك تلك الدعوات السخيفة للتظاهرات، ولابد وأن نستعد لمواجهتها أيضاً.

سألته (مجدى) فى اهتمام:

- هل تعتقد أنها ستسفر عن شئ؟!

صمت مدير المباحث لحظات مفكّراً، قبل أن يهزّ رأسه، مجيباً:

- المعتاد ... سيتظاهرون، ويحيط بهم جنود الأمن المركزى، وتتعالى هتافاتهم، ويتجاوزون بالقول واللفظ بعض الوقت، ثم تنهال العصى الغليظة على رءوسهم فيتفرقوا، بعد أن يكونوا قد أفسدوا علينا عيد الشرطة.

لم يكن (مجدى) يتفق معه فى هذا، إلا أنه لم يعارضه، مع إدراكه أن الرجل لا يستطيع الصعود بخياله إلى ما هو أكبر من هذا...

فمنذ انتهت الانتخابات البرلمانية الاخيرة، بكل ما حدث فيها من تجاوزات، فاقت كل الحدود، وهو يلمح ويقرأ الغضب فى عيون المصريين...

كل المصريين ...

تقريباً...

ومن واقع خبرته، كان يدرك أن الأمر لن يمضى فى سلام...

وأنه سيتجاوز كل التوقعات...

ولقد قدَّم مذكرة بهذا، إلى وزير الداخلية شخصياً، ثم أدرك أن الكل لا ينظر إلى الأمر، من نفس الزاوية، التى ينظر هو إليها، وأيقن من أنهم لن يحسنوا التعامل مع العاصفة القادمة، و ...

" سيادة اللواء..." ...

ظهر ذلك الضابط عند باب حجرة مكتب مدير المباحث، فالتفت إليه هذا الأخير مع (مجدى)، فى آن واحد، مما جعله يرتبك، قائلاً:

- كنت أقصد سيادة اللواء (مجدى).

بدا الارتياح على وجه مدير المباحث، فى حين تساءل (مجدى) فى حذر:

- ماذا هنالك؟!

عاد الضابط يشدُّ قامته، وهو يجيب:

- سيادة الوزير يطلبك فى مكتبه ... فوراً.

وحبس (مجدى) أنفاسه ...

فمع هذه الأحداث، لا يمكن أن يحمل له استدعاء وزير الداخلية الخير ...

على الإطلاق ...

• • •

بكل العصبية، راحت (غادة) تتحرك فى ذلك المنزل القديم، الذى وضعها فيه اللواء (مجدى)... ما علمته منه أنه منزل كانت تقيم فيه والدته الراحلة، فى حى شعبى من أحياء (القاهرة) القديمة، وأن أحداً من زملائه فى الداخلية لا يعلم بوجوده..

ولهذا فقد اعتبره منزلاً آمناً لها...

ولم يكن هذا ما يقلقها فى الواقع ...

لقد كانت شديدة القلق على (نديم)، الذى لم تعرف عنه شيئاً، منذ تركهما فى الفجر...

ولأنها تعرفه جيداً، كانت واثقة من أنه قد عاد إلى فيلا (أحمد عزيز) القديمة؛ فقد كانت فرصة مثالية، لا يمكن أن يضيعها...

الفيلا خلت أو كادت من رجال الحراسة، الذين خرجوا للبحث عنه وعنها، وهى- كما علما- تحوى أدق أسرار أقوى رجل فى (مصر) ...

والعودة إليها، دون أن يخطر هذا ببال أحد، قد يضع يديه على أخطر أسرار (أحمد عزيز) ...

ولهذا فهو سيعود...

ولكن ماذا يمكن أن يحدث هناك؟!...

ماذا؟!...

هل ستسير الامور لصالحه، أم تمضى عكس التيار؟!...

ثم أن اللواء (مجدى) قد منعها من إجراء أية اتصالات، مهما كانت الأسباب، خشية أن تكون الهواتف مراقبة ...

أو أنها كذلك بالفعل؛ مما يقود زبانية (أحمد عزيز) إليها...

ولكنها لا تحتمل البقاء فى هذا المكان ...

أو هذا الموقف...

منذ البداية، اعتادت أن تكون إلى جوار (نديم) دوماً ...

تواجه كل ما يواجهه، وتحتمل كل ما يحتمله، ومستعدة مثله لنفس العواقب والنتائج...

وفى هذه المرة، ولأوّل مرة، تتركه يعمل وحده ...

وبقناع (العقرب)...

وهى غير قادرة على احتمال هذا...

على الإطلاق ...

ليس فقط لأنها تؤمن بنفس ما يؤمن به، من حتمية تغليب العدالة على القانون، إذا ما عجز الأخير عن تحقيق الأولى...

ولكن لسبب أهم ...

سبب ربما لم تجرؤ على الاعتراف به لنفسها طويلاً...

انها تحبه ...

ومن قبل حتى أن تعمل معه ...

كانت قد وصلت بتفكيرها إلى تلك النقطة، عندما ارتفعت دقات قوية فجأة، على باب المنزل، فانتفض جسدها فى قوة، وتراجعت فى سرعة، متطلعة إلى الباب فى قلق، ومتسائلة عن هوية الطارق...

ثم فجأة، وقبل أن تمضى فى تفكيرها بعيداً، اقتحم ثلاثة رجال المكان، ووجدت نفسها أمامهم دون مقدمات، فأطلقت شهقة مكتومة، وخاصة عندما تبعهم أحد حراس (أحمد عزيز) الشخصيين، وهو يقول، وعيناه تلتمعان فى ظفر:

- كنا نعلم أننا سنجدك هنا.

وفور عبارته، ارتفعت فوهات ثلاثة مسدسات قوية...

فى وجهها مباشرة.

• • •

خلف القناع



9- الساعات الاخيرة..

" تجاوزت حدودك أيها اللواء..." ...

صرخ وزير الداخلية بالعبارة، فى وجه اللواء (مجدى)، الذى بذل قدراً هائلاً من الجهد؛ للحفاظ على تماسكه وهدوء أعصابه، وهو يقول:

- من أية ناحية يا سيادة الوزير؟!

ضرب الوزير سطح مكتبه بقبضته، وهو يقول:

- هل تتصوَّر أنك تستطيع التلاعب بنا، كما يتلاعب المحامون بنصوص القوانين؟!... إننا نعرف عنك، ما قد لا تعرفه أنت عن نفسك.

بدأ الشك يتسرَّب إلى نفس (مجدى)، وهو يقول :

- لم تخبرنى بعد ماذا فعلت يا سيادة الوزير.

ظهر الغضب على وجه الوزير أكثر، وهو ينحنى على سطح مكتبه، قائلاً فى حدة صارمة:

- هل تصوَّرت أننا حقاً نجهل أمر منزل والدتك القديم، فى ذلك الحى الشعبى؟!

سقط قلب (مجدى) بين قدميه، ولم ينبس ببنت شفة، مع امتقاع وجهه، فتابع الوزير، وهو يعود للاعتدال على مقعده:

- (أحمد عزيز) غاضب من موقفك هذا بشدة، و(فؤاد ثعلب) أخبره بكل شئ، بعد ان عثروا على سيارته، بالقرب من الفيلا القديمة، وغضبه منك انعكس على غضبه منى أيضاً، والوسيلة الوحيدة؛ لأنجى نفسى من نتائج هذا الغضب، هى أنت...

لم ينبس (مجدى) ببنت شفة، هذه المرة أيضاً، إلا أنه شعر فجأة بقوة عجيبة، تدب فى نفسه، وتعيد التورُّد إلى وجهه، مع لحظة الصمت القصيرة، التى غابت خلالها كلمات الوزير، قبل أن يعود، فى صرامة عصبية غاضبة:

- لقد أصدرت قراراً بإحالتك إلى التقاعد، اعتباراً من هذه اللحظة.

فى ظروف أخرى، وربما منذ اعوام مضت، كانت تلك الكلمات ستهبط على رأس وعقل وقلب اللواء (مجدى) كالصاعقة...

ولكنها، وياللعجب، هبطت برداً وسلاماً عليه، وجعلته يغمغم فى ارتياح:

- حمداً لله.

أدهشت غمغمته هذه الوزير بشدة ... وأغضبته بشدة أيضاً، فى الوقت ذاته، فصاح فيه فى حدة:

- هل تحمد الله، على أننى أحلتك إلى التقاعد؟!

جرأة عجيبة، سرت فى كل عروق اللواء السابق (مجدى)، وجعلته يشد قامته فى اعتدادا، على الرغم من وقوفه فى مواجة وزير الداخلية مباشرة، ويقول فى حزم:

- أحمد الله سبحانه وتعالى، على أن جاء القرار فى هذا التوقيت بالتحديد؛ فلا أحد يعلم ماذا سيحدث غداً.

احتقن وجه الوزير، وهو يقول فى حدة أكثر:

- ما سيحدث هو أنه سيتم تقديمك لمحاكمة عسكرية؛ لتجاوزك مهام وظيفتك ومنصبك.

اندهش (مجدى) نفسه، عندما سأل فى جرأة:

- من أية ناحية؟!

أجابه الوزير، فى مزيج من الدهشة والاستنكار والغضب:

- إنك تساعد مجرماً على الفرار، وتأوى تلك المحامية الشابة فى منزل والدتك القديم.

قال (مجدى) فى جرأة أكثر، زادت من دهشته شخصياً:

- المجرم هو من يصدر ضده حكماً مديناً؛ فالقاعدة تقول: "إن المتهم برئ، حتى تثبت إدانته"... أما (غادة)، فهى مجرَّد صديقة، لم توَجه إليها حتى أية اتهامات، ومن حقى (قانوناً)، استضافة من أشاء، فى منزل والدتى.

ضغط كلمة (قانوناً) بشدة وهو ينطقها، فتطلع إليه وزير الداخلية لحظة مستنكراً، قبل أن يميل مرة أخرى على مكتبه، قائلاً فى غضب صارم:

- ألم أقل لك: إنك قد تجاوزت حدودك؟!... القانون هو لعبة تدار فى قاعات المحاكم، بين المحامين والنيابة والقضاء ... أما هنا، فنحن فى لعبة أكبر، وقواعدها توضع من طرف واحد فقط.

ثم اعتدل، مضيفاً:

- وأنت لست هذا الطرف بالتأكيد.

قال (مجدى) فى هدوء حازم:

- لا أحد يدرى، من سيكون الطرف، الذى يحكم قواعد اللعبة، فى المرحلة القادمة.

مزج الوزير سخريته بغضبه، وهو يقول:

- لا تأمل كثيراً ... قواعد اللعبة ستظل كما هى، لثلاثة عقود قادمة على الأقل ... إننا

لم نبذل كل ما بذلناه؛ ليرث الابن حكم الأب، إلا لنضمن هذا.

حمل صوت (مجدى) مزيجاً من الحزم والخشوع، وهو يقول:

- يمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين.

انعقد حاجبا الوزير، فى غضب ومقت شديدين، وقال فى صرامة، وهو يضغط زراً على سطح مكتبه:

- هكذا !؟...

دلف مدير مكتبه إلى المكان، إثر رنين الجرس، فأشار الوزير إلى (مجدى)، وهو يقول فى لهجة آمرة صارمة:

- اللواء (مجدى) تمت إقالته، وسيصدر قرار آخر، من جهة سيادية، بحرمانه من المكافأة والمعاش، وتجريده من رتبته ونياشينه ... احرص على أن يسلِّم سلاحه ومتعلقاته وزيه الرسمى فوراً.

تقدم مدير المكتب، وأمسك ذراع (مجدى) فى قوة، إلا أن هذا الأخير لم يبال، لا بتلك المسكة، التى تتعارض حتى مع أبسط قواعد الاحترام، ولا حتى بقرارات وأقوال وزير الداخلية...

فكل ما كان يشغل باله، فى تلك اللحظة، هو (غادة)...

لقد كشفوا مكمنها، الذى كان يتصوُّره أمناً...

فماذا سيفعلون بها؟!...

ماذا؟!...

• • •

عندما رفع الرجال الثلاثة مسدساتهم، فى وجه (غادة)، كانوا يرونها مجُرد فتاة حسناء، ستنهار فور رؤيتها فوهات الأسلحة...

وأن مهمتهم ستكون سريعة...

وناجحة...

فمع ثلاث مسدسات، تزُود كل منها بكاتم صوت قوى، يمكن أن تنتهى المهمة بضغطة واحدة على الزناد ...

ولكن المفاجأة جاءت من نصيبهم هم ...

فالفتاة الحسناء، ضئيلة الجسد، تحُركت بغتة، ووثبت فى خفة، لتدفع الجدار المجاور

لها بقدمها، وتتخذ من هذا قوة اندفاع كافية، لتعبر بحركة رشيقة، فوق رءوس الرجال الثلاثة، وتركل مع عبورها أنف أحدهم بقدمها الأخرى...

ولكن الرجال الثلاثة، بالإضافة إلى الحارس الشخصى، لم يكونوا أيضاً رجالاً عاديين...

لقد كانوا محترفين ...

محترفين تلقّوا تدريبات عنيفة ...

وعلى أعلى مستوى ...

فعلى الرغم من سقوط الرجل، الذى ركلت هى أنفه أرضاً، تحُرك الباقون فى سرعة، وأداروا فوهات مسدساتهم نحوها، حتى الحارس الشخصى، الذى لا يحمل مسدسه كاتماً للصوت مثلهم ...

حاولت (غادة) أن تركل مسدساً آخر، ولكن صاحبه تراجع بحركة احترافية، ثم صوّب فوهة مسدسه إلى رأسها ...

وفى نفس اللحظة، حذا الآخران حذوه، و ...

وفجأة، انطلقت تلك الصرخة، من خلفهم مباشرة ...

استداروا – كمحترفين- فى سرعة بالغة، وتراجعوا بحركة عصبية، عندما شاهدوا ذلك العدد من سكان الحى، وهم ينقضون عليهم صارخين، ملوّحين بكل ما استطاعوا حمله، مما يصلح كسلاح بدائى ...

وعلى الرغم من احترافية الرجال الأربعة، فقد انهالت عصا غليظة على ذراع أحدهم، وأجبرته وهو يطلق صرخة مدوية، على إفلات مسدسه، فى حين حاول آخر إطلاق النار، على الاعداد التى تقتحم المكان، وتتزايد فى سرعة مفزعة، وكلها تطلق صرخة واحدة ...

" الله أكبر... "..

وتراجعت (غادة) ذاهلة، تحُدق فيما يحدث، غير مصدّقة كيف ازدحم المنزل القديم بكل هذا العدد، فى لحظات قليلة ...

ومع الزحام الشديد، لم تدرك ماذا أصاب الرجال الأربعة؟!..

كل ما سمعته، هو صوت الحارس الشخصى لـ(أحمد عزيز)، وهو يصرخ، فى صوت حمل كل الرعب:

- ألا تدرون ما تفعلون ... أنتم تواجهون ...

ثم بتر صرخته بصرخة أخرى، حملت كل الألم ...

والتصقت هى بالجدار، محاولة الفهم، حتى فوجئت بالهدوء يسود فجأة، ورأت رجلاً شعبى المظهر، له شارب شديد الضخامة، يشق الزحام نحوها، ويسألها فى تعاطف أبوى قلق:

- أأنت بخير يا آنسة (غادة)؟!

أدهشها سؤاله، وأدهشتها اللهجة التى نطقه بها، وبدت لها الامور أكثر غموضاً وغرابة، فاكتفت بإيماءة من رأسها، ارتسم بعدها الارتياح على وجه الرجل، وانتقل فى سرعة إلى الآخرين، وهو يضع راحته على صدره، قائلاً:

- أنا المعلم (خليل)، صاحب أكبر مقهى فى المنطقة كلها.

تمتمت بحروف، لم تع هى نفسها فحواها، فابتسم فى شئ من الفخر، وهو يقول:

- سيادة اللواء (مجدى) أوصانا بحمايتك.

ردّدت فى دهشة:

- (مجدى) ؟!

أجابها فى حماس:

- إنه ابن حينا ... وُلد ونشأ وتربى فيه ... ومنذ التحق بالشرطة، وهو يولينا بحمايته ورعايته، ومعظم العائلات هنا، له فى رقبتها دين واجب السداد ...

غمغمت فى دهشة:

- إذن فقد أخبركم.

قال فى فخر:

- بل أوصانا...

ثم أضاف فى حماس:

- وما من مخلوق هنا سيكشف سره، حتى ولو قطعوا رقابنا واحداً بعد الآخر.

لمحت الرجال الأربعة فى هذه اللحظة، وهم فاقدى الوعى، وبعض أبناء الحى يقومون بتقييدهم، فأشارت إليهم، قائلة فى قلق:

- ولكنكم لا تعلمون من هؤلاء الرجال ... إنهم ...

قاطعها بإشارة حازمة من يده:

- إياً كانوا... لقد طلب منا سيادة اللواء حمايتك، وطلباته على رقابنا أوامر.

ثم اشار إلى الرجال الأربعة إشارة صارمة، مكملاً:

- حتى ولو كانوا من طرف الرئيس شخصياً.

هزّت رأسها هزة خفيفة، وقالت فى خفوت:

- يمكنك أن تقول: إنهم يشبهون هذا.

بدا صارماً، وهو يقول:

- لا يهم.

ثم مال نحوها، مستطرداً:

- ألا تدركين أن الوقت قد حان... نحن هنا لسنا معزولين عن الدنيا .... شبابنا يتابع الانترنت، مثل معظم شباب (مصر) ... وكلنا سنخرج غداً؛ لنقول لهم: إن الكيل قد فاض بنا، ولم نعد نحتمل.

كان الجميع يقفون منتبهين، يتابعون حديث المعلم (خليل) معها، فأدارت عيناها فى وجوههم، ثم شدت قامتها، قائلة:

- أنت على حق ... لقد حان الوقت.

ومالت نحوه، متسائلة فى صوت سمعه الكل:

- فى هذه الحالة، هل يمكن أن أطلب مساعدتكم؟!...

أدهشها أنها ما أن أنتهت من سؤالها، حتى اعتدلوا جميعاً فى وقفة حاسمة مشدودة، وكأنهم جيش نظامى مدرب، وكأنهم يعلنون موافقتهم المسبقة، على كل ما تطلبه منهم، فى حين بدا المعلم (خليل) أشبه بقائد عسكرى، وهو يرفع يده إلى عنقه، مجيباً بكل الحسم والحزم:

- برقابنا.

وهنا أدركت (غادة) ان الوقت قد حان ...

بالفعل ...

• • •

" الباشا؟!... " ...

هتف بها قائد الحراسة، فى فيلا (أحمد عزيز) القديمة، عندما استعاد وعيه، وفوجئ بهذا الأخير يجلس أمامه، وخلفه يقف حارسه الشخصى فى صرامة ...

وارتجف جسده كله، وهو يحاول النهوض، مكملاً فى هلع:

- لقد باغتنا يا (باشا) ... لم نتوقع عودته إلى هنا، بعد أن نجح فى الفرار، ولقد استخدم ...

قاطعه (احمد عزيز)، فى صرامة غاضبة:

- قنبلة غاز منوم ... أعلم هذا ... الرائحة مازالت تترك بعض آثارها هنا ... ربما لهذا فتح باب الفيلا ونوافذها، بعد ان ألقاكم كلكم هنا، وأغلق الزنزانة عليكم فى إحكام.

كان الرجل شديد الارتباك والتوتر، وهو يقول:

- لسنا ندرى من أين جاء بها؟!... ربما كانت منزلية الصنع، تركها فى ركن خفى على السطح، ثم عاد ليلتقطها، ويستخدمها، و...

مرة أخرى، قاطعه (أحمد عزيز)، بصرخة غضب هادرة:

- فاشلون.

امتقع وجه الرجل، وحاول أن يستعيد تماسكه، وهو يغمغم:

- لم نكن نتوقع...

قاطعه (أحمد عزيز) للمرة الثالثة، صارخاً:

- رجل الامن الناجح، لابد وان يتوقع كل شئ، وأى شئ... هل تدرك عواقب فشلكم هذا؟!... لقد عمل ذلك العقرب على تخديركم، واحتجزكم فاقدى الوعى هنا، ثم راح يتجوّل فى المكان، ويفتشه بكل هدوء وراحة وثقة، حتى عثر على خزانتى السرية.

غمغم الرجل فى دهشة:

- أية خزانة؟!

صرخ فيه:

- امازلت تتساءل؟!

وبدا وجهه أشبه بشيطان غاضب، فى قلب الجحيم، وهو يقول:

- تلك المستندات والوثائق، التى حصل عليها شديدة الأهمية والخطورة، ولابد من استعادتها بأى ثمن.

هتف قائد الحراسة، محاولاً استعادة مكانتة:

- سنقلب الأرض بحثاً عنه، و...

قاطعه هذه المرة فى حدة شديدة، وهو يلوّح بذراعه كلها:

- لا تقترح شئياً يا زعيم الفاشلين ... لقد قمت وحدى بالعمل كله، بعد أن أدركت عجزكم، عن القيام بأية مهمة غير تقليدية... لقد تراخيتم مع مضى الوقت، عندما علمتم أنكم تعملون لدى أقوى رجل فى (مصر)، وتصوّرتم، كما تصوّرت أنا، أنه ما من مخلوق، فى

(مصر) كلها، سيجرؤ على الاقتراب من فيلا يملكها (أحمد عزيز).

وزفر فى قوة، وكأنما يحاول إطلاق بعض المرارة الغاضبة المشتعلة فى أعماقه، قبل أن يكمل بحدة أكبر:

- ثم جاء ذلك (العقرب)، وكسر كل الحواجز، وتجاوز كل الحدود، وبلغت به حماقته حد تحدِّى (أحمد عزيز) ... والأسوأ أنه، بسبب عجزكم وفشلكم، قد نجح فيما يسعى إليه.

غمغم الرجل فى تخاذل مرتجف، على الرغم من قامته الفارهة، وعضلاته المفتولة، وجسده القوى:

- مرنا يا (باشا).

زفر (أحمد عزيز) مرة أخرى، وتراجع فى مقعده، وضم شفتيه فى قوة، وكأنما يحاول كتمان انفعالاته، التى تفور بحجم بركان غضبه فى أعماقه، ثم اعتدل دفعة واحدة، قائلاً فى صرامة:

- لقد علمت أين تختبئ زميلته، وأرسلت من يعيدها إلى هنا... وبقى أن أضع يدى على ذلك (العقرب)، وأستعيد منه أوراقى.

بدا الرجل شديد التخاذل، وهو يسأله، فى خفوت شديد:

- ألم تعلم أيضاً أين هو يا (باشا)؟!

التقط (أحمد عزيز) كمية كبيرة من الهواء، فى محاولة لتبريد نيران غضبه، وألقى نظرة على جهاز صغير فى يده، قبل أن يقول:

- إنه يجيد التعامل مع التكنولوجيا، مثل كل بنى جيله ... ولكنه يفوقهم بخبرته وذكائه، وفهمه المدهش للطبيعة البشرية.

لم يفهم قائد الحراسة، ولا حتى الحارس الشخصى، ما الذى يعنيه (احمد عزيز) بقوله هذا، إلا أن كلاهما لاذ بالصمت، وتركاه يتابع:

- ولكن التكنولوجيا التى يعرفها ويجيدها، هى التكنولوجيا المتاحة للمواطن العادى، وليس التكنولوجيا المتاحة لذوى السلطة.

تنحنح قائد الحراسة، وتساءل فى حذر شديد الخفوت:

- ولكن هل علمت أين هو يا (باشا).

التقط (احمد عزيز) نفساً عميقاً آخر، وألقى نظرة أخيرة، على شاشة الجهاز الصغير الذى يحمله، قبل أن يجيب، فى لهجة لم تخل من كل التوتر:

- هنا.

واتسعت عيون قائد الحراسة والحارس الشخصى عن آخرهما...

فقد كانت المفاجأة مذهلة ...

جداً.

• • •

10- الختـــام..

أسرع اللواء (مجدى) الخطى، وهو يغادر مبنى وزارة الداخلية، بعد ان سلّم زيه الرسمى وسلاحه وأوسمته، بناءً على قرار إقالته، الذى أصدره تعسفاً وزير الداخلية، والتقط هاتفه المحمول من جيبه؛ ليجرى اتصاله بالمعلم (خليل)، وفق المصطلحات المتفق عليها؛ للاطمئنان على (غادة)، عندما استوقفه عميد شرطة، حديث العهد برتبته، وهو يقول فى لهجة متعمِّدة الاستفزاز:

- إلى أين؟!

واجهه (مجدى) فى تحد، وهو يقول:

- إلى الخارج ... من الواضح أنك علمت بخبر إقالتى، وإلا لأديت لى التحية أيها العميد.

لم ترق له ابتسامة ذلك العميد الحديثه وهو يقول فى تشف واضح:

- ليس هذا فقط ما علمته.

ثم شد قامته، واكتسبت لهجته صرامة مصطنعة، وهو يضيف:

- لقد امر سيادة الوزير بالتحفّظ عليك، ومنعك من مغادرة مبنى الوزارة لحين صدور أوامر أخرى.

تطلّع إليه (مجدى) فى صمته دون تعليق، ودون حتى انفعال ...

كان يتوقّع هذا إلى حد ما...

ولكنه ربما كان يامل ألا يحدث بهذه السرعة ...

فاحتجازه الآن، يعنى أنه لن يعلم ملفا يدور فى الخارج ...

ماذا أصاب (نديم)؟!...

وكيف صارت (غادة)؟!..

وعلى الرغم من ذلك العدد المبالغ من رجال الشرطة، والذى أحاط به على نحو مدروس، وكأنه واحد من كبار الإرهابيين العالميين، وعلى الرغم حتى من ذلك الأسلوب المستفز، الذى انتزع به ذلك العميد حديث العهد، هاتفه المحمول من يده، إلا أنه ظل هادئاً متماسكاً، وهو يقول:

- من الواضح أن التجاوزات قد بلغت ذروتها.

أجابه العميد فى خشونة:

- لا تجاوزات أيها المواطن ... كل ما نقوم به قانونى تماماً.

سأله، فى لهجة هادئة، لم تخف نبرة سخرية لاذعة:

- وفقاً لأى قانون؟!

أجابه العميد، فى غلظة خشنة:

- قانون الطوارئ.

هزَّ (مجدى) رأسه فى هدوء، قائلاً:

- هل تعلم؟!... الواقع أننى أشعر بالندم.

أدهشت العبارة ذلك العميد حديث العهد، فغمغم غير مصدِّق:

- حقاً؟!

حملت شفتا (مجدى) ابتسامة عجيبة، وهو يقول:

- بالتأكيد.

ثم مال نحوه، مستطرداً:

- إننى أشعر بالندم؛ لأننى لم أعمل إلى جوار (العقرب) منذ البداية.

اتسعت عينا الرجل من شدة هلعة، ثم انعقد حاجباه فى غضب، وهو يقول:

- سنرى.

استعاد (مجدى) ذلك الشعور، الذى يملأ نفوس أبناء الحى الشعبى، الذى ينتمى إليه، والذى ينبئ بأن الغد سيحمل الكثير، وقال فى ثقة:

- نعم ... غداً سنرى.

وعلى الرغم من دهشته وغضبه، لم يفهم ذلك العميد شيئاً...

أى شئ ...

• • •

" ولكن هذا مستحيل!... "...

على الرغم منه، هتف قائد حراسة فيلا (أحمد عزيز) القديمة بالعبارة، أمام هذا الأخير، الذى أشار بذلك الجهاز الصغير الذى يحمله بيده، قائلاً فى شئ من الزهو، على الرغم من غضبه:

- هذه هى التكنولوجيا، التى لا يملكها ذلك (العقرب) ... خزانتى السرية كانت مزوَّدة بجهاز تأمين من نوع خاص، مجهَّز بحيث يطلق سائلاً غير مرئى، على كل محتوياتها،

إذا ما فتحها أحدهم عنوة ... وجزء من ذلك السائل، سيصيب ملابس من يفتحها حتماً ... وهذا الجهاز الصغير، يمكنه كشف وجود ذلك السائل، ذى الخواص المغنطيسية، خلال مدى محدود... وما أرصده هنا، يؤكد أن السائل على مسافة قريبة منى.

واستعاد غضبه وعصبيته، وهو يضيف:

- وداخل الفيلا بالتحديد.

تحرك قائد الحراسة فى حركة عصبية، توحى باندفاعه للبحث فى الفيلا، ولكن (أحمد عزيز) استوقفه بإشارة صارمة من يده، وهو يقول فى حدة:

- إلى أين أيها الفاشل؟!

أجابه الرجل فى توتر شديد:

- تقول: إنه مازال داخل الفيلا يا (باشا)، وعلينا أن ...

قاطعه (أحمد عزيز) كعادته فى حدة:

- عليك أن تستمع إلىّ هذه المرة أيها الغبى.

تراجع الرجل فى توتر أكثر، وتطلّع إليه ينتظر أوامره، فزفر (أحمد عزيز) مرة أخرى فى قوة، قبل أن يقول:

- لن أسمح له بتحقيق انتصار جديد، على (أحمد عزيز) ... هذه المرة، ستسير الأمور وفقاً للخطة التى أضعها أنا.

ثم تراجع فى مقعده، واتخذ وضعية متغطرسة، وكأنه ملك يجلس على عرشه، وهو يضيف:

- سنقوم بتشغيل كل وسائل الأمن والحراسة، وننشر الرجال فى حديقة الفيلا حولها، ولكن لنمنع الخروج منها هذه المرة، وليس الدخول إليها ... وسيصعد أحد قناصينا، إلى سطح إحدى البنايات المجاورة؛ لمراقبة السطح، واصطياد أى عقرب يصعد إليه، أو يحاول الفرار عبره ... هكذا نكون قد أحكمنا الحصار، وبعدها...

" لا داع لكل هذا... " ..

قاطعته العبارة بلهجة شديدة السخرية، جعلت الجميع يلتفتون إلى مصدرها بحركة حادة، قبل أن يتفجّر مزيج من الدهشة والغضب والاستنكار فى نفوسهم، إلى حد جعل (أحمد عزيز) يهتف بلا وعى:

- مستحيل!!...

فعند باب القبو، وفى هدوء شديد، كان يقف آخر شخص يمكن توُقعه ...

(العقرب) ...

لم يكن حتى يحمل سلاحاً يصوِّبه إليهم ...

كان فقط يقف هناك، عاقداً ذراعيه أمام صدره، ومستنداً إلى جانب الباب، وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة ...

والاهم، أنه كان يرتدى ذلك القناع الأسود المعروف...

قناع (العقرب) ...

وفى حركة عصبية عنيفة، سحب الحارس الشخصى مسدسه، وبحث قائد الحراسة عبثاً عن سلاحه، ولكن (نديم) ظل محتفظاً بهدوئه، وهو يقول:

- ذلك السائل لم ينطلق من خزانتك بالمناسبة.

انعقد حاجبا (أحمد عزيز) فى شدة وشعر، وربما لأوَّل مرة فى حياته، انه عاجز عن النطق ...

كل ما فعله، هو أن أمسك معصم حارسه الشخصى؛ ليمنعه من إطلاق النار على (نديم)، الذى تابع بنفس الهدوء:

- ربما لأننى توُقعت أمراً كهذا، ففصلت التيار الكهربى عن الخزانة، قبل أن أحطُم رتاجها الخاص.

لم تكن فكرة فصل التيار الكهربى تلك، قد خطرت ببال (أحمد عزيز)، مما أورثه المزيد من الغضب، إلا أنه لم يملك سوى الاعتراف بذكاء وبراعة (نديم)، على الرغم منه، وهو يشعر بغصة فى حلقه، ويقول بعد جهد جهيد، فى صوت خرج من ين شفتيه مختنقاً متوتراً:

- ولكن الوثائق هنا .... جهازى رصدها.

هزُ (نديم) كتفيه، قائلاً:

- جهازك رصد السائل، الذى انسكب داخل الخزانة، عندما حطمُت الزجاجة الصغيرة التى تحويه، ولم يرصد الوثائق.

صاح قائد الحراسة فى عصبية:

- ماذا ننتظر يا (باشا)؟!... فلنقتله على الفور.

قال (نديم) فى سرعة، دون أن يمنح (أحمد عزيز) فرصة الإجابة:

- (الباشا) لن يصدر مثل هذا الأمر، قبل أن يعلم يقيناً أين وثائقه ومستنداته؛ فهو

ليس من الطراز، الذى يمكنه أن يجازف بهذا.

اعتدل (أحمد عزيز) منتفضاً، وبدا شديد الغضب، وهو يقول:

- ربما ... ولكن لدى وسائل أخرى.

انتبه (نديم)، فى تلك اللحظة فقط، إلى تلك الحركة الخفيفة من خلفه، وحاول الاستدارة بكل سرعته ...

ولكن تلك الضربة كانت أكثر سرعة، وهى تهوى على مؤخرة عنقه فى قوة ...

وفى اللحظة التالية، أظلمت الدنيا أمام عينيه ...

وهوى فاقد الوعى ...

أمام (أحمد عزيز) ....

مباشرة ...

اما ذلك الذى تسلّل خلفه، وباغته بتلك الضربة، فقد صوّب مسدسه إلى رأسه، وسحب إبرته، و ...

" ليس الآن... " ...

هتف بها (أحمد عزيز)، بكل الصرامة والعصبية، فارتفعت إليه كل العيون، ليضيف فى مقت واضح:

- لدى خطط أخرى بشأنه.

ومع قوله، أدرك الموجودون ان الموت ليس هو ما ينتظر (نديم) ...

بل هو ما سيتمناه قريباً ...

وبشدة ...

• • •

لم يدر (نديم) كم من الوقت بقى فاقد الوعى، ولم تكن هناك نافذة واحدة، فى ذلك القبو الحصين، يمكن أن تنقل إليه كيف هو الضوء فى الخارج ...

ولكنه، وعندما استعاد وعيه، كان (أحمد عزيز) يجلس على مسافة أمتار قليلة منه، يتناول إفطاره على مائدة أضيفت إلى القبو، وأحد رجاله يقوم على خدمته، والباقون يقفون على مسافة قريبة، فى وقفة عسكرية، وكأنهم فى طابور رسمى ....

وما أن فتح (نديم) عينيه، حتى توقف (أحمد عزيز) عن تناول إفطاره، والتفت إليه بنظرة شامتة، وهو يجفف فمه بمنشفة غالية الثمن، وقال متحدياً:

- من المدهش والمفاجئ، أن رأسك لم يكن بالصلابة التى تصوَّرناها، فلقد بقيت فاقد الوعى لأكثر من عشر ساعات.

التفت (نديم) يلقى نظرة، على تلك الشاشة الكبيرة، التى يتركها (أحمد عزيز) داخل القبو، للاتصال بمن يحتجزه فيه، ثم قال فى هدوء:

- كنت أحتاج إلى النوم، بعد أن قضيت يوماً كاملاً، فى إثبات فشل رجال أمنك.

توتر الرجال بشدة مع عبارته، ولكن (أحمد عزيز) ابتسم، واستدار بجسده كله إليه، وهو يقول:

- ربما اتفق معك فى هذا، ولكنك خسرت فى النهاية.

لم يندهش (نديم) من أسلوب (أحمد عزيز)، وذلك الهدوء الذى يتحدث به ...

ولم يندهش أيضاً، من كونه مقيداً إلى ذلك المقعد الكبير فى إحكام، فى منتصف الحجرة، أمام (أحمد عزيز) مباشرة ...

بل ولم يندهش حتى؛ لأنهم تركوا قناعه على وجهه ...

كان يبدو وكأنه قد توقع كل هذا، وهو يقول فى هدوء، لا يناسب شخصاً فى موقفه:

- النهاية لم تأت بعد.

والتمعت عيناه فى تحد، مضيفاً:

- فأنت لم تعثر على مستنداتك ووثائقك، التى تثبت فسادك وتجاوزاتك ... ورجل مثلك لن يقدم على التخلص منى، قبل أن يستعيد كل ما يدينه.

تلاشى هدوء (أحمد عزيز) الزائف مع تلك الكلمات، وبدا شرساً إلى حد كبير، وهو يقول فى حدة:

- أين اخفيتها؟!.. لقد فتشنا كل ركن فى الفيلا، وحتى فى الحديقة، طوال الساعات العشر الماضية، ولم نعثر لها على أثر.

ابتسم (نديم) فى سخرية، وهو يقول:

- من الواضح أنك تدرك مدى خطورتها على مستقبلك.

صاح فيه (أحمد عزيز):

- مستقبلى؟!... هل تتصوَّر أن متحذلقاً مقنعاً مثلك يمكن أن يهدِّد مستقبل رجل مثلى.

اكتسب صوت (نديم) صرامة مفاجئة، وهو يقول:

- القناع الذى أضعه على وجهى يرمز إلى العدالة، التى يختفى خلفها رجل قانون، أدرك ذلك الخيط الرفيع، بين القانون والعدالة، اما ما خلف القناع الذى تضعه أنت، فهو ذئب وحشى شرس، وقرد يجيد تسلّق السلطة، وليس حتى من أجل مبدأ أو فكر أو عقيدة، بل من أجل المال والنفوذ، والشعور بالقوة الزائفة، والقدرة على فرض الإرادة.

بدا وكأن الكلمات قد صدمت (أحمد عزيز) ورجاله، فقد ساد المكان صمت عجيب بعدها، واتسعت عينا أقوى رجل فى (مصر) لحظات، قبل أن يرتسم الغضب بأبشع صورة على ملامحه، وهو يقول، بكل ما يعتمل فى نفسه:

- لو أنك تصوّرت أنك، بكلماتك الإنشائية هذه، يمكن أن تربح المعركة، فأنت واهم ... وغبى أيضاً ... تلك المستندات، ومهما بلغت من خطورتها، لا قيمة لها، فى مواجهة أقوى رجل فى (مصر) ... الرجل الذى يمكنه أن يزيح وزير العدل نفسه من موقعه، بمحادثة هاتفية واحدة ... حتى ولو قدمتها إلى النائب العام شخصياً، فما أن تبدأ التحقيقات الرسمية، حتى تكون قد اختفت بوسيلة ما، وسيربح (أحمد عزيز) فى النهاية كالمعتاد ...

مال (نديم) برأسه قليلاً، وهو يسأله فى اهتمام:

- إذن فأنت تعترف بأنك فاسد ... بل زعيم الفساد، فى (مصر) كلها، وبأنك قد تحايلت، وزوّرت، وتجاوزت، للاستيلاء على مصانع، وشركات، وأراضى، ومشاريع كبرى ... وجنيت من المال الحرام أموالاً بالمليارات، نهبتها من عرق وكد المصريين.

صاح فيه (أحمد عزيز)، وهو ينهض من مقعده، ويندفع نحوه فى حدة:

- فليكن ... إننى أعترف بكل هذا، ولكن بم سيفيدك اعترافى، وأنت تحيا لحظاتك الأخيرة فى هذه الدنيا.

التمعت عينا (نديم)، على نحو أدهشه، وهو يقول:

- ربما أفادنى، بأكثر مما يمكنك أن تتصوّر.

توّقف (أحمد عزيز) بغتة، وراوده شك مفزع، جعله يجذب (نديم) من ياقته فى عنف، وهو يقول:

- لماذا عدت إلى القبو؟!...

ابتسم (نديم) ابتسامة هادئة، وهو يقول:

- حاول أن تستنتج.

انعقد حاجبا (أحمد عزيز) فى شدة، وهو يقول:

- كان بإمكانك أن تفر، دون أن نظفر بك ... ولم تكن تحمل حتى سلاحاً، فى محاولة

للسيطرة علينا!!... فلماذا عدت إلى هنا؟!

قبل أن يجيب (نديم)، اندفع أحد رجال (أحمد عزيز) إلى القبو، وهو يقول فى توتر شديد:

- معذرة يا باشا، ولكن هناك لواءان من الداخلية، يريدان مقابلتك فوراً، ويقولان أن الأمر بالغ الخطورة.

التفت إليه (أحمد عزيز) فى حدة، وهو يقول:

- أى أمر هذا؟!

فوجئ بالجواب يأتيه من (نديم)، الذى قال فى هدوء مستفز:

- ربما أتيا ليخبراك أن الوزير يحاول الاتصال بك دون جدوى ... وربما من أكبر من الوزير ورئيس الوزراء أيضاً؛ فلقد نسيت أن أخبرك، أننى قد وضعت فى القبو جهازاً خاصاً، يمنع إشارات الاتصالات، من بلوغ أية هواتف محمولة.

احتقن وجه (أحمد عزيز)، وهو يعود إليه ببصره مرة أخرى، فتابع (نديم) بنفس الهدوء:

- فكلهم يريدون تحذيرك، من أنك ضيف على شبكة الانترنت، من خلال بث مباشر، من داخل القبو.

وأدرا رأسه إلى الشاشة الكبيرة، المعلقة على الجدار، مضيفاً فى ظفر:

- عبر الكاميرا الصغيرة، فى شاشتك هذه، والتى أوصلتها بشبكة الانترنت مباشرة.

فى هذه المرة، كان احتقان وجه (أحمد عزيز) بالغ الشدة، حتى لقد بدا وكأن الدماء ستتفجر من وجهه، و(نديم) يكمل فى ارتياح:

- ليس (مصر) كلها، ولكن العالم أجمع شاهد اعترافك هذا، على الهواء مباشرة، وأنا أعلم العالم كله الآن، أننى (نديم فوزى)، المحامى الذى ترافع ضدك منذ أيام، فإذا ما أقدمت على قتلى بعدها، فسيضيف هذا إلى جرائمك، جريمة القتل العمد، مع سبق الإصرار والترصّد، ولست أظنك بحاجة إلى أن تكون محامياً، لتعلم أن عقوبة هذه الجريمة وحدها، هى الإعدام شنقاً.

امتقعت وجوه رجال (أحمد عزيز)، وتبادلوا نظرات هلعة ملتاعة، وقد ادرك كل منهم أن الكاميرا قد نقلت وجوههم جميعاً، وأن العقوبة ربما تشملهم أيضاً...

أما (أحمد عزيز) نفسه، فقد صرخ بصوت محتقن:

- حطموا تلك الشاشة.

بدا (نديم) ساخراً، وهو يراقبهم يندفعون نحو الشاشة، وينهالون عليها بأسلحتهم، حتى أسقطوها محطمة، وقال فى هدوء:

- ترى كم مليوناً سجلوا هنا، وسينقلونه إلى ملايين غيرهم؟!

هتف الحارس الشخصى فى توتر بالغ:

- لابد وأن نبتعد من هنا بسرعة يا (باشا).

صرخ فيه (أحمد عزيز):

- ابتعدوا أنتم ... (أحمد عزيز) لا يفر من أمام رجل واحد أبداً.

اندفع رجل آخر من رجاله إلى المكان، وهو يقول مرتجفاً:

- لواءا الشرطة انصرفا على عجل يا باشا، فهناك آلاف يحيطون بالفيلا، ويحاولون اقتحامها.

صرخ (أحمد عزيز):

- أطلقوا عليهم النار... اتصلوا بوزارة الداخلية ... بقوات الأمن المركزى، بـ...

قاطعه الرجل مع شدة ذعره:

- إنهم آلاف يا باشا .... آلاف ... المشهد مفزع للغاية .... لابد وأن نفر من هنا، قبل أن...

قاطعه فجأة دوى صرخات قوية، ورصاصات تنطلق، على نحو يوحى بأن اقتحام الفيلا قد تم بالفعل، فتحوّل وجه (أحمد عزيز) من الاحتقان إلى الامتقاع، فى حين أمسك حارسه الشخصى ذراعه، وهو يقول فى حزم:

- ما من سبيل آخر يا (باشا) ... الكثرة تغلب الشجاعة والقوة ... لابد وأن نخرج من هنا ... وبأقصى سرعة.

ألقى (أحمد عزيز) نظرة شديدة المقت على (نديم)، وحاول أن ينتزع مسدس حارسه الشخصى؛ ليطلق عليه النار، ولكن الحارس جذبه فى شئ من العنف، وهو يقول:

- هيا يا (باشا).

كان رجال أقوى رجل فى (مصر) (سابقاً)، قد بادروا بالفرار من القبو، فلم يملك هو سوى اللحاق بهم، وقد امتلأت نفسه بمزيج من الغضب والمقت والهزيمة، فى حين تصاعدت الصرخات والهتافات، فى نفس الوقت الذى توقّف فيه دوى الرصاصات، وسمع (نديم) وقع أقدام تقترب عدواً من القبو، ثم ظهرت (غادة) عند مدخله، وخلفها المعلم (خليل)، وما أن رأته حياً، حتى هتفت فى ارتياح:

- حمداً لله ... حمداً لله.

أسرعت تحل وثاقه، يعاونها المعلم (خليل)، الذى سأله فى حماس وانفعال:

- هل وضعوا هذا القناع على وجهك؟!

أجابه (نديم)، وهو يتحرَّر من قيوده:

- إنهم لم ينزعوه.

هتفت (غادة)، وهى تشعر برغبة شديدة فى احتضانه:

- لقد فعلتها يا (نديم) ... (العقرب) حقَّق أعظم انتصاراته.

كان هناك المزيد من الرجال، يندفعون إلى القبو، فهتف بهم المعلم (خليل):

- ابقوا خارجاً، وافسحوا لنا المجال ... سنخرج لكم نحن.

سأل (نديم) (غادة)، وهو يتجه وسط الحشد المندهش من قناعه، إلى خارج القبو:

- أنت أتيت بهم؟!

أجابته فرحة مزهوة:

- إنهم شعب (مصر) ... الشعب الحقيقى، بشهامته، ومروءته، وعظمته.

وابتسم المعلم (خليل)، وهو يفتل شاربه، قائلاً:

- اعتبرناها بروفة، لما سنقوم به بعد ساعات، فى كل ميادين (مصر).

غمغم أحد الرجال فى حيرة، عندما بلغوا مدخل الفيلا:

- لقد قبضنا على كل الرجال هنا، ولكننا لم نعثر على (أحمد عزيز).

قال (نديم) فى هدوء:

- لديه حتماً وسيلة للفرار من هنا، ولكن لن توجد لديه وسيلة واحدة: للفرار من كل شعب (مصر).

غمغم الرجل مرة أخرى، فى حيرة أكبر:

- وماذا عن هذا القناع؟!

كان ضوء الشمس يغمرهم جميعاً، عندما وضع (نديم) يده على كتف (غادة)، وتنهَّد فى ارتياح، ثم نزع القناع عن وجهه بيده الأخرى، قائلاً فى حزم:

- لم تعد له ضرورة الآن بالتأكيد.

قالها، وألقى قناع (العقرب) فى الهواء، والتفت إلى (غادة) بابتسامة ثقة وارتياح كبيرة...

وسجُل التاريخ تلك اللحظة، باعتبارها مشهد النهاية، فى أسطورة (العقرب)...
ومشهد البداية، فى أسطورة أعظم ....
أسطورة الثورة.

• • •

تمت بحمد الله

القاهرة
20 سبتمبر 2012م
4 ذو القعدة 1433هـ